وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة يحي فارس بالمدية
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي



أفعال الكلام في الخطاب القرآني
سورة يونس أنموذجا

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في اللغة العربية
تخصص : لسانيات الخطاب

إعداد الطالبتين:
-فاطمة الزهراء سعوداوي.
-فريال ترباح.

إشراف الأستاذة:
- فاطمة عويمر .

السنة الجامعية :2018/2017

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة يحي فارس بالمدية
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

أفعال الكلام في الخطاب القرآني
سورة يونس أنموذجا

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في اللغة العربية
تخصص : لسانيات الخطاب

أ.ميلود عبابسي	جامعة المدية	رئيسا ومناقشا
أ. سهام دويفي	جامعة المدية	مناقشا
أ.فاطمة عويمر	جامعة المدية	مشرفا ومقررا

إعداد الطالبتين:
-فاطمة الزهراء سعوداوي.
-فريال ترباح.

إشراف الأستاذة:
- فاطمة عويمر .

السنة الجامعية :2018/2017

كلمة شكر

الحمد والشكر أولا وآخرا للمولى عزّ وجلّ على أن
يسر لنا طريق البحث ...

اللهم إنَّا نحمدك حمدا يليق بوجهك الكريم

سبحانك ربي إنّك من تهب النعم وتسخر الأسباب

ثم الشكر الجزيل للأستاذة التي علمتنا

معنى الصدق والإخلاص ومعنى الحِلم والإتقان

الأستاذة المشرفة فاطمة عويمر

ونسأل المولى أن يجزيها عنا كل الخير و الإحسان
على كل ما قدمته لنا

ولا يفوتنا أيضا إبداء الشكر لكل من قدم لنا
المساعدة و النصيحة، ونخص بالذكر
الأستاذ عبابسي، والأستاذ بلحنيش، والأستاذ كمال بخوش .

إهداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى:

من لا تطيب الحياة إلا بهما

ولا تحلو الأيام إلا بوجودهما

أمي وأبي

إلى إخوتي أيمن ونعيمة وشهيناز وعبد المالك

إلى أستاذتي المحترمة والمحبوبة فاطمة عويمر

و إلى كل زميلاتي في الجامعة

خاصة فريال وراضية وكنزة

إلى كل من خدم لغة القرآن وآمن أنها أقدس

وأشرف اللغات.

فاطمة الزهراء

إهداء

إلى اللّذين ملكا عرش كياني وأول من نطق بهما لساني وبهما ربي أوصاني.

إلى من لا تكفيني الحروف والكلمات للتعبير عما أحمل لهما.

إلى نسيما روحي أمي وأبي - رحمه الله - .

إلى كل من علمني حرفا

إلى أساتذتي الكرام من المستوى الابتدائي إلى الجامعي خاصة الأستاذة فاطمة عويمر والأستاذ كمال بخوش.

إلى كل فرد في عائلتي خاصة:

الطاهر، شعيب، ماريا، مريو، لجين، أسيل، رؤيا.

وإلى إخوتي وأعزّ ما أملك: فتيحةفيروز، عبد النور، محمد.

إلى كل طلبة الدفعة، وإلى زميلاتي خاصة سارة وفاطمة الزهراء وجميلة وعائشة

أهدي ثمرة جهدي. فريال.

مقدمة

الحمد لله الذي نوّر بكتابه القلوب، وأنزله في أوجز لفظ، وأجمل وأعجز أسلوب، فأعيت بلاغته البلغاء، وأعجزت حكمته الحكماء، وأبكمت فصاحته الخطباء، والصلاة والسلام على رسول الله هادي الأمة وخاتم الأنبياء وعلى آله وصحبه الأخيار ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين أما بعد:

إنّ اللغة باعتبارها أداة يستخدمها البشر في حياتهم اليومية، يمكن وصفها من خلال شقين: الأول باعتبارها نظاما مجردا أي بنية تضم عدة مستويات صوتية وصرفية ونحوية ودلالية، والثاني باعتبارها استعمالا، أي نظاما يخضع لقوانين الاستعمال، فاللغة التي يتبادلها الأفراد بينهم ليست هي ذلك النظام المجرد ذو الدلالات الثابتة، فهم يتبادلون خطابات أو كلاما يتغير معناه بتغير ظروف وسياق إلقائه، أو حتى عند تغير الأشخاص الممارسين للكلام نفسه، فمخاطبة الرئيس، تختلف عن مخاطبة الصديق أو الأخ مثلا، ولا شك أنّ مراعاة مقام الكلام وأقدار السامعين مهم جدا حتى نُفهم الغير المعنى المراد بالضبط دون أن يحدث العكس.

فالخطاب الذي نتداوله يوميا يضبطه الزمان والمكان وظروف الإلقاء ومعرفة من المتكلم؟ ومن المستمع؟ وقد كان هذا التمييز بين اللغة كنظام والخطاب كاستعمال حاسما وضروريا، إذ به يمكن معرفة القوانين التي تتحكم بكل منهما، فاللغة تحكمها قوانين الوضع التي تتميز بالثبات، والخطاب يحكمه قانون الاستعمال الذي يتميز بالمرونة، وإن كان في حقيقة الأمر وضعيا يمثل ما تعارف عليه الناس إلا أنّ قوانينه أكثر اتساعا وغير محدودة.

وعلى أساس هذا التمييز قام العلماء العرب من نحاة وبلاغيين وأصوليين بدراسة اللغة أداة للتبليغ والتواصل والتأثير في الغير بمراعاة شروط الخطاب من زمان ومكان وغيرها، وقد أسفرت جهودهم تلك عن إثبات أساليب الاستعمال والاتساع في الكلام لإفادة معنى غير المعنى الموضوع للفظ في الأصل والوضع.

وقد كان موضوع بحثنا الموسوم بـ: أفعال الكلام في الخطاب القرآني سورة يونس أنموذجا، جزءا من هذه الدراسة حيث أنّه يبين ما يزخر به القرآن الكريم من مقاصد يحددها الاستعمال والمقام باعتباره خطابا موجها لمخاطب معين، وقد كان اختيار هذا الموضوع لدوافع عدة تتمثل في أهمية الموضوع محل الدراسة، إذ به يمكن معرفة قيمة السياق أو الاستعمال في التعبير عن المقاصد الحقيقية للمتكلم، وكذا الرغبة في التعرف على الأفعال الكلامية التي يحملها القرآن الكريم باعتباره خطابا يقصد إلى التأثير في السامع.

ويهدف هذا البحث إلى إعطاء مفهوم عن أفعال الكلام باعتبارها محطة من محطات الدرس اللّغوي العربي القديم والحديث، ومشروعا غربيا تأسس كنظرية قائمة بذاتها، فرغم اختلاف المصطلحات بين الدراستين إلا أنّ المفهوم واحد لهذه الأفعال أو الأغراض الكلامية رغم خصوصية كل دراسة، لذلك فإنّنا أشرنا إلى التشابه الكبير بين الطرح العربي القديم والطرح الغربي في مفهوم الأفعال الكلامية، ويهدف هذا البحث أيضا إلى الجمع بين الرؤية التداولية الحديثة والرؤية البلاغية القديمة للخطاب القرآني بصفة خاصة.

وقد سبق لموضوعنا هذا أن تناوله العديد من الباحثين والدارسين ولعل أهمها رسالة دكتوراه بعنوان: الأفعال الكلامية في القرآن الكريم دراسة تداولية سورة البقرة أنموذجا لمحمد مدور. ومذكرة ماجستير بعنوان: الأفعال الكلامية في سورة الكهف لآمنة لعور.

وقد حاولنا في هذا البحث الإجابة على إشكالية مُفادها: كيف تتجلى الأفعال الكلامية والمقاصد المتضمنة فيها في الخطاب القرآني من خلال سورة يونس؟ وما حقيقة أفعال الكلام في الدرس التداولي الحديث؟ وما هي علاقة أفعال الكلام عند الغرب المحدثين بأغراض الكلام عند العرب القدماء؟

فإذا كنا نستطيع إنجاز الأشياء بالكلام فبإمكان المتكلم أن يحدث تأثيرا في سامعه وحمله على فعل معين، وإذا كان فهم المعنى يتغير بتغير السياق فلا بد أن يكون له دور مهم في تحديد الفعل الكلامي.

وللإجابة على هذه التساؤلات قمنا بالاعتماد على خطة متمثلة في مدخل وفصلين، فصل نظري وآخر تطبيقي تسبقهما مقدمة، حيث تحدثنا في المدخل عن خصائص الخطاب القرآني باعتباره مدونة البحث وحتى نبين أن القرآن الكريم بما يحمله من خصائص قابل لهذه الدراسة، أما الفصل الأول فعنوناه بـ: مفهوم أفعال الكلام والخطاب وتجلياتهما في الدرسين الغربي والعربي، وقد قسمناه إلى ثلاثة مباحث المبحث الأول تناولنا فيه مفهوم الكلام والخطاب، والمبحث الثاني تناولنا فيه تجليات أفعال الكلام في الدراسات اللسانية الغربية الحديثة عند كل من أوستين وسيرل، وكذا الأسس التداولية لنظرية أفعال الكلام، وأما المبحث الثالث فخصصناه لبحث تجليات أفعال الكلام في الدرس العربي القديم والحديث وعلاقة ذلك بأغراض الخبر والإنشاء، وقد اقتصرنا في الدراسة العربية القديمة على عرض جهود النحويين و البلاغيين، وجعلنا الفصل الثاني لدراسة أفعال الكلام في سورة يونس وهو بدوره منقسم إلى مبحثين خصصنا المبحث الأول لدراسة أفعال الكلام في الأسلوب الخبري والأغراض المترتبة عنه، وخصصنا المبحث الثاني لدراسة أفعال الكلام في الأسلوب الإنشائي، وأنهينا بحثنا هذا بخاتمة نلخص فيها أهم النتائج.

ولتوضيح هذه الرؤية قمنا بالاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي الملائم لهذه الدراسة لأنه يسمح بتفسير حقيقة أفعال الكلام وتحليل مقاصدها.

أما عن الصعوبات فتمثلت عموما في ضيق الوقت وصعوبة فهم بعض الآراء أو المفاهيم خاصة في الدراسة العربية، و في الأخير نشكر الأستاذة المشرفة التي أبد ت حرصا واهتماما على إنجاح هذا العمل منذ أن كان مجرد تصور.

والله ولي التوفيق.

مدخل

الخطاب ممارسة اجتماعية تربط بين أفراد المجتمع الواحد وهو توجيه الكلام من شخص إلى آخر قصد الفهم والإفهام، وهو أهم وظيفة لتحقيق التواصل بين الناس، حيث إنَّه يمثل مستوى عالٍ من مستويات التواصل، ويُعرف الخطاب بأنّه « كل كلام تجاوز الجملة الواحدة سواء كان مكتوباً أم ملفوظاً.» [1]، أما الخطاب القرآني فليس كأي خطاب بشري فهو:« خطاب إلهي معجز ومن ثَم يمتلك من الأدوات ما يجعله مؤهلا ـ وبشكل دائم ـ لأن يكون من أهم الوسائل التعبيرية التواصلية القادرة على استيعاب الأنساق الثقافية، إنّه رسالة ربانية لكل الناس دون تحيز أو طائفية أو جغرافية معينة، فهو خطاب هداية وخير، وهذه الخيرية لم تكن فيه امتيازا لطبقة أو طائفة دون أخرى بل جاءت عامة ينعم بها كل بني البشر.»[2]

فالقرآن الكريم رسالة ربانية أنزله الله تعالى على رسوله محمد خاتم الأنبياء والرسل، ليكون نذيرا وبشيرا للعالمين، فهو دعوة إنسانية لا تعصب فيها لأيِّ قبيلة ولا لأيِّ أمة، جاء لإنشاء مجتمع عالمي إنساني، وهو الرسالة الأخيرة من السماء، فهذه الرسالة أبدية خالدة وصلاحيتها باقية إلى يوم الدين، جاءت مستوعبة كلاً من الزمان والمكان والإنسان، فخطاب القرآن عالمي، ورسالته خاتمة، وله بعد في الزمان كله وله بعد في المكان بأكمله. [3]

فالقرآن الكريم ليس كأي خطاب، فهو خطاب عالمي وواحد للإنسان ، أي إنسان في جميع مستوياته سواء كان عالماً أم جاهلاً، ذكياً أم غبياً، وللزمان في جميع دقائقه، وللمكان في جميع نواحيه وزواياه.

[1] ـ دليل الناقد الأدبي، إضاءة لأكثر من سبعين تيارا ومصطلحا نقديا معاصرا، ميجان الرويلي وسعد البازعي، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 2002، ص 115.

[2] ـ جماليات الخطاب في النص القرآني " قراءة تحليلية في مظاهر الرؤية وآليات التكوين"، لطفي محمد الجودى، مؤسسة المختار، القاهرة، ط1، 2014، ص93.

[3] ـ ينظر: المرجع نفسه، ص 93 .

ولا بد من فهم ألفاظه ومعانيه وتدبر آياته المحكمات حتى يدرك القارئ أنه ليس محصوراً في مكانٍ ما أو زمانٍ ما أو مختصاً بإنسانٍ ما « كما أنَّ فهمه يحصل بتطلب تفسيره من كلام العلماء الراسخين في هذا الباب الشريف، الشارحين لآيات القرآن الكريم، والمبينين لمدلولاتها سواء كان الأخذ عنهم مشافهةً، أوعن طريق مصنفاتهم.» [1]، حتى يتسنى له فهمه والعمل به، ولا يمكن ذلك دون فهم معانيه ومقاصده.

فالخطاب القرآني كله وعد ووعيد، حكم ومواعظ، قصص وأمثال، حجج وبراهين، حقائق ومعجزات، هذا إذا نظرنا إلى كتاب الله بشكل إجمالي، أما إن فككنا بنيته فإنّ ه يمتاز بخصائص تتجلى في :

1 ـ فصاحة الألفاظ: فإذا تأملنا في ألفاظ الخطاب القرآني وجدنا الإبداع ظاهراً في انتقاء الألفاظ وتوظيفها في المعاني المرادة، هذا ما زاد الخطاب القرآني تميزاً وتفرداً عن غيره فـ « الاستخدام الإلهي للمفردة اللغوية في النص القرآني يعطيها الطابع المرجعي الذي يحكم دلالاتها حيثما وجدت في القرآن، وأنّ هذا لا ينفي عنها أنّها جاءت عبر امتدادات جمالية تبرز قوتها التعبيرية في انتقاء المفردات وتوظيفها في سياقات خاصة، لا يمكن لبدائلها أن تفنى بها، وكذلك تنظيم تلك المفردات في وضعية تركيبية خاصة تفرض وقعها الدلالي والتعبيري على السياق، مما يجعلها تأخذ بيد المتلقي للانتباه إليها حتى يستجيب لتأثيراتها العميقة.»[2]

فكل مفردة موظفة تجد لها تآلفاً وقرباً من موطنها، حتى لو تكررت في مواطن عديدة لا ترى فيها البتة حوشياً أو ثقلاً تنفر منه النفوس السامعة.

[1] ـ العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير، خالد بن عثمان السبت، دار ابن القيم، السعودية، ط1، 2003، م ج1/ ص 13.

[2] ـ جماليات الخطاب في النص القرآني" قراءة تحليلية في مظاهر الرؤية وآليات التكوين"، لطفي محمد الجودى، ص 171.

فألفاظ القرآن الكريم كلّها سهلة ومُيسرة وهي مفاتيح فهمه، وهذه الألفاظ اختيرت لها أصوات دقيقة ومناسبة، ففي الأصوات والحروف حرارة وتوهج يضيء المعنى المراد، فكانت كل كلمة وما تتألف منه من أصوات مناسبة للصورة الذهنية، تستلذ السمع وتستميل النفس، ذلك راجعٌ لدقة الأصوات وعذوبتها، فهي غير منفصلة عن مجال المعاني والدلالات داخل ذلك الخطاب.[1]

2 ـ مناسبة الألفاظ للمعاني: وهذه الخصيصة يتفرد بها أسلوب الخطاب القرآني، فلا تجد لفظاً غير مناسب لِما وُضِع له، وكل شأن تناوله القرآن « اختير له أشرف المواد، وأمسَّها رحماً بالمعنى المراد، وأجمعها للشوارد، وأقبلها للامتزاج، ويضع مثقال ذرة في موضعها الذي هو أحق بها وهي أحق به، بحيث لا يجد المعنى في لفظه إلا مرآته الناصعة، وصورته الكاملة، ولا يجد اللفظ في معناه إلا وطنه الأمين، وقراره المكين، لا يوماً أو بعض يومٍ، بل على أن تذهب العصور وتجيء العصور، فلا المكان يريد بساكنه بدلاً، ولا الساكن يبغي عن منزله حِولاً، وعلى الجملة يجيئك من هذا الأسلوب بما هو المثل الأعلى في صناعة البيان.» [2]، وهذا الذي صرف العرب وأعجزهم أن يأتوا بمثله ولو آية، رغم أنّه لم يخرج في أسلوبه عن سنن كلامهم إفراداً وتركيباً، ففي القرآن سرٌ سما به عن قدرة البشر، فمن حروفهم رُكِّبت كلماته، ومن كلماتهم أُلِّفت جمله وآياته، وعلى مناهجهم في التأليف جاء تأليفه.[3]

فالخطاب القرآني وكل ما تميز به من الدقة في انتقاء الألفاظ للمعاني المناسبة والسمو بها، لم يتكئ على الألفاظ وحدها أو المعاني وحدها، وإنما سلك بهما معاً طريقاً فنياً

[1] ـ ينظر: جماليات الخطاب في النص القرآني " قراءة تحليلية في مظاهر الرؤية وآليات التكوين" ، لطفي محمد الجودى، ص 174.
[2] ـ النبأ العظيم، عبد الله دراز، دار طيبة، السعودية، ط1، 1997، ص 115.
[3] ـ ينظر: المرجع نفسه، ص 112– 113.

في النظم والأداء، ومنهجاً جمالياً إبداعياً بالغ الروعة في التعبير، وهذا كان السر في نظمه وعدم تناهي تأويلاته، ومن ثم خلوده.[1]

والطريق الفني الذي انتهجه الخطاب القرآني في تبليغ فحواه دقيق جداً، ودقته تكمن في انتقاء الألفاظ لأسمى المعاني، والسر في ذلك أن تأويلاته لا تنقضي ولا تختلف دلالاته، فكلما زاد التأمل والتدبر زاد الاستبصار والهداية، فالتصوير الجمالي حاضر بقوة في الخطاب القرآني وحقيقة لا مراء فيها، وهذا الجمال يتمتع بأبعاد تواصلية وإبلاغية، ولا يتسنى لأي خطاب أدبي أو تواصلي أن يجاريه في هذا التصوير.[2]

3 ـ حسن النظم: فالنظم أكثر ما يشد ويجذب في خطاب القرآن، وبه فاق جميع أنواع الخطاب، وسّر الإعجاز القرآني يكمن في حسن نظمه وجودة سبكه، فالخطاب القرآني تَفَوق بنظمه على أعذب الشعر وأكثره رونقاً وبهاءً، فقد جاء على طريقة فريدة خارجة عن العادة تفوق كل طريقة.

فالكلام يقوم على ثلاثة أشياء: لفظ حامل، ومعنى به قائم، ورباط لهما ناظم، وإذا تأملنا في القرآن الكريم وجدنا هذه الأمور منه في غاية الشرف والفضيلة، حتى لا نرى شيئاً من الألفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه، ولا ترى نظماً أحسن تأليفاً وأشد تلاؤماً وتشاكلاً من نظمه، ومن هذا نفهم أن القرآن صار معجزاً لأنّه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف، مضمناً أصح المعاني من توحيد له، وتنزيه له، ودعاء إلى طاعته، وبيان بمنهاج عبادته من تحليلٍ وتحريمٍ ووعظٍ وأمرٍ ونهيٍ... والإتيان بهذه الأمور والجمع بين شتاتها حتى تنتظم وتتسق أمر تعجِز عنه قُوى البشر. [3] ، ويقول الرافعي:« الحرف الواحد من القرآن معجز في موضعه؛ لأنّ ه يُمسك الكلمة التي هو فيها ليُمسك بها في الآية

[1] ـ ينظر: جماليات الخطاب في النص القرآني " قراءة تحليلية في مظاهر الرؤية وآليات التكوين" ، لطفي محمد الجودى، ص 171.
[2] ـ ينظر: المرجع نفسه، ص 171.
[3] ـ ينظر: بيان إعجاز القرآن (منشورا ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن في الدراسات القرآنية والنقد الأدبي)، أبو سليمان محمد بن إبراهيم الخّطابي، تح: محمد خلف الله، دار المعارف، مصر، ط3، (د ت)، ص 27– 28.

والآيات الكثيرة، وهذا السر في إعجاز جملته إعجازاً أبديًّا، فهو أمر فوق الطبيعة الإنسانية.»[1]

4 ـ دقة الفواصل: يُذيل الخطاب القرآني بفواصل تمنحه طابعاً مميزاً، هذه الفواصل ترتبط ارتباطاً وثيقاً ودقيقاً بالمعاني، ولها دورٌ عظيمٌ في فهمها، ويقصد بها الحروف المتشاكلة في المقاطع، حيث بها يقع إفهام المعاني وهي الكلام المنفصل مِمَّا بعده، وتقع الفاصلة عند الاستراحة في الخطاب لتحسين الكلام بها، وهي الطريقة التي ي باين القرآن بها عن سائر الكلام، وسمّيت بالفواصل ، لأنه يُفصل عندها الكلامان، وذلك أنَّ آخر الآية فَصَل بينها وبين ما بعدها.[2]، وأخذاً من قوله تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾[فصلت، 3].

ولا يجوز تسمية الفواصل بالقوافي، لأنَّ الله تعالى لمَّا سلب عنه اسم الشعر وَجَبَ سلبُ القافية عنه أيضاً لأنَّها منه، وكما يُمتنعُ استعمال القافية في القرآن، يُمتنعُ استعمال الفاصلة في الشعر، لأنَّ الفواصل صفةٌ لكتاب الله فلا تتعداه ، وكذلك يُمتنعُ القول بالسَّجع في القرآن؛ لأنَّ السَّجع هو الذي يُقْصَدُ في نفسه، ثم يُحال المعنى إليه، أما الفواصل فهي التي تتبع المعاني ولا تكون مقصودة في نفسها لذا قيل: كانت الفواصل بلاغةً والسَّجع عيباً.[3]

والفواصل القرآنية « كلّها بلاغة وحكمة، لأنّها طريق إلى إفهام المعاني التي يحتاج إليها في أحسن صورة يُدل بها عليها... وهي على وجهين: أحدهما على الحروف المتجانسة كقوله تعالى: ﴿ وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ ۝٢ ﴾[الطور، 1ـ2]، والآخر

[1] ـ إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرّافعيِّ، دار التقوى، مصر، ط1، 2014، ص 290.
[2] ـ ينظر: البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة، (د ط)، (د ت)، ج1/ ص 53 – 59.
[3] ـ الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تح: مركز الدراسات القرآنية، المملكة العربية السعودية، (د ط)، (د ت)، ج3/ ص 292.

على الحروف المتقاربة كالميم من النون، نحو قوله تعالى: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤ ﴾ [الفاتحة، 3 ـ 4]، وكالدال من الباء نحو قوله جلَّ وعلا:﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ۝١ ﴾ ثم قال:﴿ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ ۝٢ ﴾ [ق، 1ـ 2]، إنّما حَسُن في الفواصل الحروف المتقاربة لأنّه يكتنف الكلام من البيان ما يدل على المراد في تمييز الفواصل والمقاطع، لما فيه من البلاغة وحسن العبارة.» [1]

وكل ما ذكرناه دليل على دقة الأسلوب الفنّي في القرآن الكريم وأنّه خطاب متكامل من جميع نواحيه، حيث نجد جمالاً وعظمةً في نظمه لا مثيل لها، حتى بين الحرفين تجد ملاءمة، وبين المفردات تناسباً، وبين الجمل ترابطاً وتكاملاً، وبين الآيات حِبكاً وسُبكاً وانسجاماً، وحتى بين السور تآلفاً وتناسقاً، نظمٌ فريدٌ من نوعه.

فالقرآن الكريم كتاب الله الجليل جعله « فارقاً بين الشك واليقين، أعجزت الفصحاء معارضته، وأعيت الألِبَّاء* مناقضته، وأخرست البُلغاء مشاكلته، فلا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا، جعل أمثاله عبراً للمتدبرين وأوامره هدى للمستبصرين، وضرب فيه الأمثال، وفرق فيه بين الحلال والحرام، وكرر القصص والمواعظ بألفاظ لا تمل ولا تَخْلَقُ* على كثرة الرد، وحثنا على فهم معانيه وبيان أغراضه ومبانيه، فليس المراد حفظه وسرده من غير تأملٍ لمعناه ولا تفهُّمٍ لمقاصده.» [2]

فكل ما ذكر في القرآن الكريم له قصد موجه، لذا عجزوا على أن يأتوا بمثله ولو آية.

---

[1] ـ النكت في إعجاز القرآن (منشورا ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن في الدراسات القرآنية والنقد الأدبي)، أبو الحسن علي بن عيسى الرماني، تح: محمد خلف الله، دار المعارف، مصر، ط3، (د ت)، ص 98.

*ـ الألِبَّاء: من الفعل لبب، وقال الخليل لَبَّ لغة فيه، حكاها عنه أبو عبيد، واللبُّ: العقل، والجمع الألباب، واللبيب: العاقل، والجمع ألبَّاء، أي: صار ذا لبٍّ. ينظر: تاج اللغة وصحاح العربية (الصحاح)، الجوهري أبو نصر إسماعيل، تح: محمد محمد تامر، دار الحديث، القاهرة، (د ط)، 2009، مادة (لبب)، ص1022.

*ـ لا تخلق: لا تبلى.

[2] ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة، (د ط)، 1364ه، مقدمة الكتاب ص - ج -.

الفصل الأول

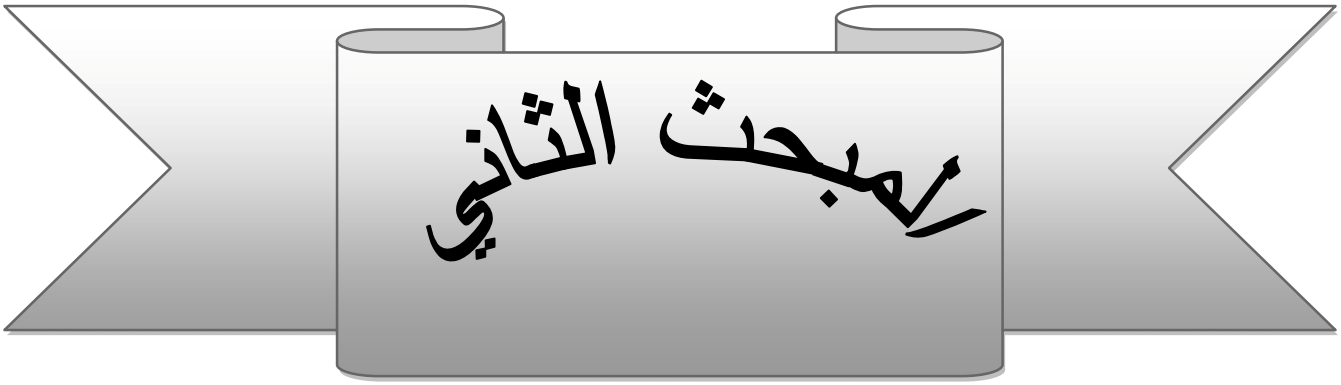
مفهوم أفعال الكلام والخطاب وتجلياتهما في الدرسين الغربي والعربي.

الفصل الثاني

أفعال الكلام في سورة يونس.



مفهوم الكلام والخطاب.



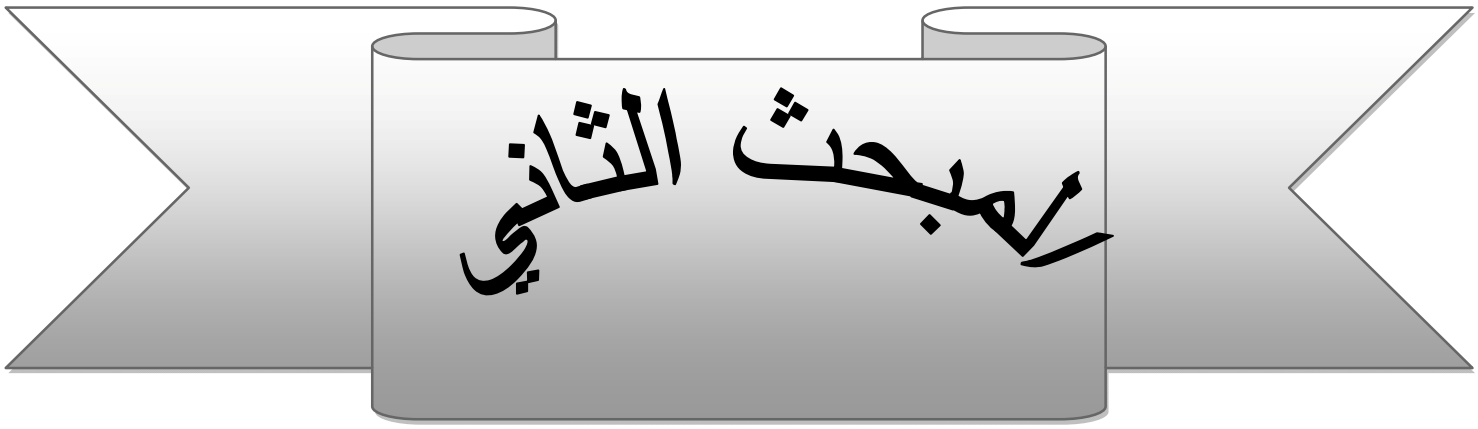
تجليات أفعال الكلام في الدراسات الغربية الحديثة.

المبحث الثالث

أفعال الكلام في الدرس العربي القديم والحديث وعلاقة ذلك بأغراض الخبر والإنشاء.

المبحث الأول

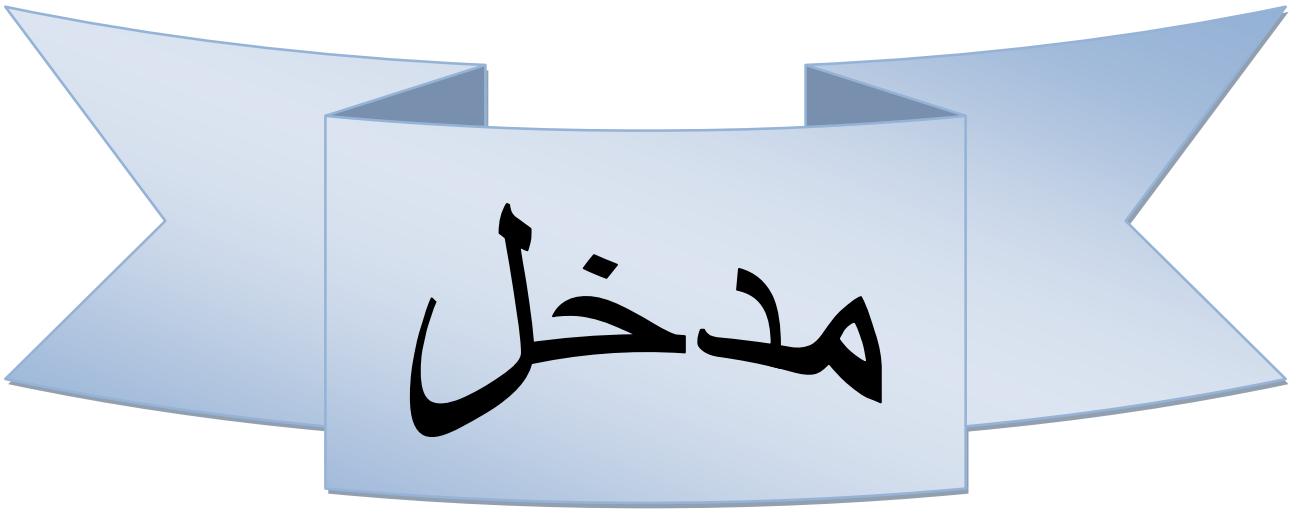
أفعال الكلام في الأسلوب الخبري.



أفعال الكلام في الأسلوب الإنشائي.

مقدمة

خاتمة


مدخل

فهرس الموضوعات

قائمة المصادر و المراجع

تمهيد

المبحث الأول: مفهوم الكلام والخطاب والسياق والنص.

1-1- تعريف الكلام لغة:

يعرف ابن فارس الكلام بقوله: « الكاف واللام والميم أصلان: أحدهما يدلّ على نطقٍ مُفهم، والآخر على جراح، فالأول الكلام. تقول كلّمته أكلمه تكليما؛ وهو كليمي إذا كلّمك أو كلّمته ثم يتسعون فيسمون اللفظة الواحدة المُفهمة كلمة، والقصّة كلمة والقصيدة بطولها كلمة ويجمعون الكلمة كلمات وكلما».[1]

وجاء في لسان العرب: « الكلام القول معروف، وقيل: الكلام ما كان مكتفيا بنفسه، وهو الجملة، والقول ما لم يكن مكتفيا بنفسه... والكلام اسم جنس يقع على القليل والكثير، والكلم لا يكون أقل من ثلاث كلمات لأنّه جمع كلمة... ولهذا قال سيبويه: هذا باب علم ما الكلم من العربية، ولم يقل ما الكلام لأنّه أراد نفس ثلاثة أشياء: الاسم والفعل والحرف، فجاء بما لا يكون إلا جمعا وترك ما يمكن أن يقع على الواحد والجماعة... والكلمة: اللفظة، حجازية وجمعها كَلِمٌ، تذكر وتؤنث».[2]

ونفس المعنى نجده عند الفيروز اَبادي حيث يقول: « (الكلام) القول أو ما كان مكتفيا بنفسه... والكَلِمَة اللفظة والقصيدة ج كَلِمٌ... وتَكالما تحدّثا بعد تهاجر».[3]

ويعرفه المعجم الوسيط بأنّ: « الكلام في أصل اللغة الأصوات المفيدة».[4]

---

[1] ـ معجم مقاييس اللغة، أحمد ابن فارس ، تح عبد السلام هارون، دار الفكر، (د ون بلد)،(د ط)، (د ت) مادة (كلم)، ج5/ ص131.

[2] ـ لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين ابن منظور، تح عامر أحمد حيدر، دارالفكر، بيروت، لبنان، ط1، 2005، مادة (كلم) ج7/ ص481.

[3] ـ القاموس المحيط، مجد الدين الفيروز اَبادي، الهيئة المصرية العامة للكتاب (دون بلد)، ط3، 1980م، مادة (كلم) ج4/ ص196.

[4] ـ المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4، 2004م، مادة (كلم) ص796.

والقول والكلام واللفظ في اللغة يطلق على معنى واحد يقول الرضي:« فالقول والكلام واللفظ من حيث أصل اللغة بمعنى؛ يطلق على كل حرف: من حروف المعجم كان أو حروف المعاني وعلى أكثر منه مفيدا كان، أو لا».[1]

ومن خلال هذه التعاريف يمكن أن نستنتج أن المعنى اللغوي للكلام هو ما دلّ على معنىً مفيد بالوضع سواء أكان حرفا أم أكثر، كما يطلق على الجملة أو العبارة المفيدة، ويكون قولا إذا لم يكن تام المعنى، والكلم جمع كلمة وكلاهما يدل على الاسم والفعل والحرف، أما الكلام فقد يطلق على الواحد والجماعة، كما تطلق الكلمة على القصيدة والقصة.

1ـ 2 تعريف الكلام اصطلاحا:

لا يختلف المعنى الاصطلاحي للكلام عما وجدناه في المعاجم اللغوية، فقد عرف ابن جني كلا من الكلام والقول بقوله: « أما الكلام فكل لفظ مستقلّ بنفسه، مفيد لمعناه، وهو الذي يسميه النحويون الجمل... وأما القول فأصله أنّه كل لفظ مذل به اللسان تامّا كان أو ناقصا... فكل كلام قول، وليس كل قول كلاما». [2]

أما ابن مالك فيفرق بين الكلام والكلم والقول من خلال هذين البيتين:[3]

كلامنا لفظ مفيد: كاستقم واسم، وفعل، ثم حرف الكلم

واحده كلمة، والقول عم والكلمة بها كلام قد يؤم

[1] ـ شرح الكافية، رضي الدين الاستراباذي، تعليق يوسف حسن عمر، جامعة قار يونس، بنغازي، ط2، 1996، ج1/ص31.

[2] ـ الخصائص، أبو الفتح عثمان ابن جني ، تح محمد علي النجار، المكتبة العلمية (د ون بلد)، (د ط)، (د ت)، ج1/ ص17.

[3] ـ شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، بهاء الدين بن عقيل، تح محي الدين عبد الحميد، دارالتراث،القاهرة، ط20، 1980م،ج1/ ص13.

فالكلام هو اللفظ المفيد فائدة يحسن السكوت عليها، وهو ما تركب من اسمين، أو فعل واسم، وقوله مفيد أخرج به المهمل والكلمة وبعض الكلم الذي لا يحسن السكوت عليه والكلم اسم جنس وهو ما تركب من ثلاث كلمات فأكثر سواء أفاد أم لم يفد، أما الكلمة فهي اللفظ الموضوع لمعنى مفرد وهي إما اسم أو فعل أو حرف، أما القول فيعم الجميع، أي أنّه يقع على الكلام والكلم والكلمة، وقد يجتمع الكلام و الكلم في الإفادة مثل: " قد قام زيد " فهذا كلام و كلم باعتبار الإفادة و التركيب من ثلاث كلمات ويفترقان في انفراد الكلام بالإفادة وانفراد الكلم بما رُكب من ثلاث كلمات.[1]

يتضح من خلال هذا أنّ الإفادة والإسناد شرطان أساسيان في الكلام، كما يتضح من خلال هذا التفريق بين الكلام والكلم أنّ بينهما علاقة عموم وخصوص فهما قد يجتمعان في الإفادة، وقد ينفرد كل منهما بخاصية معينة وعليه فليس كل كلام كلمًا، وليس كل كلم كلاما.

كما يعرف ابن الحاجب الكلام بالإسناد في قوله: « الكلام ما تضمن كلمتين بالإسناد، ولا يتأتّى ذلك إلا في اسمين أو فعل واسم ».[2] أما الفرق بين الجملة والكلام فيظهر من خلال قول الرضي: « الجملة ما تضمن الإسناد الأصلي سواء كانت مقصودة لذاتها أو لا... والكلام ما تضمن الإسناد الأصلي وكان مقصودا لذاته؛ فكل كلام جملة ولا ينعكس».[3]

أما عبد الرحمن الحاج صالح فيرى أنّ الكلام في استعمال النحاة خاصة سيبويه وشيوخه له ثلاثة معان، يطلق المعنى الأول على اللسان أو اللغة وذلك في قوله: « فأما الكلام كمصدر واسم جنس فقد استعمله النحاة منذ القديم في مثل هذه العبارات: هذا من

---

[1] ـ ينظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، بهاء الدين بن عقيل، ج1/ ص 13- 16.

[2] ـ شرح الكافية، رضي الدين الاستراباذي، ج1/ ص 31.

[3] ـ المرجع نفسه، ج1/ ص33.

كلام العرب أو ليس من كلام العرب... ففي هذا السياق تدل لفظة كلام على مجموع ما يتكلم به قوم وطريقتهم في الكلام، وهو قريب مما تدل عليه لفظة لسان إلا أنّ في مدلوله معنى الطريقة الخاصة بقوم في الكلام ولهذا يوافق هنا لفظ langage بالفرنسية أي الكلام الخاص بشخص أو بقوم وهو اللغة بمعناها القديم».[1]

والمعنى الثاني يطلق على الخطاب في قوله: « أما المعنى الثاني للفظة الكلام وهو أهم هذه المعاني الثلاثة، فهو الخطاب أي الكلام الحاصل بالفعل بين المتخاطبين وهو باللغات الأجنبية Discours».[2] و المعنى الثالث هو اللفظ المستقل كما قال ابن جني(تعريف سابق) حيث يفسر د. الحاج صالح كلامه بقوله: « ومن الواضح أنّ ما يقصده ابن جني من الكلام هنا... ما يسمى بعد سيبويه بالجملة المفيدة... ويستعمله سيبويه بهذا المعنى زيادة على المعنيين الآخرين».[3]

2-1 تعريف الخطاب لغة:

جاء في لسان العرب: « الخطاب والمخاطبة: مراجعة الكلام... والخُطبة مصدر الخَطِيبْ وخطب الخاطب على المنبر واختطب يَخْطُب خَطَابَةً، واسم الكلام الخُطْبَة... وذهب أبو اسحاق إلى أنّ الخُطْبَة عند العرب: الكلام المنثور المسّجع... والخطبة مثل الرسالة».[4]

---

[1] ـ الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع و الاستعمال العربية، عبد الرحمن الحاج صالح، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية، الجزائر(د ط)، 2012م ، ص12 - 13.

[2] ـ المرجع نفسه، ص13.

[3] ـ المرجع نفسه، ص13 .

[4] ـ لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين ابن منظور، مادة (خطب) ج1/ ص 336.

وجاء في أساس البلاغة: « خاطبه أحسن الخطاب وهو المواجهة بالكلام، وخطب الخطيب خطبة حسنة، وخطب الخاطب خِطبة جميلة».[1]

والخطاب والكلام في اللغة هما نفس الشيء بدليل قول الجويني: « فالكلام، والخطاب و التكلم، والنطق، واحد في حقيقة اللغة».[2]

يتضح من خلال هذه التعاريف أنّ الخطاب في المعنى اللغوي يعني المواجهة بالكلام ومراجعته.

2.2 تعريف الخطاب اصطلاحا:

ورد لفظ الخطاب في الثقافة العربية في عدة مواضع من القرآن الكريم كقوله تعالى عن داود عليه السلام ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾ ﴾ [ص: 20] فقد عدّ الرازي (ت604ه) صفة فصل الخطاب من الصفات التي أعطاها الله لداود، معتبرا إياها علامة من علامات القدرة على الشعور والإدراك .[3] لأنّ فصل الخطاب عنده: « عبارة عن كونه قادرا على التعبير عن كل ما يخطر بالبال ويحضر في الخيال بحيث لا يختلط شيء بشيء، وبحيث ينفصل كل مقام عن مقام ».[4]

يظهر من خلال كلام الرازي أنّ الخطاب هو القدرة على إيصال المعاني وإفهامها.

---

[1] ـ أساس البلاغة، جار الله أبو القاسم الزمخشري ، تح، محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1998م، مادة (خطب)ج1 / ص255.

[2] ـ الكافية في الجدل، الجويني إمام الحرمين، تح فوقية حسين محمود، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة،(د ط) 1979م، ص32.

[3] ـ ينظر: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد المتحدة بيروت لبنان، ط1، 2004م، ص 35.

[4] ـ تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي ، دار الفكر، (دون بلد) ، ط1، 1981م، ج26/ ص 188.

ويعرفه الآمدي(ت631هـ) بأنّه: « اللفظ المتواضع عليه المقصود به إفهام من هو متهيء لفهمه، فاللفظ: احتراز عما وقعت المواضعة عليه من الحركات والإشارات المفهمة... وقولنا " لمن هو متهيء " احتراز عن الكلام لمن لا يفهم: كالنائم و المغمى عليه ونحوه».[1]

يعني هذا أن الخطاب يشترك مع الكلام في خاصية الإفادة، والتي عبّر عنها الآمدي بالإفهام.

أما سيبويه فقد جعل الكلام والخطاب مترادفين في مقابل اللغة، وهذا ما أكده د.الحاج صالح بقوله: « وأما لفظة الكلام عنده فمعناها الخطاب».[2]

والخطاب عند عبد الرحمن الحاج صالح لا يكون إلا بين اثنين، وهو عنده يحمل معنى المحاجة والجدل وإقناع الغير والتأثير فيه.[3]

وقد عرفه طه عبد الرحمن بأنه: « كل منطوق به موجه إلى الغير بغرض إفهامه مقصودا مخصوصا».[4]

وهو يجعل الخطاب والكلام متلازمين ومترادفين كما فعل سيبويه وهذا التلازم يظهر في العلاقة الشديدة بينهما وهذا ما أكده بقوله: « الذي يحدد ماهية الكلام هو العلاقة التخاطبيّة وليس العلاقة اللفظية وحدها: فلا كلام بغير تخاطب... وإذا صح أنّ التخاطب هو الأصل في الكلام، صح معه أيضا أنّ العلاقة التخاطبية هي علاقة أصلية ينبني عليها غيرها ولا تنبني على غيرها؛ فإذا انطوى الكلام على علاقة لفظية، فينبغي أن تكون تابعة

---

[1] ـ الإحكام في أصول الأحكام، علي بن محمد الآمدي ، تعليق عبد الرزاق عفيفي، دار الصميعي، الرياض، السعودية، ط1 ، 2003، م، ج1/ ص 132.

[2] ـ الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية، عبد الرحمن الحاج صالح، ص 24.

[3] ـ ينظر: المرجع نفسه، ص 16.

[4] ـ اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1988م، ص 215.

للعلاقة التخاطبية ولا أدلّ على ذلك من أنّ اللفظ المخاطب به سوف يتحدد لا بالمدلول الموضوع له والمحفوظ في المعاجم، وإنّما بالقصد... والذي يدعو المستمع إلى الدخول في تعقبه مقاميا».[1]

أما الخطاب في الثقافة الغربية : « فهو يطلق، إجمالا على أحد مفهومين؛ يتفق في أحدهما مع ما ورد قديما، عند العرب؛ أما المفهوم الآخر فيتسّم بجدته في الدرس اللغوي الحديث... الأول أنّه ذلك الملفوظ الموّجه إلى الغير، بإفهامه قصدا معيّنا [و] الآخر الشكل اللغوي الذي يتجاوز الجملة ».[2] و ما نلاحظه من خلال هذا القول أنّ المفهوم الأول يتفق مع ما أكده الآمدي في نصه السابق.

ويعرف (بنفنيست Benveniste) الخطاب:« بمعناه الأكثر اتساعا بأنّه كل تلفظ يفترض متكلما ومستمعا وعند الأول هدف التأثير على الثاني بطريقة ما».[3] وقد عرضت ديبورا شيفرن ثلاثة تعريفات تمثل التباين الناجم عن تعدد المناهج الغربية، إذ يجسد المنهج الشكلي تعريف الخطاب بوصفه الوحدة الأكبر من الجملة، أما الاتجاه الوظيفي فيعرفه بوصفه استعمال للغة لذلك دعا إلى الاعتناء بدور السياق في إنتاج الخطاب وتأويله، أما التعريف الثالث فهو تعريف الخطاب بوصفه ملفوظا وهو نقطة تقاطع بين المنهجين السابقين.[4]

ويمكن القول أنّ الخطاب من منظور الاتجاه الشكلي هو النص حيث نظروا إليه على أنّه بنية مجردة دون الالتفات لدور السياق.

---

[1] - اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ، طه عبد الرحمن، ص 215.

[2] - استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، ص 36 - 37.

[3] - المرجع نفسه، ص 36 - 37.

[4] - ينظر: المرجع نفسه، ص 38.

3ـ دور السياق في فهم الخطاب:

بما أنّ الخطاب له ارتباط مباشر بدور السيّاق سواء في الدراسات العربية أو الغربية فإنّه تجدر الإشارة إلى مفهوم السيّاق مع إبراز هذا الدور.

أ ـ السّياق لغة:

ورد السياق في اللغة بمعنى القيادة والمتابعة، قال ابن منظور: « السّوق: معروف ساق الإبل وغيرها يسوقها سوقا وسِياقا... والمساوقة: المتابعة... والسِّياق المهر».[1]

وجاء في المعجم الوسيط: « ساق الحديث: سرده وسَلْسَله. وإليك سياق الحديث: يُوجَّه... تساوقت الماشية ونحوها: تتابعت. وتزاحمت في السير»[2]

ب ـ السيّاق اصطلاحا:

إنّ مصطلح السياق موجود في الثقافة العربية منذ القديم و الدليل على ذلك أنّ:« كتب التفسير وكتب الأصول من أوائل الكتب التي تبلور فيها معنى السياق كمصطلح، كما نجد ذلك في الرسالة للإمام الشافعي (ت204هـ)... وقد تدلّ على السياق ألفاظ أخرى؛ كالمقام ومقتضى الحال، والتأليف وغيرها ».[3] وهذا يدل على أنّ العلماء العرب على اختلاف توجهاتهم لم يكتفوا عند دراسة النصوص أو الخطابات باللفظ اللغوي بل تجاوزوه إلى دراسة الظروف الخارجية.

والسياق عند العرب كان يطلق في أغلب الأحيان على المقام والحال، ويرى د. الحاج صالح أنّ حال الحديث والحال المشاهدة، وتقدم الذكر سمي بعد سيبويه بالقرينة، وقد ظهر

---

[1] ـ لسان العرب، جمال الدين بن منظور، مادة (سوق) ج5/ ص 906.

[2] ـ المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مادة (سوق)، ص 464.

[3] ـ الخطاب القرآني، دراسة في العلاقة بين النص والسياق، خلود العموش، عالم الكتب الحديث، اربد، الأردن ط1، 2005، ص25.

مصطلح السياق لأول مرة عند الأصوليين، وهو اصطلاح شامل لكل دلالة غير لفظية وسميت قرائن لأنّها يقترن بها اللفظ وتردفه فالاقتران زماني والقرينة عند العرب نوعان؛ قرينة حالية وهي الحال التي يكون عليها كل من المتكلم والمخاطب، وحال الحديث وهو زمان ومكان وقوع الحدث والحال المشاهدة، وهما بالغات الأجنبية situation وقرينة مقالية وهي كل كلام متقدم يساعد المخاطب في فهم ماجاء بعده. [1]

يتضح من خلال هذا أنّ القرينة الحالية هي ما يخرج عن اللفظ ويشمل زمان ومكان المتخاطبين، أما القرينة المقالية هي السياق اللغوي بالتعبير الحديث.

كما يرى الحاج صالح أنّ المقام أخص من الحال المشاهدة، لأنّه يخص المتكلم وما ينبغي أن يلتزم به من العبارات وليس مجرد حال مشاهدة.[2] فهذا المقام هو عند الجاحظ ما يتطلب من المتكلم: « أن يعرف أقدار المعاني، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما».[3] غير أنّ مسعود بودوخة يرى أنّ الكثير من الباحثين يضطرب في التفريق بين الحال والمقام، فهناك من يفرق بينهما وهناك من يجعلهما أمرا واحدا، وهذا ما اختاره فهما عنده سواء، وهو ما يتصل بالموقف الكلامي من ظروف.[4] أما خلود العموش فترى أنّ المقام والحال مرتبطان عند البلاغيين بالبعد الزماني و المكاني، فالحال ما ارتبط بالزمان و المقام ما ارتبط بالمكان.[5]

ويتضح من خلال هذا أنّ القرينة الحالية عند العرب هي ما يرتبط بالظروف الخارجية للمتخاطبين، وهي تضم الحال والمقام، أما القرينة المقالية فهي قرينة لفظية تتعلق بالمقال

---

[1] ـ ينظر: الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية، عبد الرحمن الحاج صالح، ص 56.

[2] ـ ينظر: المرجع نفسه، ص 75.

[3] ـ البيان والتبيين، أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ ، تح عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7، 1998م، ج 1/ ص 138.

[4] ـ ينظر: السياق والدلالة ، مسعود بودوخة ، دار الأيام ،عمان الأردن، ط1، 2016م، ص 104.

[5] ـ ينظر: الخطاب القرآني دراسة في العلاقة بين النص والسياق، خلود العموش، ص 55.

حيث تنبه العرب إلى هذه القرينة وأشاروا إليها في كثير من نصوصهم، كقول المرادي في تعريف الحروف:« فإن قيل ما معنى قولهم " الحرف يدل على معنى في غيره؟ " فالجواب: معنى ذلك أنّ دلالة الحرف على معناه متوقفة على ذكر متعلقه ».[1] وكذلك ما قاله ابن يعيش حين تحدث عن تقدم ذكر الغائب في قوله: « والمضمرات لا لبس فيها فاستغنت عن الصفات لأنّ الأحوال المقترنة بها قد تغني عن الصفات، والأحوال المقترنة بها حضور المتكلم والمخاطب و المشاهدة لهما و تقدم ذكر الغائب».[2]

أما السيّاق (context) في البحث الغربي المعاصر فيطلق على: « أجزاء القول... وهو على نوعين الأول منهما يعني جزءا من نص يحيط بكلمة أو قطعة معينة... وهو ما يعرف بالسياق اللغوي للنّصّ، و الثاني منهما يعني الظروف المختلفة التي يقع فيها حدث معين[وهذا النوع يسمى بـ:] سيّاق الموقف ».[3]

فالسياق عند الغربيين نوعان نوع مرتبط ببنية اللغة، ونوع خارج عنها، وهذا ما أثبته العلماء العرب كما ذكرنا سابقا.

أما عن أهمية السياق في فهم الخطاب فتظهر من خلال ما قاله ابن جني عن أهمية معرفة ظروف الكلام من خلال قوله: « ألا ترى إلى قوله:

تقول ـ وصكّت وجهها بيمينها ـ أبعلي هذا بالرحى المتقاعس.

فلو قال حاكيا عنها: أبعلي هذا بالرحى المتقاعس، من غير صكّ الوجه لأعلمنا بذلك أنّها كانت متعجَّبة منكرة، لكنه لما حكى الحال... علم بذلك قوة إنكارها وتعاظم الصورة لها

---

[1] ـ الجنى الداني في حروف المعاني، الحسن بن قاسم المرادي ، تح: فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، ط1، 1992م، ص22.

[2] ـ شرح المفصل، موفق الدين ابن يعيش، بامر المشيخة (دون بلد)، (د ط)، (د ت)، ج3/ ص 84.

[3] ـ السياق والمعنى دراسة في أساليب النحو العربي، عرفات فيصل المنّاع، مؤسسة السياب، لندن، ط1، 2013 م، ص11.

هذا مع أنّك سامع لحكاية الحال غير مشاهد لها، ولو شاهدتها لكنت بها أعرف... فلو كان استماع الأذن مغنيا عن مقابلة العين مجزئا عنه لما تكلّف صاحبها الإقبال عليه والإصغاء إليه ».[1] فابن جني نجده هنا قد: « تنبه إلى دور السياق في نقل الرواية، وذهب إلى أنّه لايَكْفِ نقل المقال... بل يلزم للناظر الناقد التفتيش عن أحوال الرواة حال قولهم وما أحاط بهم من قرائن لفهم أقوالهم ».[2]

كما أنّ له دورا في فهم الأجناس البلاغية، لأنّ هذه الأخيرة لا تحمل وظيفة معدة مسبقا وإنّما يتحدد معناها من خلال وضعها في سياق معين.[3]

و يرى الخطابي نقلا عن براون Brown أنّه: « على محلل الخطاب أن يأخذ بعين الاعتبار السياق الذي يرد فيه جزء من الخطاب، إذ هناك بعض الحدود اللغوية التي تتطلب معلومات سياقية أثناء التأويل... من أجل تأويل هذه العناصر، حين ترد في خطاب ما، من الضروري أن نعرف (على الأقل) من هو المتكلم ومن هو المستمع، وزمان ومكان إنتاج الخطاب».[4]

أما د. عبد الرحمن الحاج صالح فيثبت دور السياق في فهم الخطاب بقوله: « وذلك لأنّ دور الوضع اللغوي لا يتم إلا باندماجه في شبكة من هذه الدلائل الداخلة فيه والخارجة منه».[5] أي أنّ فهم الخطاب لا يتم إلا بشبكة من القرائن اللغوية وغير اللغوية.

---

[1] ـ الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، ج1/ ص 245 - 274.

[2] ـ الأسس الابستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه، إدريس مقبول، عالم الكتب الحديث، إربد ، الأردن، ط1، 2006م ص304.

[3] ـ ينظر: السياق و الدلالة، مسعود بودوخة، ص 56.

[4] ـ لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد الخطابي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2006م، ص 297.

[5] ـ الخطاب والتخاطب نظرية الوضع والاستعمال العربية، عبد الرحمن الحاج صالح، ص 59.

4 ـ العلاقة بين الكلام والخطاب:

إنّ الخطاب والكلام تربطهما علاقة عموم وخصوص، وهذا ما بينه د. الحاج صالح في قوله: « إنّ للفظة كلام مجالا دلاليا واسعا، أما لفظة خطاب فأضيق منها فللكلام مدلولات لا دخل للخطاب فيها مثل: كلام العرب أو العجم ومثل الكلام المستغنى الدال عند سيبويه على الجملة المفيدة، وقد يطلقه المتكلمون على علم النفس، ثم إنّ الكلام قد لا يكون موجها إلى مخاطب معيّن غير خيالي مثل ما يحصل في المونولوج ».[1]

والخطاب في مقابل الكلام عنده هو ما كان: « في مخاطبة، وهذا اللفظ نفسه مصدر خاطب فلا يتصور خطاب إلا في حال خطابية مع مخاطب معين، ثم للخطاب مدلول آخر اختص به دون الكلام... وهو معنى المحاجة والجدل ومحاولة إقناع الغير... وكل هذا يفسر كثرة استعمال الأصوليين والمتكلمين منهم خاصة لكلمة خطاب... أما تفضيل النحاة لكلمة كلام فهو جد معقول فالكلام أعم بكثير... ويمكن أن تراعى فيه البنية والصياغة بقطع النظر عن دوره في المخاطبة ولا نعني بذلك أنّ النحاة تجاهلوا هذا الدور».[2] ويمكن القول أنّه رغم الفرق الواضح بين الكلام والخطاب إلا أنّ كليهما كان يدل عند العرب على مفهوم واحد يخص مجال التواصل.

5 ـ الفرق بين الخطاب والنص:

إنّ الحديث عن ظواهر الخطاب والسياق تجعل منه مفهوما مقابلا للنص فالخطاب عند بعض المناهج الغربية يساوي النص فما هو الفرق بينهما؟

---

[1] ـ الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع و الاستعمال العربية، عبد الرحمن الحاج صالح، ص 16

[2] ـ المرجع نفسه، ص 16.

يمكن تعريف النص من منظور هالداي Halliday ورقية حسن بأنّه كل متتالية من الجمل شريطة أن تكون بينهما علاقات.[1] أما عبد الهادي بن ظافر فيعرفه بأنه: « مجمل القوالب الشكليّة: النحوية والصرفية والصوتية، بغض النظر عمّا يكتنفه من ظروف أو ما يتضمنه من مقاصد ».[2]

في حين أنّ الخطاب كما سبق تعريفه هو الذي يحيل على: « على عناصر السياق الخارجية في إنتاجه وتشكيله اللغويّ، وكذلك في تأويله مما يفترض معرفة شروط إنتاجه وظروفه، كما أنّ هناك فرقا في العلامات المستعملة، فقد ينتج الخطاب بعلامات غير لغوية كما هو الحال في التمثيل الصامت ، أو الرسم الكاريكاتوري، أو الخطاب الإعلاني التجاري الذي يقتصر على استعمال علامات غير لغوية».[3]

ولا فرق بين « الخطاب بشقيه: المكتوب والشفهي، كما يستوي المرسل إليه الحاضر أو المستحضر فلا يقتصر توجيهه إلى المرسل الحاضر عيانا، بل يتجاوز توجيهه إلى المرسل إليه الحاضر في الذهن ».[4]

ويتضح من خلال هذا أنّ الخطاب أعم من النص لأنّه قد يُنتج بعلامات لغوية أو غير لغوية، كما يظهر أنّ الخطاب هو عنصر التواصل لأنه يرتبط بالاستعمال والسياق.

---

[1] ـ ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد الخطابي، ص13.

[2] ـ استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ، عبد الهادي بن ظافر الشهري، ص 39.

[3] ـ المرجع نفسه، ص39.

[4] ـ المرجع نفسه، ص39.

المبحث الثاني: تجليات أفعال الكلام في الدراسات اللسانية الغربية الحديثة.

1 ــ الجذور التاريخية للدرس التداولي :

لقد عرف الدرس اللساني في العقد الثاني من القرن الماضي تحولا هاما، مع بداية الالتفات إلى البعد التواصلي للغة، والاهتمام بدراسة الكلام، وهذا التحول تجاوز النظرة البنوية للغة التي مثلها الاتجاه البنوي إلى الأبعاد المرتبطة بالاستعمال والحدود المؤطرة له، وهذا ما يمثله الدرس التداولي.

وإذا حاولنا الالتفات إلى الجذور الفلسفية والمعرفية التي شكلت الأسس الأولى لهذا التوجه المعرفي، نجد أن أبرز البدايات كانت مع الاهتمام بالعلامة اللغوية، ولعل أبرز محاولة في هذا الشأن هي محاولة الفيلسوف الأمريكي تشارلز موريس الذي ميز بين علم التراكيب وعلم الدلالة والتداولية، يقول محمود نحلة :« يعود مصطلح التداولية pragmatics بمفهومه الحديث إلى الفيلسوف الأمريكي **تشارلز موريس** Charles Morris الذي استخدمه سنة 1938 دالاً على فرع من فروع ثلاثة يشتمل عليها علم العلامات أو السيمية semiotics ... هذه الفروع هي:

1 ـ علم التراكيب syntactic أو syntax: وهو يعنى بدراسة العلاقات الشكلية بين العلامات بعضها ببعض.

2 ـ علم الدلالة semantics: وهو يدرس علاقة العلامات بالأشياء التي تدل عليها، أو تحيل إليها.

3 ـ التداولية: وتهتم بدراسة علاقة العلامات بمفسريها.»[1]

[1] ــ آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، أحمد محمود نحلة، دار المعرفة الجامعية، جامعة الإسكندرية، (د ط)، 2002، ص 9.

حيث « استقر في ذهنه أنّ التداولية تقتصر على دراسة ضمائر التكلّم والخطاب وظرفي المكان والزمان (الآن، هنا) والتعابير التي تستقي دلالتها من معطيات تكون جزئيّا خارج اللغة نفسها، أي من المقام الذي يجري فيه التواصل.»[1]

وهذا بحسب زاوية النظر إلى العلامة، فعلم التراكيب هو دراسة العلاقة بين العلامات اللغوية، وعلم الدلالة هو دراسة العلاقة بين العلامات اللغوية وما تحيل عليه مراجعها ، أما التداولية فهي دراسة العلاقة بين العلامات اللغوية ومستخدميها وربطها بالمقام.

ونبقى دائما في دائرة العلامة اللغوية حيث يُعد **شارل ساندرس بيرس Ch.S.Peirce** من الفاعلين الأساسيين في تأسيس الدرس التداولي من خلال تصوره لإدراك العالم فـ « يتمّ إدراكه بواسطة التفاعل ما بين الذوات، والنشاط السيميائي ، أي: أن هذا يتمّ أساسا بفضل الأدلة signes.»[2]، فيتم الوصول إلى الوقائع التي يحويها العالَم بواسطة العلاقة بين الدوال ومدلولاتها.

كما يعد الفيلسوف **لودفيغ فتغنشتاين L.Wittgenstein** من المؤسسين الأوائل للدرس التداولي من خلال فكرته المتمثلة في ألعاب اللغة « وهو مصطلح يراد به الصبغة المؤسساتية للغة أثناء الاستعمال، فعندما نتكلم نكون قد أخضعنا كلامنا لمجموعة من القوانين الضمنية تجعلنا نميز بها الكلام السوي من غيره، مثلما هو الحال بالنسبة لقواعد مباراة التنس أو لعبة الشطرنج، وهذا يفسر ما اصطلح البعض على تسميته باستراتيجيات الخطاب، فلكل من أطراف الخطاب أسلوبه الخاص في مقابلة الطرف الآخر في الحديث.»[3]

---

[1] ـ التداولية اليوم علم جديد في التواصل، آن روبول وجاك موشلار، تر: سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، المنظمة العربية للترجمة، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص 29.

[2] ـ مدخل إلى اللسانيات التداولية لطلبة معاهد اللغة العربية، تر: محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية: 92/11، الساحة المركزية، بن عكنون، الجزائر، (د ط)، (د ت)، ص8.

[3] ـ تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، عمر بلخير، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، ط1، 2003، ص 9– 10.

كما يعتبِر الكلام « فعلا متحققا في الواقع لا ينفصل عن المؤسسة، إنّ مجرد نطق المتكلم بصيغة الأمر يضفي على نفسه مرتبة الآمر فيضع غيره في مرتبة المأمور، وليتحقق ذلك لا بد من أن تتوفر شروط محددة، وهي شروط خاضعة لأعراف كل لغة ، وقد جعلنا ذلك يتحدث عن التعاقد الذي يمكِّن المتكلمين من التعارف على الصيغ الكلامية المناسبة لكل حال من أحوال الخطاب.» [1]، فالكلام يتم بين متكلمين فأكثر، ولنجاحه لا بد من وجود معرفة مشتركة للعالم وبيئة ثقافية واحدة تتسم بها لغة المتكلمين ، تسمح بالتواصل بأبسط طرقه، وهو التعاقد الذي ذكره فتجنشتاين ، أي: أنّ هناك علاقة قبلية ـ قبل الخطاب ـ يدركها كل من المتكلم والمتلقي، وهذا محل اهتمام الدرس التداولي.

كما يرى **فتغنشتاين** الخطاب بأنّه « ليس مجرد عملية تبليغية بين طرفين ضمن إطار زماني ومكاني، ولا هو أفعال كلامية تتحقق وفق نسق قانونٍ معين، إنّما هو لعبة تضبطها قواعد محددة ترتبط مباشرة بكل فعل من أفعال الحياة، وهذه القواعد تتمثل في ثلاثة أنواع: قواعد اجتماعية، وقواعد استبدالية ، وقواعد نحوية، والاصطلاح هو الذي يحدّد لنا وجه القاعدة الاجتماعية.» [2]، فالخطاب عند فت غشتاين لعبة تضبطها قواعد اجتماعية يحددها الاصطلاح المتفق عليه بين أشخاص ينتمون إلى لغة واحدة، فالخطاب يحدده السياق الاجتماعي والأعراف الاجتماعية المتعارف عليها.

كما يمكن أن نحدّد المنطلقات الأولى للتداوليّة في « أعمال فلاسفة اللغة وبالخصوص في سلسلتي محاضرات قدّمت بجامعة هارفارد (**محاضرات وليم جايمس** William James) ألقاها سنة 1955، **جون أوستين J.L.Austin**... وألقاها سنة 1967 **بول غرايس H.B.Grice**... فقد أدخل **أوستين** في سلسلة محاضراته المخصّصة للفلسفة، مفهوماً سيصبح محورياً في التداوليّة، وهو مفهوم العمل اللغويّ، مدافعا ب ذلك عن الفكرة القائلة بأنّ اللغة في التواصل ليس لها أساسا وظيفة وصفيّة بل لها وظيفة عمليّة ، فإذ

[1] ـ تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، عمر بلخير، ص 10.
[2] ـ المرجع نفسه، ص 10.

نستعمل اللغة فإنّنا لا نصف العالم بل نحقّق أعمالا هي الأعمال اللغويّة ، فكان وجود ظواهر لغويّة خاصّة بالدلالة على العمل اللغويّ أحد برامج البحث الأولى التي اعتمدها اللسانيّون لتأسيس التداوليّة.» [1] فقد تأكد مع **جون أوستين** من خلال محاضرات ـ **وليم جايمس** ـ التي ألقاها بجامعة هارفارد أنّ اللغة تتجاوز البعد الوصفي إلى البعد العملي، حيث تغيرت نظرة الباحثين إلى اللغة بموجب نظرة أوستين ، وعُدّت البدايات الأولى لظهور التداوليّة.

« ولكنّ محاضرات "**بول غرايس**"، بالتوازي مع ذلك كانت محدِّدة بالقدر نفسه ، فقد بيّن ‹غرايس› أنّ اللّغة الطبيعيّة لم تكن كما اعتقد عصرئذ المناطقة والفلاسفة التحليليون ناقصة. ولكنّ العلاقات المنطقيّة التي توظّفها الأقوال عند التواصل (خصوصاً منها علاقات الاستلزام والاستدلال) كانت محكومة بمبادئ أو قواعد مؤسّسة على تصوّر عقلانّي للتواصل، ومذّاك أضحى من الممكن أن نفسّر كيف نبلّغ من المعاني أكثر ممّا ندلّ عليه بقول من الأقوال.»[2]

فأثناء عملية التواصل ـ حسب **غرايس** ـ هناك علاقات منطقية يستدل بها المتلقي للوصول إلى قصد المتكلم ، أي: أنّ هناك دلالة غير مباشرة هي الدلالة التي يتوصل إليها المتلقي بواسطة فعل التأويل وذلك بربط المحتوى القضوي لجملة ما بمجمل المؤشرات المقامية، ويشدّد بول غرايس في التواصل اللغوي على نوايا القائل وعلى فهم المخاطِب لهذه النوايا.

وتجدر الإشارة إلى أن نذكر اعتراف الباحثة **أوريكيوني Orecchioni** بوجود البعد التداولي في اللغة « معتبرة بأنّه لم يعد بحاجة إلى الاستدلال عليه، فإنها في المقابل حذرت من المغالاة في العقيدة التداولية، فاعتبار الممارسة اللغوية مجرّد عمل نفعي مصلحي غائي

[1] ـ القاموس الموسوعي للتداولية، جاك موشلر وآن روبول، تر: مجموعة من الأساتذة والباحثين من الجامعات التونسية بإشراف عز الدين المجدوب، دار سيناترا، تونس، ط2، 2010، ص 21– 22.
[2] ـ المرجع، نفسه، ص 22.

قد يقلّل من شأن الوظيفة الإخبارية للّغة، فأن نتكلم هو أن نفعل قطعا »[1]، وهنا تصرح **أوريكيوني** بأنّ للغة بعداً تداولياً يتجاوز الإخبار، وتلتقي مع علماء التداولية في أنّ الكلام يساوي الفعل أو العمل ، وهو ما سماه أوستين وتلميذه سيرل ب فعل الإنجاز فإنّ « الفعل الكلامي يعني: التصرّف (أو العمل!) الاجتماعي أو المؤسّساتي الذي ينجزه الإنسان بالكلام، ومن ثمّ فـ " الفعل الكلامي" يُراد به الإنجاز الذي يؤديه المتكلّم بمجرد تلفظه بملفوظات معيّنة.»[2]

كما تصف الباحثة الكلام بأنّه « تبادل للمعلومات، ولكنه أيضا تحقيق لأفعال مسيرة وفق مجموعة من القواعد (بعضها كلية حسب هابرماس) من شأنها تغيير وضعية المتلقي وتغيير منظومة معتقداته أو وضعه السلوكي، وينجر عن ذلك أن فهم قول معين يعني التعريف بمحتواه الإخباري وتوجهه التداول ي، أي : قيمته وقوته الكلامية.» [3]، فالكلام ليس من مهامه الإخبارُ فقط، بل يحقق بعداً تداولياً إنجازياً من خلال القيمة التي يحملها.

وفي مراحل لاحقة أصبح الدرس التداولي محل اهتمام العديد من التوجّهات العلمية، فالتف حوله ثلة من العلماء لتطويره، وإرساء أهم أسسه ومقوماته، فقد « أدّت أعمال **أوستين** و **غرايس** في ظرف وجيز إلى ظهور دفق من الأعمال ذات أصول علمّية متعدّدة التوجّهات، مثل فلسفة اللغة واللسانيّات والمنطق وعلم النفس العرفانّي واللسانيّات النفسيّة واللسانيّات الاجتماعيّة والذكاء الاصطناعي ، ولم تمكنّا هذه الأعمال من التقدّم خطوات عملاقة في المعرفة التي لدينا عن اشتغال اللغات الطبيعيّة فحسب بل كان لها أيضا انعكاس كبير على معمار اللسانيّات ويسّرت بالخصوص بيان الصّلات على نحو صريح بين بنية اللغة واستعمالها.»[4]

[1] ـ التداولية والحجاج مداخل ونصوص، صابر الحباشة، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، ط1، 2008، ص 11.
[2] ـ التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، مسعود صحراوي، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2005، ص 10.
[3] ـ تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، عمر بلخير، ص 155.
[4] ـ القاموس الموسوعي للتداولية، جاك موشلر وآن روبول، ص 22.

2 ـ التداولية مفهومها، أسسها :

2 ـ 1 ـ مفهوم التداولية:

2 ـ 1 ـ 1 ـ المفهوم المعجمي للتداولية:

أصل المصطلح من مادة (دول) وجاء في أساس البلاغة « دالت له الدولة ، ودالت الأيام بكذا ، وأدال الله بني فلان من عدوّهم: جعل الكّرة لهم عليه... واستَدل الأيّام: استعطفها... والدهر دُولٌ. وتداولوا الشيء بينهم ...»[1]

ويذكر الفيروز آبادي في قاموسه أنّ « الدَّولة: انقلاب الزمان، والعُقبة في المال... وتداولوه: أخذوه بالدُّول. ودواليك، أي: مداولة على الأمر، أو تداولٌ بعد تداولٍ .»[2]

وجاء في لسان العرب « يقال تداولنا العمل والأمر بيننا بمعنى تعاورناه فعمل هذا مرّة وهذا مرة...».[3]

ومدار المصطلح في مادة (دول) هو التحول والانقلاب والتبادل.

2 ـ 1 ـ 2 ـ المفهوم الاصطلاحي للتداولية:

التداولية حقل لساني يهتم بالبعد الاستعمالي للغة، ويأخذ بعين الاعتبار كلاً من المتكلم والمتلقي، والمكان والزمان وحتى مقام الخطاب، وتعرف أنّها « الدراسة أو التخصص الذي يندرج ضمن اللسانيات، ويهتّم أكثر باستعمال اللغة في التواصل.» [4]، كما يمكن القول بأنّها « فرع من فروع اللغة يبحث في كيفية اكتشاف السامع مقاصد المتكلم speaker intentions أو هو دراسة معنى المتكلم speaker meaning ... فأوجز تعريف للتداولية هو: دراسة اللغة في الاستعمال in use أو في التواصل in interaction لأنّه يشير إلى أن المعنى ليس شيئا متأصلا في الكلمات وحدها، ولا يرتبط بالمتكلم وحده، أو السامع وحده،

---

[1] ـ أساس البلاغة، جار الله أبو القاسم الزمخشري، مادة (دول)، ج1/ ص 303.
[2] ـ القاموس المحيط، مجد الدين الفيروز آبادي، مادة (دول)، ج3/ ص 366.
[3] ـ لسان العرب، جمال الدين بن منظور، مادة (دول)، ج6/ ص 350 – 351.
[4] ـ التداولية من أوستين إلى غوفمان، فيليب بلانشيه، تر: صابر الحباشة، دار الحوار، سوريا، ط1، 2007، ص 19.

فصناعة المعنى تتمثل في تداول negotiation اللغة بين المتكلم والسامع في سياق محدد (مادي، واجتماعي، ولغوي) وصولا إلى المعنى الكامن في كلام ما» [1]، وهذا الأمر استقر في ذهن موريس، حيث اقتصر التداولية « على دراسة ضمائر التكلّم والخطاب وظرفي المكان والزمان (الآن، هنا) والتعابير التي تستقي دلالتها من معطيات تكون جزئيّا خارج اللغة نفسها، أي: من المقام الذي يجري فيه التواصل.» [2]

وجاء في القاموس الموسوعي للتداولية بأنّها « دراسة استعمال اللغة مقابل دراسة النظام اللسانيّ الذي تُعنى به تحديداً اللسانيّات.» [3]، وبما أنّ اللسانيات العامة تهتم بدراسة النظام اللغوي وتحليل مستوياته، فالاستعمال اللغوي من اهتمام اللسانيات التداولية.

كما أنّها تُعنى « بالشروط والقواعد اللازمة للملائمة بين أفعال القول ومقتضيات المواقف الخاصة به، أي: العلاقة بين النص والسياق» [4]، فهناك شروط ضرورية لا بد من اعتمادها حتى يلائم فعل القول موقفه، فالنص اللغوي هو نص مرتبط بموقف ما، له قصد وظروف تلقى فيه، ومنه؛ يُعتمد كأداة لممارسة الفعل على المتلقي.

كما عُرفت التداولية بأنّ ها « دراسة كيف يكون للمقولات معانٍ في المقامات الخطابية.» [5]، وهذا هو المنطلق الذي يميز الدرس التداولي عن باقي الاتجاهات التي سبقته، فالدرس البنوي الذي كان يهتم بنظام اللغة، وعلم الدلالة « الذي يدرس المعنى وفقا للوضع فقط، وبمعزل عن السياق والمقامات التخاطبية. » [6]، وهذا يعني أنّ التداولية تبحث عن القصدية من خلال المقامات التي تستعمل فيها اللغة، عبر سياقات مختلفة، فاستعمال اللغة هو جوهر الدرس التداولي.

---

[1] ـ آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، أحمد محمود نحلة، ص 14.
[2] ـ التداولية اليوم علم جديد في التواصل، جاك موشلر وآن روبول، ص 29.
[3] ـ القاموس الموسوعي للتداولية، جاك موشلر وآن روبول، ص 21.
[4] ـ بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل، عالم المعرفة، الكويت، (د ط)، 1978، ص 20.
[5] ـ مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، محمد محمد يونس علي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط 1، 2004، ص 13.
[6] ـ المرجع نفسه، ص 13.

ويستحسن أن نشير إلى التراجم المختلفة لمصطلح Pragmatique*، فهناك من الباحثين منْ يترجمه بالتداولية، أو النفعية، أو الذرائعية، كما يفعل عدد من اللسانيين العرب توقعا منهم بأن كلاً من المصطلحين Pragmatics، و Pragmatism شيء واحد، فالمصطلح الأول يطلق على الدراسات التي تعنى بالمعنى في السياقات الفعلية للكلام، وهو علم الاستعمال، أما المصطلح الثاني فهو مدرسة فلسفية ظهرت في أمريكا تذهب إلى أن الفكرة النظرية لا تجدي نفعا ما لم تكن لها تطبيقات علمية، فالحقل الأول يقتصر اهتمامه على اللغة خاصة، في حين يُعنى الحقل الآخر بالفلسفة، ومن الأفضل أن يترجم مصطلح Pragmatique بعلم التخاطب.[1]

وكخلاصة لما سبق، يمكن القول بأنّ التداولية مكوِّن لغوي (مكوِّن تداولي) إلى جانب المكوِّن التركيبي والمكوِّن الدلالي [2]، « تقوم على دراسة الاستعمال اللغوي أو هي لسانيات الاستعمال اللغوي ، وموضوع البحث فيها هو توظيف المعنى اللغوي في الاستعمال الفعلي من حيث هو صيغة مركبة من السلوك الذي يولد المعنى .»[3]

وبالنظر إلى ما شاع من تصورات خاطئة عن المنهج التداولي، يوضح مسعود صحراوي أنّ التداولية ليست سلة لمهملات اللسانيات، بحيث تَعْتَبِر كل ظاهرة عجزت اللسانيات عن حلها مجالاً للبحث التداولي، وهذا يدل على أنّ الظواهر التي تدرسها التداولية ليست مهملة بالضرورة، ومن ثَمَّ فهي تقوم بإزالة الغموض عن عناصر التواصل اللغوي وشرح طرق الاستدلال ومعالجة الملفوظات.

وليست مكونّا من مكونات اللسانيات البنوية، لأنّ التداولية ليست هي المرحلة الأخيرة للتحليل اللساني.

---

*ـ ينظر: معجم تحليل الخطاب، باتريك شارودو ودومينيك منغنو، تر: عبد القادر المهيري وحمادي صمود، دار سيناترا، تونس، (د ط)، 2008، ص 442.

[1] ـ ينظر: مدخل إلى اللسانيات، محمد محمد يونس علي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط 1، 2004، ص 102.

[2] ـ ينظر: معجم تحليل الخطاب، باتريك شارودو ودومينيك منغنو، ص 442.

[3] ـ آفاق جديدة في الدرس اللغوي المعاصر، أحمد محمود نحلة، ص 14.

ويمكن أن نجمل أبرز أنشطة التداولية:

في أنّها دراسة استعمال اللغة، حيث أنّها لا تنحصر ضمن الكينونة اللغوية بمعناها البنوي الضيق، بل تتجاوزها إلى أحوال الاستعمال في الطبقات المقامية المختلفة وذلك بحسب أغراض المتكلمين وأحوالهم.

كما تعنى بدراسة الآليات المعرفية التي هي أصل معالجة الملفوظات وفهمها، وهنا تقيم التداولية علاقة وطيدة بين اللغة والإدراك، كما أنّها تقيم روابط بين علمي اللغة والتواصل من خلال دراسة الوجوه الاستدلالية للتواصل الشفوي. [1]

فلكل منهج أنشطته واهتماماته، ولا تخلو أي نظرية أو أي مدرسة أو أي منهج من نقائص، والدراسات مستمرة والبحوث لا تزال قائمة حتى تفنى البشرية.

2 _ 2 أسسها:

من أبرز الأسس التي تقوم عليها اللسانيات التداولية، والتي يتداولها الدارسون المعاصرون نجد: الفعل الكلامي، الاستلزام الحواري، متضمنات القول ...

2 ـ 2 ـ 1 ـ الفعل الكلامي: Acte de parole*

يعرف بأنّه « كلّ ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري ، وفضلا عن ذلك، يُعد نشاطاً مادياً نحوياً يتوسل أفعالا قولية Actes Locutoires لتحقيق أغراض إنجازية Actes illocutiores (كالطلب والأمر والوعد والوعيد...)، وغايات تأثيرية Actes Perlocutiores تخُصُّ ردود فعل المتلقي (كالرفض والقبول) »[2]، فالفعل

---

[1] ـ ينظر: التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي ، مسعود صحراوي، ص 27 – 28.

*ـ اعتمدنا في نقل هذه المصطلحات على كل من: استراتجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، ص 158، والتداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، مسعود صحراوي، ص 30 – 42، واللسان والميزان أو التكوثر العقلي، طه عبد الرحمن، ص 260 (الهوامش: 9، 10، 11)، ونظرية أفعال الكلام بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، طالب سيد هاشم الطبطبائي، مطبوعات جامعة الكويت، الكويت، (د ط)، 1994، ص 30 – 32.

[2] ـ التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي ، مسعود صحراوي، ص 40.

الكلامي يمثل المستوى التركيبي والمستوى الدلالي، يستعمله المتكلم قصد التأثير في المتلقي، وإذا حصل التأثير تم الإنجاز والعمل، ويحدث التواصل بين طرفي الخطاب ، ويعد الفعل الكلامي عند **أوستين** و **سيرل** **G.R.Searele** النواة المركزية للدرس التداولي، حيث يقترح **أوستين** « أن ننظر في الفعل اللغوي كجنس عام من ثلاث جهات: التلفظ والنطق والخطابة ، ويختص فعل التلفظ بمخارج الحروف المادية، ويتعلق فعل النطق بمقاصد العبارة ، أما فعل الخطاب فيهتم بمقاصد المتكلم الخارجة عن العبارة والمفهوم من السياق.» [1]، ففعل الخطاب نصل إليه حين نتلفظ بعبارات وجمل تحمل دلالات، وسنفصل هذا الأمر في مرحلة لاحقة.

2 ـ 2 ـ 2 ـ الاستلزام الحواري:L'implication conversationnelle

يُعد الاستلزام الحواري هو الآخر من أهم المفاهيم والأسس التداولية ، ترجع نشأته إلى الفيلسوف **بول غرايس** من خلال مقالته الشهيرة المعنونة: المنطق والتخاطب Logique et Conversation[2]، حاول من خلاله أن يضع تصوراً للحوار الناجح، حيث كانت بدايته الأولى مع التصور الذي وضعه وهو « أنّ الناس في حواراتهم قد يقولون ما يقصدون، وقد يقصدون أكثر مما يقولون، وقد يقصدون عكس ما يقولون، فجعل كل همه إيضاح الاختلاف بين ما يقال what is said، وما يقصد what is meant، فما يقال هو ما تعنيه الكلمات و العبارات بقيمها اللفظية face values وما يقصد هو ما يريد المتكلم أن يبلغه للسامع على نحو غير مباشر ، اعتمادا على أن السامع قادر على أن يصل إلى مراد المتكلم بما يتاح له من أعراف الاستعمال ووسائل الاستدلال، فأراد أن يقيم معبرا بين ما يحمله القول من معنى صريح explicit meaning وما يحمله من معنى متضمن inexplicit meaning فنشأت عنده فكرة الاستلزام implicature »[3]، فهناك معنى

---

[1] ـ نظرية أفعال الكلام العامة كيف ننجز الأشياء بالكلام، جون لانكشو أوستين، تر: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، المغرب، ط2، 2008، ص 9.

[2] ـ ينظر: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، طه عبد الرحمن، ص 238.

[3] ـ آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، أحمد محمود نحلة، ص 33.

صريح نصل إليه من خلال المعنى المباشر للمفردات، ومعنى مستلزم يبلِغُه المتكلم للسامع بطريقة غير مباشرة، وفق العلاقة القائمة بينهما وبواسطة عملية الاستدلال.

مثال على ذلك:

« أ: هل علي في البيت?

ب: شاهدت سيارة علي تقف عند بائع الخضار في نهاية الشارع.

يحتوي هذا المثال على معنيين اثنين هما:

1- المعنى الصريح الذي يمكن أن يفهم من خلال معاني مفردات التركيب المترابطة فيما بينها بقواعد نحوية، تحافظ على استقامة المعنى العام، وسلامته، دالاً على وقوف سيارة علي عند بائع الخضار، مع إثبات ذلك المعنى بكونه شاهد تلك السيارة.

2- معنى "مستلزم حواريا " لا يفهم من خلال ما تقدمه الجملة من معانٍ، وإنما يعتمد على الإطار العام للحديث، فيفهم من خلاله مثلا أن عليا ليس بالبيت.» [1]، كما يفهم أن عليا يشتري بعض الخضار.

و« لوصف هذه الظاهرة يقترح غرايس (1975) نظريته المحادَثية التي تنصّ أن التّواصل الكلامي محكوم بمبدأ عام (مبدأ التعاون) وبمسلمات حوارية.

وينهض مبدأ التعاون على أربع مسلَّمات Maximes هي:

ـ مسلمة القَدْر Quantité وتخص قدر (كمية) الإخبار الذي يجب أن تستلزم به المبادرة الكلامية، وتتفرع إلى مقولتين:

أ ـ اجعل مشاركتك تُفيد القَدْر المطلوب من الإخبار .

ب ـ لا تجعل مشاركتك تُفيد أكثر مما هو مطلوب.

[1] ـ النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة، أحمد فهد صالح شاهين، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2015، ص 22 – 23.

ـ **مسلمة الكيف Qualité**: ونصها: لا تقل ما تعتقد أنه كاذب ولا تقل مالا تستطيع البرهنة على صدقه.

ـ **مسلمة الملائمة Pertinence**: وهي عبارة عن قاعدة واحدة: لتكن مشاركتك ملائمة.

ـ **مسلمة الجهة Modalité**: التي تنص على الوضوح في الكلام، وتتفرع إلى ثلاث قواعد فرعية: ابتعد عن اللبس، تحَرَّ الإيجاز، تحَرَّ الترتيب.»[1]

وانطلاقا من هذا التصور لمبدأ التعاون، أقر **غرايس** بوجود مسلمات تتصل بكمية المعلومات، وبمدى صدقها وملاءمتها لموضوع الخطاب، والطريقة التي صيغت فيها، فإن تم تقديم معلومات كثيرة أو قليلة، أو السعي وراء إثبات أنّ ما نعتقده كاذب أو ما لا نضمن صدقه، أو قول شيء لايمت بصلة للموضوع، أو أن نتحدث بطريقة مبهمة فيها لبس، فإنّ هذا لا يمثل السلوك المتعاون الذي تحدث عنه " **بول غرايس**" في التواصل، بحيث تصعب على المتلقي عملية التأويل.

فأوضح **غرايس** أنّ هذا المبدأ « يوجب أن يتعاون المتكلم والمخاطب على تحقيق الهدف المرسوم من الحديث الذي دخلا فيه، وقد يكون هذا الهدف محدداً قبل دخولهما في الكلام أو يحصل تحديده أثناء هذا الكلام. »[2]

« ولكي يتمكن المؤول من الوصول إلى فهم صحيح للجملة المستلزمة حوارياً، حاول **غرايس** أن يضع العبارات اللغوية في قوالب تسهل على المؤول استنتاج المعنى، فقسم الاحتمالات الدلالية للعبارة إلى قسمين:

ـ **معانٍ صريحة**: وهي المدلول عليها بصيغة الجملة ذاتها، وتشتمل على:

---

[1] ـ التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي ، مسعود صحراوي، ص 33– 34.

[2] ـ اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، طه عبد الرحمن، ص 238.

أ ـ المحتوى القضوي: وهو مجموع معاني مفردات الجملة مضمومٌ بعضها إلى بعض في علاقة إسناد.

ب ـ القوة الإنجازية الحرفية: وهي القوة الدلالية المؤشر لها بأدوات تصبغ الجملة بصبغة أسلوبية ما.»[1] كالاستفهام، والنداء، والأمر، والنهي ...

ـ معان ضمنية: « هي المعاني التي لا تدل عليها صيغة الجملة بالضرورة، ولكن للسياق دخلٌ في تحديدها والتوجيه إليها، وتشمل ما يلي:

أ ـ معانٍ عُرفية : وهي الدلالات التي ترتبط بالجملة ارتباطاً أصيلاً وتلازم الجملة ملازمة في مقام معين، مثل معنى الاقتضاء.

ب ـ معانٍ حوارية: وهي التي تتولد طبقا للمقامات التي تنجز فيها الجملة، مثل الدلالة الاستلزامية.»[2]

ويوضح مسعود صحراوي هذه المستويات بمثال :

قال الله تعالى:﴿هَلۡ إِلَىٰ مَرَدّٖ مِّن سَبِيلٖ ٤٤﴾ [الشورى: 44].

« فالمعنى الصريح للجملة مشكّل من محتواها القضوي وقوتها الإنجازية.

أما **المحتوى القضوي** فهو ناتج من ضم معاني مكوناتها: الرجوع إلى الحياة الدنيا مرة أخرى بعد الموت ، وأما **قوتها الإنجازية الحرفية** والمؤشر لها بالأداة "هل"، فهي الاستفهام، وينتج معناها الصريح من ضم محتواها القضوي إلى قوتها الإنجازية الحرفية، والمعنى الضمني للجملة، يتألف من معنيين جزئيين هما كالآتي:

معنى عرفي هو **الاقتضاء**، أي اقتضاء حالهم الرجوع إلى الحياة الدنيا.

---

[1] ـ النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة، أحمد فهد صالح شاهين، ص 23.
[2] ـ التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي ، مسعود صحراوي، ص 35.

معنى حواري استلزامي، وهو تمنِّي المتكلمين من المخاطب (الله تعالى) أن يردّهم إلى الدنيا.»[1]

ويذكر العياشي أدراوي في خلاصة كتابه بأن « الاستلزام الحواري يكشف عن الجانب الآخر من التواصل، يجوز تسميته بـ " التواصل غير المعلن " (التواصل غير المباشر). بدليل أن المتكلم يقول كلاما ويقصد غيره، كما أن السامع يسمع كلاما ويفهم منه غير ما سمع.»[2]

2 ـ 2 ـ 3 ـ متضمنات القول Les Implicites :

يعد هذا المصطلح من المفاهيم الأساسية في الدرس التداولي، يتعلق بكيفية نجاح الخطاب والإذعان له فهو:« مفهوم إجرائي تداولي يتعلق برصد جملة من الظواهر المتعلقة بجوانب ضمنية وخفية من قوانين الخطاب، تحكمها ظروف الخطاب العامة كسياق الحال وغيره... ومن أهمها:

أ ـ **الافتراض المسبق Pré – supposition:** في كل تواصل لساني ينطلق الشركاء من معطيات وافتراضات معترف بها ومتفق عليها بينهم. تشكل هذه الافتراضات الخلفية التواصلية الضرورية لتحقيق النجاح في عملية التواصل.»[3]

وتعد الافتراضات المسبقة أو الإضمارات التداولية* بمثابة الأرضية التي يعتمد عليها طرفا الخطاب في إنجاز عملية التواصل.

مثال: في مقام تواصلي معين، يقول شخص (أ) لشخص (ب) : "كيف حال أمك؟"

---

[1] ـ التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي ، مسعود صحراوي، ص 35.

[2] ـ الاستلزام الحواري في التداول اللساني من الوعي بالخصوصيات النوعية للظاهرة إلى وضع القوانين الضابطة لها، العياشي أدراوي، دار الأمان، الرباط، ط1، 2011، ص 130.

[3] ـ التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي ، مسعود صحراوي، ص 30– 31.

* ـ الإضمارات التداولية : هي مقامات التي تكون في الأصل مقامات الكلام وسياقاته من حيث مناسبته لها ومن بين هذه الإضمارات أن المتكلم يخاطب المستمع في حضوره، وأن هناك علاقة تعارف تجمع بينهما، ينظر: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، طه عبد الرحمن، ص 113.

فالافتراض المسبق لهذا الملفوظ هو أن الشخص (ب) أمه على قيد الحياة، وأنّ الشخصين (أ) و (ب) تربطهما علاقة تسمح بطرح هذا السؤال ، فيجيب الشخص (ب) بأنّها بخير، ولكن إذا لم تكن هناك معرفة مشتركة أو خلفية تواصلية بين المشاركين في الخطاب، لرفض الشخص (ب) الإجابة على السؤال، فيجيب من قبيل: غَادَرْتُ المنزل، لا أدري...

والافتراض المسبق هو « في نفس مرتبة الأمر والنهي والاستفهام... لأنّه يساهم في تحويل العلاقات بين المتخاطبين: فهو يفرض واجبات ويضع حقوقا ويوزع الأدوار بين المشاركين، وتتجلى خصوصيته في الطريقة التي يفرض بها إطاراً على المتكلم لاستمرار الحوار.»[1]، كما له دور هام في إنجاح عملية التواصل والإبلاغ، وفي إنجاز الأعمال اللغوية، بحيث « يتم افتراض وجود أساس سابق لدى المتلقي يعتمد عليه المرسِل في بناء خطابه، وينطلق منه المتلقي للوصول إلى غاية المرسِل.» [2]، حتى في « التعليميات Didactique تمّ الاعتراف بدور" الافتراضات المسبقة " منذ زمن طويل، فلا يمكن تعليم الطفل معلومة جديدة إلا بافتراض وجود أساس سابق يتم الانطلاق منه والبناء عليه. »[3]

ب ـ الأقوال المضمرة Les sous – entendus:

تشكل الأقوال المضمرة النمط الثاني من متضمنات القول، حيث « ترتبط بوضعية الخطاب ومقامه على عكس الافتراض المسبق الذي يُحدد على أساس معطيات لغوية. تقول أوركيوني: القول المضمر هو كتلة المعلومات التي يمكن للخطاب أن يحتويها، ولكن تحقيقها في الواقع يبقى رهن خصوصيات سياق الحديث.»[4]

فالقول المضمر عملية استنتاجية يقوم بها المتلقي انطلاقا من سياق الحديث، حيث يذهب **أوزوالد ديكرو O.Ducrot** إلى أنّ « من مميزات القول المضمر أنّه غير مستقر

[1] ـ تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، عمر بلخير، ص 118.
[2] ـ النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة، أحمد فهد صالح شاهين، ص 20.
[3] ـ التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي ، مسعود صحراوي، ص 32.
[4] ـ المرجع نفسه، ص 32.

وهو تابع للحال الصادر ضمنها... وميزته الثانية هي أن المتكلم وخشيته من ردود أفعال مستمعيه التي قد تضر به، يتخفى وراء المعنى الحقيقي ليبعد عنه مسؤولية ما اعتقد الآخر... لذلك يلجأ إلى وضع تأويلات ليخرج نفسه من تلك الوضعية... والميزة الثالثة له أنه يعرف عن طريق عملية استنتاجية، ولكنها لا تتوقف فقط على محتوى الكلام، بل يتدخل فيها سياق الحديث.»[1]

تختلف الأقوال المضمرة عن الافتراضات المسبقة ف ي أنّها « محتويات ضمنية تداولية، أي : استنباطات مستخرجة من السياق من قبل المتلفظ المشارك بفضل استدلال raisonnement عفوي إن قليلا أو كثيرا، يعتمد على مبادئ قوانين الخطاب* تحكم النشاط الخطابي.»[2]، كما يمكن ملاحظة ما يميز القول المضمر عن الافتراض المسبق، رغم انتمائهما إلى نفس النمط « فللافتراض المسبق يكمن وجوده في القول ذاته، وهو يمثل ماهو شائع بين المتخاطبين، على عكس القول المضمر الذي يترك تأويله لمسؤولية المستمعين ، والوصول إلى معرفة الافتراض المسبق هو تحويل الصيغة الكلامية إلى استفهام ثم إلى نفي، والقول المضمر يعرف عن طريق الاستنتاج يقيمه المستمع انطلاقاً من مجموعة من معطيات السياق.»[3]، ونضرب مثالاً على ذلك: " **ساد الظلام** " .

فالسامع لهذا القول، قد يعتقد أن القائل أراد أن يقول:

- انقطاع الكهرباء .
- أو انتشار الآفات الاجتماعية.
- أو فقدان شخص عزيز ...

---

[1] ـ تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، عمر بلخير، ص 119.

* ـ قوانين الخطاب: وهي مبدأ المشاركة، قانون الإفادة، قانون الصدق، قانون الإخبارية، وقانون الشمول، ويعد مبدأ المشاركة العمود الفقري للنشاط الكلامي (مبدأ التعاون) واختزل غرايس باقي القوانين داخل هذا المبدأ، فقانون الإفادة = حكم المناسبة، قانون الصدق= حكم الصدق أوالكيف، قانون الإخبارية= حكم الكمية، وقانون الشمول=حكم البيان أو الجهة، ينظر: تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، عمر بلخير، ص 101– 102.

[2] ـ المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، دومينيك م انغونو، تر: محمد يحياتن، الدار العربية للعلوم ، بيروت، ط1، 2008، ص 119.

[3] ـ تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، عمر بلخير، ص 120.

وقائمة التأويلات مفتوحة مع تعدد السياقات التي يصدر فيها القول، فلا دخل للمعرفة المشتركة (الافتراض المسبق) في تأويل هذا القول.

3 ـ أفعال الكلام عند أوستين:

تعد نظرية الأفعال الكلامية أهم مفهوم في الدرس التداولي الذي لا يمكن تجاهله، حيث ظهر أول أثر لهذه النظرية مع أعمال **أوستين**، وتطورت في مراحل لاحقة خصوصا مع تلميذه **سيرل** و **بول غرايس** كما ذكرنا سابقاً ، وتأكد مع **أوستين** من خلال محاضراته التي ألقاها بجامعة هارفارد Harvard سنة 1955 ونشرت بعنوان كيف نصنع الأشياء بالكلمات؟ (How to do things with words) النص الإنغليزي 1962، الترجمة الفرنسيّة 1970 بعنوان (Qunad dire,c'est fair)[1]، و« يصح أن نعتبر نظرية أفعال الكلام العامة لأوستين أول محاولة جادة تتجاوز بالفعل الطرح الأرسطي في كتابه الخطابة للقول الخطابي، والدراسة البلاغية بإعادة تنظيم منطق اللغة الطبيعية على ضوء الدراسات اللسانية المعاصرة.» [2]، فاللغة في نظر أوستين تتجاوز البعد الوصفي الذي كان يتوهمه الفلاسفة من قبل، فهؤلاء « توهموا حينما افترضوا أن شأن الحكم في القضية إما أن "يصف" حالة شيء ما، وإما أن " يثبت " واقعة عينية.»[3] إلى البعد الإنجازي، وبموجب هذه النظرية تغيرت نظرة الباحثين إلى اللغة، وأصبح القول يساوي العمل كما هو بيِّن في عدة مواطن من كتابه « إن النطق بالجملة هو إنجاز لفعل أو إنشاء لجزء منه.» [4]

والتداولية حسب برنامج هانسون تداوليات ، أي: أنّ هناك درجات في التداولية، وكل درجة لها علاقة بالدرجة التي تليها، حيث « اختار اصطلاح الدرجات بدل الأجزاء،

[1] ـ ينظر: القاموس الموسوعي للتداولية، جاك موشلر وآن روبول، ص 56.
[2] ـ نظرية أفعال الكلام العامة كيف ننجز الأشياء بالكلام، جون أوستين، ص 6.
[3] ـ المرجع نفسه، ص 12.
[4] ـ المرجع نفسه، ص 16.

يدلل على فكرة العبور المتنامي من مخطط لآخر.» [1]، فتداولية الدرجة الأولى تهتم بدراسة الرموز الإشارية، وتداولية الدرجة الثانية هي دراسة طريقة القضايا، في علاقتها بالجملة المتلفظ بها، فالقضية التي تحملها الجملة تختلف عن الدلالة الحرفية لها، أما تداولية الدرجة الثالثة فهي نظرية أفعال الكلام، ويتعلق الأمر بمعرفة ما تم تبليغه باستعمال بعض الأشكال اللسانية، لأن هذه الأشكال التي تتلفظ لا تصف حالة بعينها فحسب بل إنها تنجز أفعالا في موقف تواصلي.[2]

ـ تقسيم أفعال الكلام عند أوستين:

ينطلق **أوستين** في تقديمه لمسألة الفعل الكلامي من منطلق تمييزه بين نوعين من الأقوال: أولها الأقوال التقريرية التي سماها العرب بالأساليب الخبرية التي تخضع لمعياري الصدق والكذب، بحيث يقال لقائلها إنّ ه صادق إن طابقت نسبة الكلام الواقع، أو كاذب إن لم تطابق، أما النوع الثاني فهي لا تصف ولا تخضع لمعيار الأقوال التقريرية بل تتميز عنها بأنّ التلفظ يساوي تحقيق فعل ما في الواقع، وهي الأقوال الإنشائية فتخضع لمعياري النجاح والفشل[3]، ومفاد هذه الفكرة أنّ اللغة تصف وتحقق قيمة عملية إنجازية، فهي تشكل العالم بكل وقائعه، وأحداثه، وأشكاله، وحتى أممه وحضارته، والذي نقل إلينا كل ما حملته هذه الأمم هي اللغة.

ويمكن أن نميز مرحلتين في نظرية أفعال الكلام أو نظرية الأعمال اللغوية كما تطورت معه، في أنّ المرحلة الأولى تتعلق « بالتمييز بين الإثباتات التي تحقّق عملا والإثباتات التي تصف واقعا، وفي المرحلة الثانية تصبح الإثباتات التي تصف واقعا حالة خاصّة (جدا) من الإثباتات التي تحقّ ق عملا.»[4] وهذا يعني أنّ أوستين في البداية رفض

[1] ـ المقاربة التداولية، فرانسواز أرمينكو، تر: سعيد علوش، مركز الانماء القومي، الرباط، المغرب، (د ط)، 1986، ص 38.
[2] ـ ينظر: المرجع نفسه، ص 38.
[3] ـ ينظر: تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، عمر بلخير، ص 156.
[4] ـ القاموس الموسوعي للتداولية، جاك موشلر وآن روبول، ص 56.

فكرة أن الجمل الخبرية تصف الواقع أو ما يسمى بالوهم الوصفي كما سماه أوستين، وقسم الإثباتات (الجمل الخبرية) إلى جمل خبرية وصفية تصف الواقع فقط، وإلى جمل إنشائية تتجاوز الوصف إلى الإنجاز (العمل). فقد كان في المرحلة الأولى « يشكك في الوهم الوصفي بإدخال تمييز ضمن الإثباتات، بين الإثباتات التي تصف حقّا ويمكن أن تكون صادقة أو كاذبة، وهي المسمّاة وصفية، والإثباتات التي لا تصف ولكننا نحقّق بها أعمالا ويمكن أن تكون موفّقة أو غير موفّقة وهي المسمّاة إنشائية. وتكون الأقوال الوصفيّة صادقة إذا وجدت حالة أشياء للتحقّق منها وكاذبة في الحالة المعاكسة، أمّا الأقوال الإنشائية فهي موفّقة إذا توفّرت بعض الشروط وتكون غير موفّقة في الحالة المعاكسة. »[1] فالجمل الخبرية الوصفية إذا تحققت في الواقع فهي صادقة وإن لم تتحقق فهي كاذبة، بينما الجمل الإنشائية فهي (موفقّة) ناجحة إذا تطابقت مع الواقع، وإن فشلت فهي غير موفّقة، وهذا يعني أن التوفيق يقابل الصدق والإنشائي يقابل الوصفيّ.

فقسّم **أوستين** الفعل الكلامي إلى ثلاثة أفعال هي: فعل القول، الفعل المتضمن في القول، والفعل الناتج عن القول، ونفصل فيها كالآتي:

1 ـ فعل القول (أو الفعل اللغوي) Acte locutiore : ويراد به مجموعة « من أصوات لغوية تنتظم في تركيب نحوي صحيح ينتج عنه معنى محدد وهو المعنى الأصلي، وله مرجع يحيل إليه .»[2]، و يتكون هذا الفعل من ثلاثة أفعال صغرى تشكل في مجموعها مقول القول وهي « الفعل الصوتي وهو التلفظ بسلسلة من الأصوات المنتمية إلى لغة معينة، وأما الفعل التركيبي فيؤلِّف مفردات طبقا لقواعد لغة معينة، أما الفعل الدلالي فهو توظيف هذه الأفعال حسب معانٍ وإحالات محددة. »[3]، فبتضافر هذه المستويات الثلاثة يتشكل لنا فعل القول الذي يستعمله أحد طرفي الخطاب، ويشكل النشاط الكلامي ، أي:

[1] ـ القاموس الموسوعي للتداولية، جاك موشلر وآن روبول، ص60.
[2] ـ آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، أحمد محمود نحلة، ص 45.
[3] ـ التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي ، مسعود صحراوي، ص 41.

أن نقول شيئا ما، وهو ما سماه أوستين بـ « العمل القوليّ الذي نحقّقه حين نقول شيئا ما.»[1]

2 ـ الفعل المتضمن في القول Acte illocutiore: وهو الذي يشكل النواة المركزية لنظرية أفعال الكلام، ويمثل فعل الإنجاز « وهو ما يؤديه الفعل الفظي من معنى إضافي يكمن خلف المعنى الأصلي.» [2]، فالمعنى الأصلي أو فعل الإنجاز متضمن في فعل القول، وبالأخص في طريقة التبليغ والوصول إلى الآخرين، ومن خلال هذا الفعل ننجز أعمالا في إطار العلاقة التي تحكم المتخاطبين. والفرق بينه وبين فعل القول هو أن هذا الأخير هو مجرد التلفظ بقول ما، أما فعل الإنجاز فهو قيام بفعل ضمن ذلك القول ، أي: الفعل المتحقق والمنجز نتيجة لقولنا شيئا ما.

3 ـ الفعل الناتج عن القول Acte perlocutoire: أو ما يسمى بالفعل التأثيري، وهو ما « يدل على الحديث بوصفه قادرا على إحداث آثار ثانوية مترتبة على الفعل الإنشائي (الفعل المتضمن في القول)، لكل كلام أثر يمتد بحيث يتجاوز اللحظة التي قيل فيها.»[3]، ويراد به الأثر الذي ينتج عن الفعل المتضمن في القول، ويتجلى هذا الفعل في ردة فعل المخاطب سلوكيا، فإن حقق المتلقي إنجازاً، دلَّ ذلك على تأثره ونجاح الخطاب، وإن لم يحقق المتلقي إنجازا، فقد فشل المتكلم في التأثير على متلقيه ، أو هو ما سماه بـ « عمل التأثير بالقول الذي نحقّقه بواسطة قولنا شيئا ما.»[4]

وما يلاحظ على الفعل الكلامي من زاوية نظر **أوستين**، أنه فعل يشكّل المستويات اللغوية الثلاثة، وهو فعل إنجازي نستطيع من خلاله إنجاز أعمال في الحياة ا ليومية في جميع نواحيها بالكلمات، كما أنّه فعل تأثيري يترك آثاراً معينة في الأشخاص إذا كان فعلاً ناجحاً.

[1] ـ القاموس الموسوعي للتداولية، جاك موشلر وآن روبول، ص65.
[2] ـ آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، أحمد محمود نحلة، ص 45.
[3] ـ تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، عمر بلخير، ص 158.
[4] ـ القاموس الموسوعي للتداولية، جاك موشلر وآن روبول، ص65.

و « يعرض أوستين تباعا الأمثلة التالية:

قال لي: «أطلق عليها النار» وهو يعني بـ «أطلق» معنى أطلق عليها ويحيل بالضمير «ها» على هي.

يحثّني/ ينصحني/ يأمرني بأن أطلق النار.

أقنعني بأن أطلق عليها النار.

في حالة عمل التأثير بالقول، كما هو الشأن في حالة العمل المتضمّن في القول، يتعلّق الأمر باستعمال اللغة ولكنّ الفرق بين العملين يعود إلى وجود مظهر وضعيّ إنشائي في الثاني يخلو منه العمل الأوّل. والعلامة على مدى الاستعمال الوضعيّ هو إمكان التصريح بالعمل المتضمّن في القول بواسطة صيغة إنشائية توافقه. ومن جهة أخرى إذا كان من الممكن أن يكون لعمل التأثير بالقول مثل العمل المتضمّن في القول تأثيرات فإنّ هذه التأثيرات تختلف بحسب كلّ صنف منهما, وتوجد أنواع ثلاثة من التأثيرات ترتبط على نحو مميّز بالأعمال المتضمّنة في القول:

(أ) إنّ فهم معنى القول وقيمته (توافق القيمة نوع العمل المتضمّ ن في القول) يحدّد مباشرة توفيق العمل.

(ب) إنّ التأثيرات المرتبطة وضعيّا بالعمل المتضمّن في القول يجب تمييزها عن التبعات المحتملة لهذا العمل.

(ج) يرتبط النوع الثالث من التأثيرات بكون جلّ الأعمال المتضمّنة في القول تفرض عملا لاحقا إذا كانت موفّقة.»[1]

كما قدم **أوستين** تصنيفاً آخر للأفعال الكلامية من حيث معناها إلى مجموعات وظيفية[2]، وحصرها في خمسة أصناف هي:

[1] ـ القاموس الموسوعي للتداولية، جاك موشلر وآن روبول، ص65 ـ 66.

[2] ـ ينظر: تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، عمر بلخير، ص 158.

1/ ـ أفعال الأحكام verdictives: « وهي الأفعال التي ثبتت في بعض القضايا بناء على سلطة معترف بها رسميا أو سلطة أخلاقية، ولا يُشترط أن تكون دائما إلزامية، فهي قد تدل على التقييم أو التقويم أو الملا حظة، وتشمل على سبيل المثال أفعال:التبرئة، الحكم، التقدير، التحليل، إصدار مرسوم... وقد شبه **أوستين** فعل الحكم بالفعل القانوني المختلف عن الفعل التشريعي والتنفيذي الذي يدخل ضمن مجموعة أفعال الممارسة.»[1]، فهذه الأفعال تدل على الحكم نحو: حكم، قيَّم، برّأ...

2/ ـ أفعال الممارسة Exercitives: وهي الأفعال التي « تتمثل في اتخاذ قرار بعينه كالإذن والطرد والحرمان والتعيين.»[2]، وتسمى بأفعال الممارسة « ولها القوة في فرض واقع جديد مثل الانتخاب ... وهو تحكيم أكثر منه تقدي ر، وقرار أكثر منه حُكم.»[3]

3/ ـ أفعال التعهد (الوعديات) commissives: وهي الأفعال التي يتعهد فيها المتكلم بسلوك معيّن، كما أنّها « تؤسس لدى المتكلم إلزامية القيام بعمل ما معترف به من قبل المخاطب، فإنّ المتكلم بتفوهه بالكلام يؤسس وجوب القيام بمحتوى قوله .»[4]، ومثال هذه الأفعال: أتعهد، ألتزم، أضمن، أقسم...

4/ ـ أفعال السلوك behabitives:« هي التي تكون رد فعل لحدث ما.» [5]، كما أنّها « تشكل مجموعة متباينة ترتبط بالسلوك الاجتماعي للمتكلم، وهي التي تحمل المتكلم على اتخاذ الموقف المنصوص عليه في القول إزاء المخاطب مثل: التهنئة،

---

[1] ـ المرجع نفسه، ص 159.
[2] ـ آفاق جديدة في الدرس اللغوي المعاصر، أحمد محمود نحلة، ص 46.
[3] ـ تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، عمر بلخير، ص 159.
[4] ـ تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، ص 159.
[5] ـ آفاق جديدة في الدرس اللغوي المعاصر، أحمد محمود نحلة، ص 46.

التعزية، الشكر...»[1]، فهذه الأفعال يعبر بها المتخاطبون عن مواقفهم اتجاه سلو ك الآخرين كـ:أعتذر عن فعلي هذا.

كما أنّ الاعتذار والشكر والمواساة والتحدي تمثل هذا النوع من الأفعال.[2]

5/ ـ أفعال الإيضاح (العرض) expositives: وهي أفعال تدل على العرض يستعملها المتخاطبون أثناء تقديم تصوراتهم وحججهم أثناء الخطاب « تدخل في علاقة مع ما يقوله المتكلم عند الحديث عن طريق الحجاج.» [3]، نحو: الاعتراض، التشكيك، الإنكار، الموافقة.[4]

وعلى العموم، فإن ما طرحه **أوستين** بخصوص أفعال الكلام فتح نقاشاً واسعاً انخرطت فيه مجموعة من الباحثين، خاصة **سيرل** و **غرايس** « والملاحظ أيضا أن هذا التقسيم لم يحظ بالإجماع، فـ **سيرل** لم يقتنع بهذا التصنيف نظراً للغموض الذي وقع فيه **أوستين** لأنّه لم يحدد معالم كل مجموعة ، فمن مآخذ التصنيف الأوستيني أنّه يفتقر إلى أسس ثابتة وواضحة.»[5]

4 ـ أفعال الكلام عند سيرل:

يعد الفيلسوف الأمريكي **جون سيرل** أحد أهم الباحثين الذين يمثلون أتباع **أوستين**، بتناوله نظرية أفعال الكلام ومحاولة التطوير فيها، وتأكد معه ذلك من خلال كتابه الموسوم بـ « الأفعال اللغوية (Speech acts)، الذي صدر عام 1969 بالإنجليزية، وترجم إلى الفرنسية سنة1972، فقد تبنى بشكل من الأشكال، اقتراحات **أوستين** مشدداً على

[1] ـ تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، عمر بلخير، ص 159.
[2] ـ ينظر: آفاق جديدة في الدرس اللغوي المعاصر، أحمد محمود نحلة، ص 46.
[3] ـ المرجع نفسه، ص 46.
[4] ـ ينظر: المرجع نفسه، ص 46.
[5] ـ تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، عمر بلخير، ص 159ـ 160.

أنّ فعل القول لا يمكن تحققه من دون قوة إنجازية.» [1]، كما قدم العديد من الأفكار بخصوص الأفعال اللغوية، نذكر منها:

1/ ـ « ارتباط اللّغة بالأفعال اللسانية: إنّ التكلّم بلغة ما، يعني تحقيق أفعال لغوية... وتغدو هذه الأفعال ممكنة في ظل قواعد تعمل على استخدام العناصر اللغوية، وطبقاً لهذه القواعد تتتحقق الأفعال اللغوية.

2/ ـ قاعدة التواصل اللغوي مبنية على الفعل اللغوي: كل تواصل لغوي، لاينبني على الرمز، أو على اللفظ، أو على الجملة، وليس هو تواتر هذه العناصر، بل التواصل أداء للرمز واللفظ والجملة، أو بثّها (Emission) لحظة تحقيق فعل لغوي معين.

3/ ـ عدم استقلال معنى الجمل (دلاليا) عن معنى أفعال اللغة (تداوليا): إنّ دراسة دلالة الجمل، لا تتميز ـ مبدئيا ـ عن دراسة أفعال اللغة ... وبما أنّ كل جملة تحمل معنى محدداً، فإنّه يمكن أن تستعمل بدلالتها نفسها لإنجاز سلسلة من الأفعال اللغوية الخاصة... ولهذا فإنّ دراسة دلالة الجمل ودراسة أفعال اللغة، لا يشكلان مجالين مستقلين بل مجالاً واحداً.» [2]

كما سبق وذكرنا أن **سيرل** من أتباع **أوستين**، لتناوله النظرية الأوستينية وتطويرها، حيث « طوّر فيها بُعدين من أبعادها الرئيسيّة هما: المقاصد والمواضعات ، وبالفعل يمكننا اعتبار الأعمال اللغويّة والجمل التي أُنجزت بواسطتها وسيلةً تواضعيةً للتعبير عن مقاصد وتحقيقها.» [3]، وبتناوله لهذه النظرية ركز على بعدين من أبعادها، انطلاقا من مبدإ أنّ الجمل المحققة للأعمال اللغويّة هي وسيلة تواضعية للتعبير عن مقاصد معينة

[1] ـ الاستلزام الحواري في التداول اللساني من الوعي بالخصوصيات النوعية للظاهرة إلى وضع القوانين الضابطة لها ، العياشي أدراوي، ص 88.
[2] ـ المرجع نفسه، ص 88 ـ 89.
[3] ـ التداولية اليوم علم جديد في التواصل، آن روبول وجاك موشلر، ص 33.

وتحقيقها، ويتمثل البعد ان في المقاصد والمواضعات، وحتى « أثر الاتفاق والمواضعة في التواصل أمر أساسي في نظرية **أوستين.**»[1]

إذن؛ يُعد ما قدمه **سيرل** في بداية اهتمامه بالفعل اللغوي إسهاماً « يرمي إلى تدعيم البعد التواصلي وتطويره، على اعتبار أن التحدث بلغة ماهو إلا القيام بأفعال لغوية محددة ، وعليه عمد إلى تحديد مفهوم الفعل الإنجازي في نظرية "أفعال الكلام" ضمن صياغة جديدة لما اقترحه **أوستين.**»[2]، فانصب اهتمام **سيرل** على الأعمال المتضمنة في القول، فتمثل هذا الاهتمام في « التمييز داخل الجملة بين ما يتصل بالعمل المتضمن في القول في حدّ ذاته، وهو ما يسميه **واسم القوة المتضمّنة في القول،** وما يتصل بمضمون العمل وهو ما يسميه **واسم المحتوى القضوي .**»[3]، فيشير المفهوم الأول إلى العمل المتضمن في القول المتحقق، في حين يشير المفهوم الثاني إلى القضية المعبر عنها أو المعدة لذلك.

ويميز الباحثون في هذه النظرية بين مرحلتين أساسيتن: مرحلة الفعل اللغويّ المباشر مثلتها أعمال **أوستين،** في حين كان **سيرل** مركزاً اهتمامه على « أفعال اللغة غير المباشرة، بهدف بناء النظرية وتنسيقها.»[4]، التي مثلت المرحلة الثانية للنظرية « ففي العمل اللغويّ غير المباشر ينتج المتكلم عملاً متضمّناً في القول أوّليّا بواسطة عمل متضمّن في القول ثانويّا، وهو يقصدُ أن يتعرّف سامعُه إلى قصده المتضمّن في القول ـ إنجاز العمل الأوّل ـ .»[5]

ـ تقسيم أفعال الكلام عند سيرل:

قام **سيرل** بإعادة وضع تصنيف جديد لأفعال الكلام، بحيث خالف جزئياً أستاذه **أوستين** في تصوره لبنية الفعل الكلامي، وعلى إثر هذا التصنيف وضع معاييراً « بلغت

[1] ـ نظرية أفعال الكلام العامة كيف ننجز الأشياء بالكلام، جون أوستين، ص 11.
[2] ـ الاستلزام الحواري في التداول اللساني من الوعي بالخصوصيات النوعية للظاهرة إلى وضع القوانين الضابطة لها ، العياشي أدراوي، ص 89 – 90.
[3] ـ التداولية اليوم علم جديد في التواصل، آن روبول وجاك موشلر، ص 33.
[4] ـ الاستلزام الحواري في التداول اللساني من الوعي بالخصوصيات النوعية للظاهرة إلى وضع القوانين الضابطة لها ، العياشي أدراوي، ص 90.
[5] ـ القاموس الموسوعي للتداولية، جاك موشلر وآن روبول، ص 220.

اثني عشر معياراً ، كان أولها معيار الاختلافات في الهدف من الفعل اللغوي ، فيمكن أن يحدّد الهدف من الأمر على أنّه محاولة جعل المرسل إليه يفعل شيئا... والهدف من الوعد هو تعهد المرسل بإلزام نفسه أن يفعل شيئا، وقد أُطلق مصطلح الهدف من أيّ صنف من الإنجازات على الهدف الإنجازي، وهو جزء من القوة الإنجازية، ولكنّه ليس مطابقاً لها، وبهذا، فإنّ الهدف الإنجازي للطلب هو ذاته الهدف الإنجازي للأمر ، وكلاهما يحاول أن يجعل المرسل إليه يقوم بفعل شيء ما. »[1]، أي: أنّ تصنيف الفعل اللغويّ يجب أن يكون له غرض إنجازي محدد، وبهذا يكون جزءا من القوة الإنجازية ، أما المعيار الآخر فتمثل في « اتجاه المطابقة بين العلامات اللغوية والعالم الواقعي*: وهو يرى أنّ بعض الأعمال اللغويّة مثل: الإخبار الذي ينحو نحو جعل القول مطابقاً للكون الخارجي، بينما تنحو بعض الأعمال اللغويّة الأخرى مثل الوعد نحو جعل الكون مطابقا للقول.»[2]، أي: أنّ هناك أعمالاً لغويةً تطابق العالم الخارجي كفعل الإخبار الذي ينقل لنا الوقائع من العالم، كما أنّ شرط الصدق هو الآخر من أهم المعايير التي اعتمد ها **سيرل** في تصنيفه، وهذا المعيار يحدد « الحالة النفسية للمتكلم أثناء إنجاز الفعل بحيث ينبغي أن يكون جاداً في ذلك» [3]... إلى غيرها من المعايير.

وبالاستناد على هذه المعايير أعاد سيرل تصنيف الأفعال الكلامية، حيث بلغت خمسة أصناف، وهي على النحو التالي:

---

[1] ـ استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، ص 157.

*ـ هناك اتجاه المطابقة من القول إلى العالم: يتحقق النجاح في حالة تطابق المحتوى مع واقعة مستقلة في العالم. واتجاه المطابقة من العالم إلى القول: يتحقق النجاح في المطابقة بتغير العالم ليطابق المحتوى القضوي للمتضمن في القول. واتجاه المطابقة المزدوج: يتحقق النجاح في المطابقة بتغير العالم ليطابق المحتوى القضوي بتمثيل العالم على أنّ ه تغيّر على هذا النحو. وأخيرا اتجاه المطابقة الفارغ: لا توجد مشكلة في نجاح تحقق المطابقة بين المحتوى القضوي والعالم، لأنّه عموما، يقع القول مع افتراض حصول المطابقة مسبقا، ينظر: نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، طالب سيد هاشم الطبطبائي، ص29.

[2] ـ التداولية من أوستين إلى غوفمان، فليب بلانشيه، ص 62 ـ 63.

[3] ـ الاستلزام الحواري في التداول اللساني من الوعي بالخصوصيات النوعية للظاهرة إلى وضع القوانين الضابطة لها ، العياشي أدراوي، ص 90.

1/ ـ الأفعال الإثباتية أو الأفعال التأكيدية أو التقريرية (Assertives): والهدف من هذه الأفعال هو « التعهد للمستمع بحقيقة الخبر. فهي أن نقدم الخبر بوصفه تمثيلا لحالة موجودة في العالم.»[1] ومثال ذلك:المطر ينزل. « وتنطوي جميع الإثباتيات على اتجاه ملاءمة من الكلمة إلى العالم، وشرط الصدق في الإثباتيات هو دائما الاعتقاد.»[2]، فلا بد من الأمانة في النقل والتعبير عن الوقائع، وتقابلها عند أوستين الحكميات.

2/ ـ الأفعال التوجيهية (Directives): « وغرضها الإنجازي محاولة المتكلم توجيه المخاطب إلى فعل شيء معين.» [3]، فمفادها جعل المخاطَب يتصرف بطريقة تلائم المحتوي الخبري الذي تلقاه، مع القيام بفعل معين «واتجاه الملاءمة هو دائما من العالم إلى الكلمة، وشرط الصدق النفسي المعبر عنه هو دائما الرغبة.» [4]، وتشمل الأمر، الطلب، النهي... نحو: "ابتعد".

3/ ـ الأفعال الإلزامية (Commissives): هذه الأفعال هي الأفعال الإنجازية حيث « يتبنى **سيرل** التعريف الأوستيني للإلزامات، كشيء لا يمكن تجاوزه ، فالإلزامات هي الأفعال الإنجازية، التي تكون فيها الوجهة، في جعل المتكلم ينخرط في إنجاز فعل مستقبلي.»[5]، فهدف هذه الأفعال هي التزام المتكلم بإنجاز فعل ما في المستقبل كالوعد والوصية « واتجاه الملاءمة في الإلزاميات هو دائماً من العالم إلى الكلمة، وشرط الصدق المعبر عنه هو دائما القصد.» [6]، فكل وعد هو تعبير عن قصد القيام بمحتوى ذلك الوعد، وإنجازه في المستقبل.

---

[1] ـ العقل واللغة والمجتمع الفلسفة في العالم الواقعي، جون سيرل، تر: سعيد الغانمي، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، ط1، 2006، ص 217.
[2] ـ المرجع نفسه، ص 217.
[3] ـ آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، أحمد محمود نحلة، ص 49.
[4] ـ العقل واللغة والمجتمع الفلسفة في العالم الواقعي، جون سيرل، ص 218.
[5] ـ المقاربة التداولية، فرانسواز أرمينكو، ص 67.
[6] ـ العقل واللغة والمجتمع الفلسفة في العالم الواقعي، جون سيرل، ص 218.

4/ ـ الأفعال التعبيرية (Expressives): « وهدفها التعبير عن حالة نفسيّة محددة بشرط عقد النيّة والصدق في محتوى الخطاب عن تلك الأمور المحدّدة.» [1]، ويحددها **سيرل** بأنّها « التعبير عن شرط الصدق للفعل الكلامي... والمحتوى الخبري في التعبيرات من الناحية النمطية ليس له اتجاه ملاءمة،لأن حقيقة المحتوى الخبري يُسلَّم بها فحسب. إذا قلت: " أعتذر لضربك " ، أو " تهانيناعلى فوزك بالجائزة "، فأنا أسلم تسليما بأنني ضربتك، أو أنك فزت بالجائزة.» [2]، وتتمثل هذه الأفعال ـ كما رأينا ـ في الاعتذار، التهاني، الترحيب والسرور، التعزية، والتشكر...

5/ ـ الأفعال التصريحية (Declaratives): حيث يكون الهدف من هذه الأفعال هو « إحداث واقعة، وحيث التوافق بين الكلمات والعالَم مباشر.» [3]، أي: إحداث تغيير في العالم بمجرد التلفظ بهذه الأفعال، فإن تم التغيير اعلم أن هذه الواقعة لم تكن من موجودة من قبل، وعليه يصرح **سيرل** بأنّ « اتجاه ملاءمة مزدوج لأننا نغير العالم، وهكذا نحقق اتجاه ملاءمة من العالم إلى الكلمة بتمثيله وكأنه تغير، وهكذا اتجاه ملاءمة من الكلمة إلى العالم. وتنفرد التصريحات بين الأفعال الكلامية بكونها تحدث التغييرات في العالم فقط بفضل الأداء الناجح للفعل الكلامي.» [4]، والأفعال الدالة على على ذلك: الإعلان، الإخبار، الإعلام... ومثال ذلك: **أعلنت عليكم الحرب.**

وفيما يتعلق ببنية الفعل اللغويّ عند **سيرل،** فإنه قد خالف أستاذه جزئياً في تصوره، حيث قدم تصنيفاً جديد الفعل اللغويّ أثناء التلفظ به يتضمن أربعة جزئيات، تمثلت في :

[1] ـ استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، ص 158.
[2] ـ العقل واللغة والمجتمع الفلسفة في العالم الواقعي، جون سيرل، ص 219.
[3] ـ التداولية من أوستين إلى غوفمان، فيليب بلانشيه، ص 66.
[4] ـ العقل واللغة والمجتمع الفلسفة في العالم الواقعي، جون سيرل، ص220.

1 ـ فعل التلفظ (Acte d'énonciation): « والمقصود به عملية أداء الكلام، والتأليف بين مكوناته.» [1]، ويضم كلاً من الفعلين الصوتي والتركيبي، ويقابله فعل القول عند أستاذه.

2 ـ الفعل القضوي (Acte propositionnel): وهو يعادل الفعل الدلالي الذي كان جزءا من فعل القول في تصور **أوستين**، إلا أنّه عند **سيرل** « يشمل عنصري المعنى والإحالة، حيث أصبح عند سيرل فعلا مستقلا، يسمى الفعل القضوي ، ويتضمن فعلي الإحالة* والحمل*.»[2]

3 ـ الفعل الإنجازي (Acte illocutionnaire): وهو الفعل المعبر عنه بالقول كـ « الاستفهام، والأمر، والنهي، والوعد...إلخ

4 ـ الفعل التأثيري (Acte perlocutionnaire): يتعلق بالنتائج التي يحدثها الفعل الإنجازي بالنسبة للمخاطب.»[3]

وما يمكن ملاحظته على كلا التقسيمين، أنّ **أوستين** لم يكن راضياً بالتقسيم الذي وضعه، ولم يستطع أن يضع نظرية متكاملة للأفعال الكلامية « فلم يكن ما قدمه من تصور كافياً ولا قائماً على أسس منهجية واضحة محددة ، فقد خلط بين مفهوم الفعل كقسم من أقسام الكلام والفعل كحدثاً اتصالياً، ولم يقم تحديده للأفعال وتصنيفه لها على أساس راسخ فتداخلت فئاتها و أدخل في بعض الفئات ما ليس منها ، لكنه برغم ذلك وضع بعض المفهومات المركزية في النظرية، ومن أهمها تمييزه بين محاولة أداء الفعل الإنجازي والنجاح

[1] ـ الاستلزام الحواري في التداول اللساني من الوعي بالخصوصيات النوعية للظاهرة إلى وضع القوانين الضابطة لها ، العياشي أدراوي، ص92.

* ـ فعل الإحالة: دوره الربط بين المتخاطبين، فالضمائر هي التي تحدد القضية للمتلقي وتضعه في دائرة الخطاب وتربطه بالطرف الآخر.

* ـ فعل الحمل: هو فعل الإسناد بالمصطلح الشائع، أي: نسبة المحمول إلى الموضوع.

[2] ـ الاستلزام الحواري في التداول اللساني من الوعي بالخصوصيات النوعية للظهرة إلى وضع القوانين الضابطة لها ، العياشي أدراوي، ص 92.

[3] ـ المرجع نفسه، ص 92.

في أداء هذا الفعل، وتمييزه بين ما تعنيه الجملة وما قد يعنيه المتكلم بنطقها، وتمييزه بين الصريح من الأفعال الأدائية والأوّلى منها.» [1]، فقد اعتبر الفعل حدثا اتصاليا، تتم به دورة الخطاب بين متخاطبين في مقامٍ ما، كما اعتبره قسماً من أقسام الكلام (اسم، فعل، وحرف)، والذي يحسب له هو تمييزه بين الفعل الإنجازي والفعل التأثيري، وبين دلالة الجملة في حد ذاتها، وما يقصده المتكلم أثناء نطقه بتلك الجملة.

وحين قام **سيرل** بوضع تصنيف جديد للأفعال الكلامية، هو الآخر لم ينج من الانتقادات التي وجهت له « أهمها تلك التي وجهها و **ندرلايش** و**ريكانتي**، إذ يرى الأول أن كلاً من تقسيم **أوستين** و**سيرل** غير مقنع، ويرى **وندرلايش** و**ريكانتي** أنّ أفعال الوعد مثلا لا تشكل نمطا كليا لأفعال الكلام، إنما يجب اعتبارها مجرد استجابات لأفعال التوجيه ، و**سيرل** يعتبر أنّ الاستفهام مثلا هو جزء من أفعال التوجيه، وبما أن الاستفهام من الناحية النحوية نجده معلما أو موسوما، فإنه لا بد أن يشكل بذاته فعلا مستقيما» [2]، أي: أنّ هناك خلطاً في تقسيم الأفعال، حيث عدَّ كل من **وندرلايش** و **ريكانتي** أفعال الوعد مجرد استجابات لأفعال التوجيه، كأن المخاطِب عندما يتكلم مع مشاركه، يوجهه إلى القيام بفعل ما.

ويذكر الطبطبائي عدة ملاحظات على تقسيم **سيرل**، نذكر منها « أنّ **سيرل** يعترف بمشكلته في بيان العلاقة بين الوعديات والأمريات، ومنشأ المشكلة اشتراكهما في اتجاه المطابقة، وقد اقتُرح عليه ردّ الوعديات إلى الأمريات على أنها طلبات للمتكلم من نفسه، كما قد اقتُرح عليه ردّ الأمريات إلى الوعديات بتفسيرها إلزامات للمخاطب.» [3]، وكأن الأمريات في نفس خانة الوعديات، فالأمريات تمثل طلبات المتكلم، فحين تمثل الوعديات استجابات

[1] ـ آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، أحمد محمود نحلة، ص 70 –71.
[2] ـ تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، عمر بلخير، ص 161– 162.
[3] ـ نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، طالب سيد هاشم الطبطبائي، ص 34.

(إلزامات) المخاطَب لتلك الأمريات، ويمكن أ ن ندرجهما في تصنيف واحد ضمن تصنيفات **سيرل** للأفعال الكلامية.[1]

[1] ـ ينظر: نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، طالب سيد هاشم الطبطبائي، ص 34.

المبحث الثالث: أفعال الكلام في الدرس العربي القديم والحديث وعلاقة ذلك بأغراض الخبر والإنشاء.

قبل التطرق إلى أفعال الكلام عند العرب القدماء والمحدثين، تجب الإشارة إلى مفهوم الخبر والإنشاء، وعلاقتهما بنظرية أفعال الكلام كنظرية غربية قائمة بنفسها، كما تجدر الإشارة إلى المعايير المعتمدة من طرف العلماء العرب في تقسيمهم للكلام إلى خبر وإنشاء.

1ـ تعريف الخبر والإنشاء:

يرى القزويني(ت793هـ) أنّ الكلام إما خبر وإما إنشاء، فالخبر ما كان لنسبته خارج تطابقه أو لا تطابقه والإنشاء ليس لنسبته خارج .[1] أو بتعريف آخر كما قال الهاشمي:« الخبر هو ما يحتمل الصدق أو الكذب لذاته... والمراد بصدق الخبر مطابقته للواقع، ونفس الأمر، والمراد بكذبه عدم مطابقته له... [أما الإنشاء] ما لا يحتمل الصدق والكذب لذاته ... ولا يتحقق إلا إذا تلفظت به».[2] فالخبر إذن ما يمكن القول عنه أنّه صادق أو كاذب؛ لأنّ له نسبة في الواقع يمكن الاحتكام إليها، أما الإنشاء هو عكس الخبر؛ لأن لا وجود له في الواقع وإنما يتحقق عند التلفظ به.

2 ـ علاقة الخبر والإنشاء بنظرية أفعال الكلام:

لقد صرح الكثير من المحدثين العرب عن العلاقة الواضحة التي تظهر بين أسلوبي الخبر والإنشاء، ونظرية أفعال الكلام الغربية، لأنّ العرب درسوا اللغة كخطاب يخضع لقوانين الاستعمال والمقام، فكان أن تحدثوا عن أغراض الكلام ومقصدية المتكلم ومن هؤلاء نجد محمود نحلة الذي صرح قائلا:« والمدخل الصحيح إلى هذه النظرية العربية لأفعال

[1] ـ ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، جلال الدين الخطيب القزويني، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، (د ط)، (د ت)، ص 16.

[2] ـ جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، السيّد أحمد الهاشمي، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1999م، ص 55 - 69.

الكلام باب من أبواب علم المعاني وهو الخبر والإنشاء ».[1] أما محمود الصراف فيرى أنّ ما قدّمه العرب هو: « صورة مشابهة إلى حد بعيد لنظرية الأفعال الكلامية الحديثة مع اختلافات خضعت لقوانينهم تلك».[2] و المقصود بالقوانين هنا قوانين التفسير والتحليل.

ويؤكد د. حسن عبد العزيز على وجود تشابه حقيقي بين ما قدّمه أوستين وسيرل وما قدمه العرب قديما، وعلى وجه الخصوص قضية الإنشاء والخبر.[3]

أما مسعود صحراوي فقد اعتبرها نظرية بقوله: « تعتبر نظرية الخبر والإنشاء عند العرب ـ من الجانب المعرفي العام ـ مكافئة لـ : مفهوم الأفعال الكلامية عند المعاصرين.[4]

وقد تفطن العرب منذ القديم إلى أنّ الكلام فعل كما جاء عند أوستين، وهذا ما أكده خليفة بوجادي في قوله: « عدّ سنان الخفاجي الكلام (فعلا) لا يختلف عن الضرب التحريك، الإسكان، في وصف ما هو عليه الواقع ».[5] ويؤكد د. الحاج صالح ذلك بقوله: « وهذه المعاني [الأغراض] هي في واقع الخطاب أفعال للمتكلم... فهو الذي يؤكد ويستفهم وينفي ويشترط ويأمر وينهي».[6]

3ـ معايير تمييز العرب بين الخبر والإنشاء:

لقد قام العرب على اختلاف عصورهم واتجاهاتهم بتقسيم الكلام إلى خبر وإنشاء، وفق معايير مختلفة منطقية وتداولية، أوردها مسعود صحراوي وسنحاول إيجازها كالتالي.

---

[1] ـ آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة، ص 85.

[2] ـ في البراجماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة دراسة دلالية في معجم سياقي، علي محمود الصراف، مكتبة الآداب ، القاهرة، ط1، 2010م، ص10.

[3] ـ ينظر: المرجع نفسه ،ص 10.

[4] ـ ينظر: التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، مسعود صحراوي، ص 49.

[5] ـ في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، خليفة بوجادي، بيت الحكمة، العلمة الجزائر، ط1، 2009م، ص 169.

[6] ـ الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية، عبد الرحمن الحاج صالح، ص 147.

المعيار الأول: قبول الصدق والكذب

يعتبر هذا المعيار أشهر المعايير التي ميز بها العلماء العرب بين الخبر والإنشاء حيث يرى السكاكي أنّ الخبر والطلب: « يفترقان باللازم المشهور وهو احتمال الصدق والكذب».[1] وقد كان جل البلاغيين والعلماء العرب على رأي أبي يعقوب السكاكي الذي رفض تعريف الخبر والطلب تعريفا حديا أي تعريفا بذاتيهما، وأقر أنّ التعريف المناسب لهما هو التعريف بلوازمهما، واللازم الذي يعرفان به هو قبول الصدق والكذب.[2]

المعيار الثاني: مطابقة النسبة الخارجية.

في هذا المعيار تخلى العلماء العرب عن مذهب السكاكي في عدم إمكان التعريف الحدي للخبر والطلب، وكان البديل هو التوغل في اعتماد أدوات التحليل المنطقي.[3] حيث عرّف القزويني(ت793هـ) الخبر والإنشاء بقوله:« الكلام إما خبر وإما إنشاء؛ لأنّه إما أن يكون لنسبته خارج تطابقه أو لا تطابقه، أو لا يكون لها خارج. الأول الخبر والثاني الإنشاء».[4]

فالخبر إذن ما كان لنسبته الكلامية نسبة خارجية، والإنشاء هو الذي ليس له نسبة خارجية.

ومما يلاحظ على هذا التعريف أنه مستنتج من المعيار الأول عن طريق تحليل مدلول الصدق والكذب. [5]

---

[1] ـ مفتاح العلوم ، أبو يعقوب السكاكي، تعليق نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1983م، ص 165.

[2] ـ ينظر: التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، مسعود صحراوي ص59.

[3] ـ ينظر: المرجع نفسه، ص 61 - 63.

[4] ـ الإيضاح في علوم البلاغة ، جلال الدين الخطيب القزويني، ص 16.

[5] ـ ينظر: التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، مسعود صحراوي، ص 63.

المعيار الثالث: إيجاد النسبة الخارجية.

قال المغربي في التمييز بين الخبر والإنشاء على أساس هذا المعيار: « أنّ الكلام التام الذي يحسن السكوت عليه... يتضمن نسبة المسند إلى المسند إليه، فإن كان القصد منه الدلالة على أن تلك النسبة حصلت في الواقع... بين معنى المسند ومعنى المسند إليه فذلك الكلام خبر، وإن كان القصد منه الدلالة على أنّ اللفظ وُجدت به تلك النسبة فالكلام إنشاء».[1] فالخبر هو أن يقصد المتكلم حصول النسبة في الواقع، أما الإنشاء فإنّه يُقصد به حصول النسبة باللفظ، كقولنا: بعت فالبيع لم يكن حاصلا في الواقع إلا بعد التلفظ به.

ومما يلاحظ على هذا المعيار أنّ المغربي أدخل مفهوم القصد وهو مفهوم تداولي اجتنب به التورط في تحليل منطقي افتراضي.[2]

المعيار الرابع: قَصْدُ المتكلم بوصفه قرينة تمييزية أساسية.

في هذا المعيار أصبح القصد قرينة أساسية بعدما كان قرينة مساعدة في المعايير الأخرى حيث يورد الشيرازي (ت476هـ) تعريفا للخبر بقوله: « الخبر يصير خبرا إذا انضم إلى اللفظ قصد المتكلم إلى الإخبار به ».[3] فقد رأى الشيرازي أنّ معيار التمييز بين الخبر والإنشاء، إضافة إلى اللفظ الدال بالوضع على الخبر قصد المتكلم، فإن كان قصد المتكلم وغرضه غير الإخبار فهو إنشاء.[4]

---

[1] ـ نقلا عن: التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، مسعود صحراوي، ص 72.

[2] ـ ينظر: المرجع نفسه ، ص 72.

[3] ـ شرح اللمع، أبو إسحاق إبراهيم الشيرازي، تح عبد المجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1988م، ج1/ ص 568 .

[4] ـ ينظر: التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية ظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، مسعود صحراوي، ص 78.

المعيار الخامس: عدد النَّسب.

يرى الخوئي أنّ الفرق بين الخبر والإنشاء يكون من خلال : « أنّ النسبة الخبرية لها وجود في اللفظ ووجود في الذهن ووجود في الخارج، وأنّ النسبة الإنشائية لها وجود في الأولين فقط دون الثالث».[1] أي أن الخبر له ثلاث نسب: نسبة كلامية عند التلفظ ، ونسبة ذهنية، مرتبطة بقصد المتكلم، ونسبة خارجية حاصلة في الواقع، أما الإنشاء فله نسبتان كلامية وذهنية.[2]

المعيار السادس: تبعية النسبة الخارجية للنسبة الكلامية.

وهو ما أورده شهاب الدين القرافي (ت674هـ) حيث أكد أنّ« الإنشاءات يتبعها مدلولها والإخبارات تَتْبَع مدلولاتها. أما تبعيّة مدلول الإنشاءات: فلأنّ الطلاق والمِلْكَ ـ مثلا ـ إنما يقعان بعد صدور صيغة الطلاق والبيع ، وأما أنّ الخبر تبع لمُخْبَرِهِ:... تابع لتقرُّر مُخْبَره في زمانه ماضيا كان أو حاضرا أو مستقبلا ... وليس المراد بالتّبعيّة ، التّبعيّة في الوجود وإلا ما صدق ذلك إلا في الماضي فقط ».[3] ومن هذا يتضح: « أنّ مصداق الخبر في الواقع سابق عليه وأنّ مصداق الإنشاء في الواقع الخارجي لاحق به».[4] أي أنّ حصول الخبر في الواقع الخارجي سابق على الكلام عنه، وأنّ حصول الإنشاء في الواقع الخارجي لاحق بالتلفظ به.

ومن هنا يمكن القول أنّه رغم اختلاف العلماء العرب في التمييز بين الخبر والإنشاء إلا أنه يمكن التأليف بين تلك الآراء بتصور مفاده: أنّ الخبر هو الخطاب التواصلي المكتمل

---

[1] ـ نقلا التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، مسعود صحراوي، ص 79.

[2] ـ ينظر: المرجع نفسه، ص 79.

[3] ـ كتاب الفروق أنوار البروق في أنواء الفروق، شهاب الدين القرافي، تح محمد أحمد سراج وآخرون، دار السلام، مصر، القاهرة ط1، 2001م، ج1/ ص 96.

[4] ـ التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، مسعود صحراوي، ص80.

إفاديا، والذي يريد المتكلم من نسبته الكلامية أن تطابق نسبته الخارجية، أما الإنشاء فهو الخطاب التواصلي المكتمل إفاديا والذي يريد المتكلم من نسبته الكلامية أن تُوجد نسبته الخارجيّة.[1]

ولقد كان معيار التقسيم قبل دخول المنطق الأرسطي على الفكر العربي معيارا آخر عرف في زمن الخليل وسيبويه؛ وهو معيار الواجب وغير الواجب، يقول د. الحاج صالح: « أن الجملة الخبرية صار مقياس تحديدها هو التصديق والتكذيب (منذ زمن الأخفش الأوسط) ونسي كل من جاء بعده شيئا فشيئا أنّ صفة الوجوب للكلام... هي الميزة التي يتميز بها الخبر عن غيره ».[2] وقد ذكر سيبويه (ت180هـ) ذلك في قوله: « لأنّ أول الكلام خبر وهو واجب».[3]

وذكر السيرافي عند شرحه لقول سيبويه حول معاني الحروف بعض معانيها والتي تتمثل في إخراج الكلام من الواجب إلى غير الواجب بقوله: « وتدخل [الحروف] لإخراج الكلام عن الواجب إلى غيره، مثل حروف الاستفهام كقولك هل زيد قائم».[4] وقد حدد السيرافي أيضا معنى غير الواجب من خلال شرح قول سيبويه المتمثل فيما يلي: « ولا يجوز لأحد أن تضعه موضع واجب [فشرح السيرافي هذا بقوله:] واعلم أن أحد: له مذهبان في الكلام أحدهما: أن يكون في معنى واحد. والآخر أن يكون موضوعا في غير الواجب بمعنى العموم... فإنك تضعه في موضع غير الواجب في النفي والاستفهام».[5] وقد كان سيبويه يطلق صفة الواجب على الخبر وغير الواجب صفة للطلب وذلك في قوله: « وإنما فعلوا ذلك

---

[1] ـ ينظر: التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، مسعود صحراوي، ص 82.

[2] ـ الخطاب و التخاطب في نظرية الوضع و الاستعمال العربية، عبد الرحمن الحاج صالح، ص 181.

[3] ـ الكتاب، أبو بشر عمرو بن عثمان سيبويه ، تحق، عبد السلام هارون، دار الخانجي، القاهرة، ط3، 1988م، ج3 ص 38.

[4] ـ شرح كتاب سيبويه، أبو سعيد السيرافي ، تح، أحمد حسن مهدلي وعلي سيد علي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 2008 م، ج1/ ص 20.

[5] ـ المرجع نفسه، ج1/ ص 317.

بالاستفهام لأنّه كالأمر في أنّه غير واجب، وأنه يريد من المخاطَب أمرا لم يستقرّ عند السائل».[1] وقال أيضا عند حديثه فيما يخص استقرار الشيء عند المتكلم عندما تحدث عن نون التوكيد: « فالنون لا تدخل على فعل قد وقع، وإنّما تدخل على غير الواجب».[2] ويفسر الحاج صالح كلام سيبويه بأن الفعل إذا وقع وحصل قبل الحديث عنه يكون واجبا وغير الواجب هو عكس ذلك وهذا ما يكون في الأمر والنهي والاستفهام وغيرها، كما أن الواجب يكون دائما مرفوعا أما النصب والجزم فهو لغير الواجب؛ لأنّ المنصوب والمجزوم غير حاصل لأنه غاية.[3] وقد فسر د. الحاج صالح أيضا من خلال مخطط هذا المقياس الذي فرق به العرب بين الخبر والإنشاء نلخصه فيما يلي: إذا كان وقوع أو عدم وقوع الحدث معلوما حال حديث المتكلم يسمى واجبا وهو وصف للخبر مثل: قام زيد، ولم يقم زيد أما إذا كان هذا الوقوع أو عدمه غير معلوم كان الكلام غير واجب وهو وصف للاستفهام والتمني والنهي: مثل هل قام زيد، لا أدري إذا قام زيد .[4]

4 ـ أفعال الكلام عند العرب القدامى.

لقد قام العلماء العرب من نحاة وبلاغيين وأصوليين ومتكلمين وفلاسفة بدراسة الكلام واستخراج معانيه وأغراضه من خلال تتبع المقام وظروف إنتاجه والبحث عن مختلف تقسيماته، إلا أننا في هذا البحث سنقتصر على بعض النحاة والبلاغيين على سبيل الإيضاح لا الحصر.

[1] ـ الكتاب، أبو بشر عمرو بن عثمان سيبويه، ج1/ ص99.
[2] ـ المرجع نفسه، ج3 / ص 105.
[3] ـ ينظر: الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية، عبد الرحمن الحاج صالح، ص 166 - 167
[4] ـ ينظر: المرجع نفسه، ص 168.

أ ـ أفعال الكلام عند النحاة.

لقد قسم النحاة الكلام إلى خبر وإنشاء كما فعل البلاغيون لكنّهم نقلواّ ذلك إلى الجملة فقالوا الجملة الخبرية والجملة الإنشائية.[1]

واستعان النحاة على فهم مقاصد المتكلم وأغراضه بظروف المقام أو السياق، فالكلمة الواحدة والجملة الواحدة قد تحمل مدلولين متناقضين دون أن تختلف الكلمة في بنائها الداخلي بل الذي تغير هو السياق والقرائن المحيطة، وهذا ما ينطبق على القرآن الكريم، فقد يستخدم القرآن صيغة الأمر ويقصد بها مدلولها الظاهر كقوله تعالى:﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ ﴾[الإسراء: 78] وقد يقصد بها التهديد كقوله تعالى:﴿ فَٱعۡبُدُواْ مَا شِئۡتُم مِّن دُونِهِۦۗ ﴾[الزمر: 15] وقد يقصد بها التعجيز كقوله تعالى:﴿ فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ ﴾[البقرة: 23] فقد استخدمت هذه الآيات جميعا صيغة الأمر فما الذي جعلها تعطي مدلولات مختلفة بل ومتناقضة؟ إنّه السياق القرآني والقرائن الخارجية.[2] و من النحاة الذين التزموا بتوضيح المعاني بالاستعانة بالمقام نجد سيبويه، وذلك من خلال:« وصف الظروف المرافقة للتلفظ بالقول، كوصف الظواهر الصوتية أو تحديد العلاقة بين المتكلم والمخاطَب أو ذكر أسباب التلفظ ».[3] ومن ذلك حديثه عن خروج الاستفهام إلى التوبيخ في قوله:« أتميميا مرة و قيسيّا أخرى، وإنّما هذا أنك رأيت رجلا في حال تلونّ وتنقّل ... كأنّك تقول أتتحول تميميا مرة وقيسيّا أخرى فأنت في هذه الحال تعمل في تثبيت هذا له، وهو عندك في

[1] ـ ينظر: التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، مسعود صحراوي، ص 175.

[2] ـ ينظر: الأسس الابستيمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه، إدريس مقبول، ص 308.

[3] ـ المرجع نفسه، ص309.

تلك الحال من تلونّ وتنقل وليس تسأله مسترشدا عن أمر هو جاهل به... ولكنّك وبخْتَه بذلك».[1] فالاستفهام هنا بمعنى التوبيخ وليس الاسترشاد.

وذكر أيضا معاني الدعاء في قوله:« حمدا وشكرا...إخبار يخبر فيه عن نفسه وليس بدعاء على أحد... كأنّه قال أحمد الله حمدا، وأشكر الله شكرا».[2]

وذكر أيضا خروج الخبر لمعنى الافتخار في قوله: « إنّا بني فلان نفعل كذا، وكذا لأنه لا يريد أن يخبر من لا يدري أنّه من بني فلان ولكنه ذكر مراتبها افتخارا وابتهاء».[3] وقد ذكر أيضا خروج الاستفهام إلى التسوية بقوله:« أزيد عندك أم عمرو؟ فجرى هذا على حرف الاستفهام، كما جرى على حرف النداء قولهم : اللهم اغفر لنا أيتها العصابة».[4] فقد ذكر دلالة الاستفهام على التسوية عندما تحدث عن دلالة النداء على الاختصاص.[5]

أما المبرد فقد قسم الخبر إلى ثلاثة أغراض أطلق عليها اللغويون فيما بعد أسماء معينة، وهي الخبر الابتدائي مثل: عبد الله قائم، والخبر الطلبي مثل: إنّ عبد الله قائم والخبر الإنكاري مثل: إنّ عبد الله لقائم، فالمعاني هنا اختلفت لاختلاف الألفاظ وذلك بمراعاة حال المخاطب، فالأول إخبار عن قيامه والثاني جواب عن سؤال سائل والثالث جواب عن إنكار منكر.[6]

---

[1] ـ شرح كتاب سيبويه ، أبو سعيد السيرافي، ج2/ ص 231.

[2] ـ المرجع نفسه، ج2/ ص211.

[3] ـ المرجع نفسه، ج2/ ص 391.

[4] ـ المرجع نفسه ، ج3/ ص 410.

[5] ـ ينظر: البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية، محمد حسنين أبو موسى، دار الفكرالعربي، القاهرة (د ط)، (د ت)، ص 108.

[6] ـ ينظر: التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، مسعود صحراوي، ص 95 - 96.

وإضافة إلى سيبويه والمبرد نجد ابن جني الذي كان على وعي بأنّ:« الصياغة اللغوية التي يختارها المتكلم يتحكم فيها الغرض الذي يراد تبليغه».[1] وقد كان يلح دائما على ضرورة الرجوع إلى ظروف وسياق الكلام لفهم المعنى كما مرّ معنا سابقا.

ومن الأغراض التي ذكرها ابن جني ، خروج الاستفهام إلى غرض التقرير وذلك في قوله: « ومن ذلك لفظ الواجب، إذا لحقته همزة التقرير عاد نفيا، وإذا لحقت لفظ النفي عاد إيجابا، وذلك كقوله سبحانه وتعالى:﴿ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ﴾[المائدة: 116] أي ما قلت لهم... وأما دخولها على النفي كقوله عزّ وجل:﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾[الأعراف: 172] أي أنا كذلك، وقول الجرير * ألستم خير من ركب المطايا* أي أنتم كذلك ».[2] ففي هذه الأمثلة يكون ظاهر الكلام استفهاما إلا أنّ غرضه التقرير والإخبار.

وقد يخرج الاستفهام أيضا إلى الإخبار إذا تضمن معنى التعجب حيث بين ابن جني ذلك بقوله: « من ذلك لفظ الاستفهام، إذا ضامه معنى التعجب استحال خبرا. وذلك في قولك: مررت برجل أيّ رجل. فأنت الآن مخبر بتناهي الرجل في الفضل ولست مستفهما».[3]

كما نجد الأفعال الكلامية في حروف المعاني، فهي أفعال كلامية تهدف إلى إنجاز أفعال ومواقف اجتماعية أو ذاتية بالكلمات أي: أنها تؤثر في المخاطب بحمله على القيام بفعل أو تركه، ومن هذه الأغراض التي تتضمنها حروف المعاني نجد العرض الذي يكون

[1] ـ البلاغة والأصول دراسة في أسس التفكير البلاغي العربي (ابن جني)، محمد مشبال، أفريقيا الشرق، (دون بلد) (د ط)، 2007م، ص 203.
[2] ـ الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، ج3/ ص 269.
[3] ـ المرجع نفسه، ج3 / ص 269.

بالأداة ألا، والتحضيض المستفاد من الأداة هلا أو لولا، والتوبيخ الذي يكون بالأداة لولا والردع وأداته كلا في مذهب الخليل وسيبويه.[1]

ب ـ أفعال الكلام عند البلاغين.

تعد البلاغة العربية ميدانا فسيحا لدراسة أغراض ومعاني الكلام لأنها علم يرتبط بالاستعمال اللغوي، فكان لها أن أنتجت علماء بلاغيين درسوا المعنى وحددوا أغراض المتكلمين، ومن هؤلاء نجد شيخ البلاغيين عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ) حيث تنبه إلى أن الكلام قد يأتي على أصله وهو المعنى الحرفي له، وقد يخرج عن هذا الأصل، وذلك من خلال قوله: « الكلام على ضربين: ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده ... وضرب آخر أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، ولكن يدلّك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة، ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض... وهي أن تقول " المعنى" و"معنى المعنى"».[2] والمقصود بهذا القول أن المتكلم قد ينجز فعلا مباشرا يظهر في دلالة اللفظ، وقد ينجز فعلا غير مباشر عندما يخرج عن أصله، وهذا ما توصل إليه أوستين وسيرل في العصر الحديث كما مرّ معنا.

والجرجاني بحديثه عن المعنى الثاني: « لا يريد المعنى الظاهر في حدّ ذاته وإنما يجعله سلّما يرقى به إلى المعنى غير الظاهر، أو بعبارة أخرى لا يريد المعنى الذي يحدده الوضع اللغوي، بل المعنى الذي يقصده المتكلم».[3]

وقد أدرك عبد القاهر ما يعرف عند الغربيين بالفعل اللفظي أو القضوي والفعل الإنجازي في قوله: « ومن أجل ذلك امتنع أن يكون لك قصد إلى فعل من غير أن تريد

---

[1] ـ ينظر: التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي ، مسعود صحراوي، ص 217 - 218.

[2] ـ دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني ، تعليق محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د ط)،(د ت)، ص262 - 263.

[3] ـ استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ، عبد الهادي بن ظافر الشهري، ص 201.

إسناده إلى شيء مُظْهر أو مقدّر، وكان لفظك به إذا أنت لم ترد ذلك، وصوتا تصوته سواء».[1]

ومن البلاغيين أيضا نجد الزمخشري (ت538هـ) حيث أنّه تحدث عن مختلف الأغراض التي تفهم من مختلف الأساليب غير المعنى الحرفي لها ، فقد ذكر المعاني التي تستفاد من الاستفهام ومن تلك المعاني: معنى التفخيم وذلك في قوله تعالى:﴿ عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴿١﴾ ﴾ [النبأ: 1] حيث فسر الزمخشري ذلك بقوله: « ومعنى هذا الاستفهام تفخيم الشأن، كأنه قال عن أي شأن يتساءلون ونحوه ـ ما ـ في قولك: زيد ما زيد؟ جعلته لانقطاع قرينه وعدم نظيره كأنه شيء خفي عليك جنسه فأنت تسأل عن جنسه وتفحص عن جوهره، كما تقول: ما الغول، وما العنقاء؟ تريد: أي شيء هو من الأشياء هذا أصله».[2] وقد ذكر أيضا معاني الأمر ومن تلك المعاني أنّه يفيد التهكم في قوله تعالى:﴿ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [البقرة: 23]. قال الزمخشري:« وفي أمرهم أن يستظهروا بالجماد الذي لا ينطق في معارضة القرآن بفصاحته: غاية التهكم بهم».[3] وقد يفيد أيضا التبكيت كما في قوله تعالى:﴿ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ [البقرة: 31] إذ فسر الزمخشري هذا الأمر بقوله: « وإنّما استنبأهم وقد علم عجزهم عن الإنباء على سبيل التبكيت».[4]

[1] ـ دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني، ص 527.
[2] ـ الكشاف، جار الله أبو القاسم الزمخشري ، تح عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوّض، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1988م، ج6/ ص 294.
[3] ـ المرجع نفسه، ج1/ ص 222.
[4] ـ المرجع نفسه ج1/ ص 253.

أما السكاكي(ت626هـ) فقد أدرك هو الآخر مفهوم الأفعال الكلامية الإنجازية المباشرة وغير المباشرة بحسب اصطلاح سيرل، ويظهر ذلك في قوله: « متى امتنع إجراء هذه الأبواب على الأصل، تولد منها ما ناسب المقام، كما إذا قلت لمن همك همه: ليتك تحدثني امتنع إجراء التمني والحال ما ذكر على أصله... وولد بمعونة قرينة الحال معنى السؤال أو كما إذا قلت: هل لي من شفيع، في مقام لا يسع إمكان التصديق بوجود شفيع، امتنع إجراء الاستفهام على أصله، وولد بمعونة قرائن الأحوال معنى التمني».[1] وقال أيضا: « واعلم أنّ الطلب كثيرا ما يخرج عن أصله لا على مقتضى الظاهر، وكذلك الخبر، فيذكر أحدهما في موضع الآخر، ولا يصار إلى ذلك إلا لتوخي نكت».[2] يبدو واضحا من كلام السكاكي أنّ الكلام قد يأتي على أصله، وقد يخرج عن هذا الأصل ويولد معنى غير مباشر لارتباطه بأحوال ومقامات خاصة. كما قدم السكاكي الكثير من الشواهد القرآنية التي تعبر عن المعنى غير المباشر بمعونة المقام، كقوله تعالى:﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ﴾[البقرة: 28] حيث يفسر السكاكي هذه الآية بقوله: « فأفاد: أفي حال العلم بالله تكفرون؟ أم حال الجهل به... وصار المعنى: كيف تكفرون بالله والحال حال علم بهذه القصة، وهي إن كنتم أمواتا فصرتم أحياء... صير الكفر أبعد شيء عن العاقل... فصح أن يكون قوله تعالى... تعجبا وتعجبيا و إنكارا وتوبيخا».[3] وقد فسر قوله تعالى:﴿ أَيْنَ شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾[القصص: 62] بأنه: « توبيخ للمخاطبين وتقريع لهم لكونه سؤالا في وقت الحاجة إلى الإغاثة عمن كان يدعي له أنه يغيث».[4]

[1] ـ مفتاح العلوم، أبو يعقوب السكاكي، ص 304.
[2] ـ المرجع نفسه، ص 323.
[3] ـ المرجع نفسه، ص 314.
[4] ـ المرجع نفسه، ص 315.

وقد قام البلاغيون بتقسيم الطلب إلى أغراض حسب منزلة المتكلم والمخاطب: « فإن الطلب يكون أمرا مع استعلاء المتكلم على المخاطب، ويكون التماسا مع تساويهما، ويكون دعاء مع خضوع المتكلم».[1]

ويمكن القول بعد كل هذا، أنّ ما توصل إليه العلماء العرب بصفة عامة هو: « خلاصة ما اتفق عليه سيرل وأوستين في أنّ الخبر والإنشاء بفرعيه قد يعبران عن الفعل المباشر أو غير المباشر طبقا للمقام ».[2] ويمكن القول أيضا أن العلماء العرب وإن لم يعرفوا هذه المصطلحات إلا أنهم عرفوا ما يندرج تحتها كمقتضى الظاهر وما خرج عن مقتضى الظاهر.[3]

5 ـ أفعال الكلام عند العرب المحدثين.

بعد تطرقنا إلى دراسة الأفعال الكلامية عند الغربيين، والعرب القدامى، تجدر الإشارة إلى إسهامات العرب المحدثين الذين تنبهوا إلى وجود هذه النظرية عند العرب القدماء، حيث كشفوا عن أوجه الشبه بين الدراسة الغربية لأفعال الكلام والدراسة العربية، كما وضحوا النظرة العربية لهذه النظرية من زاوية غربية، ومن هؤلاء نجد: هاشم الطبطبائي وأحمد المتوكل، ومحمود أحمد نحلة، ، ومحمود علي الصراف، ومسعود صحراوي، وعبد الرحمن الحاج صالح وغيرهم، وسنقتصر في هذا العنصر على ثلاثة محدثين لتوضيح هذه الرؤية.

الباحث الأول هو محمود الصراف الذي تمثلت مساهمته في التطرق إلى نظرية الأفعال الكلامية الغربية عند كل من أوستين وسيرل، وذلك من خلال تقديم مفهوم الأفعال الإنجازية المباشرة وغير المباشرة عندهما، كما أشار إلى الجهود العربية عند العلماء القدامى حول ما يعنيه الفعل المباشر، وغير المباشر بالاصطلاح الغربي وذلك من خلال مباحث

[1] ـ نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، طالب سيد هاشم الطبطبائي، ص 75.
[2] ـ في البراجماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة دراسة دلالية في معجم سياقي، علي محمود حجي الصراف، ص 103.
[3] ـ ينظر: المرجع نفسه، ص 102.

الخبر والإنشاء حيث يقول:« ميّز علماؤنا أيضا الأفعال الكلامية المباشرة وغير المباشرة وهم وإن لم يعرفوا هذا المصطلح، عرفوا ما يدخل فيه ويندرج تحته وأطلقوا عليه مصطلحات أخرى لعل أقربها إليه مقتضى الظاهر وما خرج عن مقتضى الظاهر».[1] وقد كان محور الدراسة في كتابه دراسة الأفعال الإنجازية وتطبيقها على نماذج من نصوص عربية معاصرة بهدف الكشف عن مدى استخدام العربية لهذه الأفعال، بالإضافة إلى أنه هدف إلى تقديم نموذج تحليلي للنقاد ودارسي الأدب.[2] أما المادة اللغوية التي اعتمدها في التطبيق عليها فتتمثل في مختلف الأعمال الأدبية والفنية.[3]

أما الباحث الثاني، فهو أحمد المتوكل الذي قدم مساهمته في نظرية أفعال الكلام وقد أعتبرت هذه المساهمة: « في كتابه الذي هو في الأصل أطروحة نال بواسطتها شهادة الدكتوراه... أفضل ما أنجز في هذا المجال عند العرب المحدثين، فقد حاول أحمد المتوكل في هذا العمل التنظير والمقارنة لهذه النظرية».[4]

وقد اعتمد في ذلك على ركنين أساسين هما:[5]

ـ استخلاص نظري للمعاني عند العرب في محاولة لاستقراء التراث العربي .

ـ إرساء الأسس المنهجية التي تسمح بذلك.

كما أنه قسم العلماء الذين قاموا بدراسة أسلوبي الخبر والإنشاء إلى اتجاهين هما:[6]

1 ـ الاتجاه النحوي: الذي يرى أنّ الكلام خبر كله مثل اعتبار النحاة النداء خبر.

---

[1] ـ في البراجماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة دراسة دلالية في معجم سياقي، علي محمود الصراف، ص 102.

[2] ـ ينظر: المرجع نفسه، مقدمة الكتاب ص ـ أ ـ

[3] ـ ينظر: المرجع نفسه، ص 16.

[4] ـ الأمثال في صحيح البخاري، دراسة تداولية لأفعال الكلام، وهيبة غضابي، مذكرة ماجستير، تخصص علوم اللسان العربي، جامعة محمد خيضر، بسكرة ، 2013/2012م، ص 60 - 61.

[5] ـ المرجع نفسه ، ص 60 - 61.

[6] ـ المرجع نفسه ، ص 61.

2 ـ الاتجاه البلاغي: يقسم الكلام إلى أفعال كلامية مباشرة وأخرى غير مباشرة، وتتجلى معالم هذا الاتجاه في كتب البلاغة و الأصول.

وهو يرى كذلك أنّ العرب القدماء انقسموا إلى مذهبين في تصنيف الأفعال الكلامية غير المباشرة، مذهب نحوي يمثله النحاة، ومذهب دلالي وتداولي يستند إلى أغراض المتكلم يمثله أصحاب البلاغة.[1]

كما أشار إلى تفطن الفكر اللغوي العربي القديم إلى ظاهرة الاستلزام التخاطبي التي جاء بها غرايس، وخاصة اقتراحات السكاكي حيث أنها تمتاز عن مختلف الاقتراحات الأخرى من قبيل المعنى المقامي و المعنى الفرعي وغيرها، حيث أنّ تحليله يضبط علاقة المعنى الصريح بالمعنى المستلزم مقاميا، بوضع قواعد استلزامية واضحة كخروج الخبر والإنشاء إلى أغراض فرعية إذا أنجزت في مقامات تتنافى مع شروط إجرائها على الأصل فالسكاكي يحلل هذه الظاهرة على أساس خَرق لأحد شروط إجراء المعاني على أصلها.[2] يمكن القول أذن أنّ السكاكي تفطن إلى هذه الظاهرة التي جاء بها غرايس من خلال ربطها بخرق المقام الذي تتولد عنه معان فرعية.

وقد تحدث الباحث أيضا عن الشبه الحاصل بين الثنائية الأوستينية وصف/إنجاز والثنائية العربية خبر/ إنشاء وقال بأن الشبه حاصل أيضا عندما اقترح العرب تقليص الجمل اللغوية إلى جمل خبرية كلها أو جمل إنشائية كما فعل أوستن نفسه.[3] حين لاحظ أنّ

[1] ـ ينظر: الأمثال في صحيح البخاري، دراسة تداولية لأفعال الكلام ، وهيبة غضابي، مذكرة ماجستير، تخصص علوم اللسان العربي، جامعة محمد خضير، بسكرة، 2012/ 2013م، ص 61.

[2] ـ ينظر: اقتراحات من الفكر اللغوي العربي القديم لوصف ظاهرة الاستلزام التخاطبي ، أعمال الندوة 03 في البحث اللساني و السيميائي، كلية العلوم الإنسانية، الرباط، ص 21.

[3] ـ ينظر: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية ، أحمد المتوكل، دار الكتاب الجديد المتحدة، الرباط، ط2، 2010م، ص 42.(من الهامش).

العبارات الوصفية والإنجازية يمكن اختزالها في صنف واحد، حيث اعتبر أنّ العبارات اللغوية كلها عبارات إنجازية.[1]

والباحث الثالث هو عبد الرحمن الحاج صالح فقد كان في كتابه الخطاب والتخاطب شارحا لهذه النظرية عند العرب القدماء، مبينا أنّ الكلام قد يأتي على أصله وقد يخرج عن هذا الأصل وذلك في قوله: « إنّ المعاني التي سبق أن ذكرناها لكل صيغة من الكلام هي المعاني التي تخص هذه الصيغ في الوضع. فهي الأصل في ذلك ويصيبها تغيير في الاستعمال فيكون مثلا للخبر في الخطاب عدد كبير من المعاني غير معنى الخبر. وكذلك الاستفهام والأمر وغيرهما».[2]

فقد ذكر المعاني التي تخرج عن صيغة الخبر عند سيبويه بقوله:« وأهمها الدعاء كما في قوله، زيدا قطع الله يده وزيدا أمرّ الله عليه العيش. وكلاهما خبر في الصيغة إلا أنّ معناهما معنى زيدا ليقطع الله يده. وهذه الصيغة الأخيرة هي أمر... وقال عن الدعاء إنّه بمنزلة الأمر و النهي وإنما قيل دعاء لأنّه استعظم أن يقال: أمر ونهي».[3]

وذكر معاني الخبر التي قال بها ابن فارس بقوله: « ويضيف ابن فارس كمعنى خطابي للخبر التعجب والإنكار والأمر والنهي والتعظيم والوعيد وغيرها ».[4]

وقد أورد أيضا ما ذكره ابن فارس عن المعاني الفرعية للاستفهام بقوله:« فيقول عن الاستفهام... ويكون استخبارا والمعنى تعجّب وقد يسمى هذا تفخيما ويكون استخبارا والمعنى توبيخ، ويذكر له معاني كثيرة وهي كالتالي: التفجع، والتبكيت، والتقرير، والإرشاد، والعرض والتحضيض».[5]

[1] ـ ينظر: قضايا اللغة العربة في اللسانيات الوظيفية، أحمد المتوكل، ص23.
[2] ـ الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية، عبد الرحمن الحاج صالح، ص 169.
[3] ـ المرجع نفسه، ص 196.
[4] ـ المرجع نفسه، ص 170.
[5] ـ المرجع نفسه، ص 170.

وقد ذكر الحاج صالح أنّ الإخبار هو فعل عام للمتكلم، فهو يرى أنّ كل فعل هو في جوهره إعلام سواء أكان خبرا في اللفظ أو غير خبر ويرافق هذا الإعلام غرض أساسي في كل خطاب، أو كما سماه سيبويه بالفائدة أو النكتة عند البلاغيين، وقد ضرب مثالا أورده سيبويه من خلال عبارة إنّا بني فلان لنفعل كذا فهذا إخبار غرضه الافتخار.[1]

ويعلق الحاج صالح على هذا المثال بقوله:« ومهما كان فهو إعلام بتبليغ المتكلم المخاطب افتخاره».[2]

وهو يقصد بذلك أنّ كل فعل لغوي يحمل فعل الإعلام في جوهره حتى وإن كان يحمل أغراضا أو أفعالا مضمرة أخرى، أو حتى وإن كان فعلا طلبيا.

وقد تحدث عن أفعال الكلام الإنشائية، وذكر أنّ العرب قد فرقوا بين الأفعال الإيقاعية ـ وهي عند المتأخرين الإنشاء غير الطلبي كالعقود ـ والإنشاء الطلبي كالأمر و التمني.[3]

وأكد على أنّ النحاة القدماء هم أول من قدم هذه الفروق، حيث حدد سيبويه ما سمي إيقاعا عند البلاغيين بما يحدثه المتكلم مثل سلام عليكم، ولبيك، فهذا ابتداء للشيء، ولا يقوم المتكلم بتزجيتها و إثباتها كما في الأمر والاستفهام.[4]

أي إنّ الأفعال الإيقاعية هي الأفعال التي يحدثها وينشئها المتكلم عند التلفظ بها بمعنى أنّها تحدث وقت النطق كصيغ العقود أما الأفعال الطلبية فتعني طلب القيام بشيء ما.

[1] ـ ينظر: الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية، عبد الرحمن الحاج صالح، ص 173.
[2] ـ المرجع نفسه، ص 173.
[3] ـ ينظر: المرجع نفسه، ص 174 - 175.
[4] ـ ينظر: المرجع نفسه، ص 175.

يتضح من كل هذا أنّ العرب المحدثين حاولوا المقارنة والمناظرة لثنائية الخبر والإنشاء على ضوء ما توصل إليه الغرب من أبحاث حول الأفعال الكلامية التي تقابل الأغراض الكلامية في الدراسات العربية.

الفصل الثاني

أفعال الكلام في سورة يونس.

تمهيد:

سورة يونس هي سورة مكية، عدد آياتها م ائة وتسع آيات، وترتيبها في المصحف هو الترتيب العاشر، أي: بعد سورة التوبة وقبل سورة هود، « وهي السورة الحادية والخمسون في ترتيب النزول.» [1]، وقد نزلت هذه السورة بعد سورة الإسراء بعد ما احتدم الجدل من المشركين حول الوحي وصدقه، وظاهر من سياقها أنّها لحمة واحدة تواجه واقعاً متصلاً حتى أنّه يصعب تقسيمها إلى أجزاء متميزة. [2]

وهذه السورة وإن سميت بسورة يونس إلا أنَّ قصة يونس عليه السلام فيها لا تتجاوز إشارة سريعة، غير أنّها تمثّل مثلا بارزا للقوم الذين يتداركون أنفسهم قبل مباغتة العذاب.[3] حيث ذكرت فيها خصوصية قوم يونس الذين آمنوا بعدما توعدهم الرسول بالعذاب فعفا الله عنهم لما آمنوا.[4]

وموضوعها الرئيسي هو ذاته الموضوع العام للقرآن المكي في اختصار حقيقة الألوهية، وحقيقة العبودية، وتعريف الناس بالله عزّ وجل وتنحية كل ما مسّ العقيدة الفطرية السليمة من انحرافات والتواءات، أما عن أسلوب القرآن المكي، فهو أسلوب موح عميق الإيقاع وبالغ التأثير، إذ يتميز أسلوب هذه السورة بالرخاوة والهدوء والسلاسة. [5]

وهي تحمل تناسبا كبيرا بين السورة السابقة واللاحقة لها، إذ هي (سورة يونس) وسورة هود متواليتيان في ترتيب المصحف وفي ترتيب النزول وفي ترتيب طريقة عرض الموضوع.[6] أما وجه تناسبها مع سورة التوبة، فهو أنَّ هذه الأخيرة خُتِمَتْ بذكر الرسول صلى الله عليه وسلم، أما سورة يونس فقد ابتدأت به، كما أنَّ في سورة التوبة بياناً لما يقوله

---

[1] ـ تفسير التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، الدار التونسية، تونس، (د ط)، 1984، ج11/ ص 78.

[2] ـ ينظر: في ظلال القرآن، سيّد قطب، دار الشرق، (دون بلد)، ط1، 1972، ج11/ ص 579 ـ 580.
[3] ـ ينظر: المرجع نفسه، ج11/ ص 580.
[4] ـ ينظر: تفسير التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج11/ ص 77.
[5] ـ ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ج11/ ص 573 – 574.
[6] ـ ينظر: المرجع نفسه، ج11/ ص 573 .

المنافقون عند نزول سورة من القرآن، وفي سورة يونس بيان لما يقوله الكفار في القرآن، وأيضا في سورة التوبة ذم للمنافقين بعدم التوبة والتذكر، إذا أصابهم البلاء وفي هذه ذم لمن يصيبه البلاء فيرعوي وبعدها يعود، كما أنَّ سورة التوبة براءة للرسول من المشركين والأمر بقتالهم، أما في سورة يونس فتبرئة للرسول من عملهم، ولكن دون الأمر بقتالهم، بل أمر فيها الرسول عليه الصلاة والسلام بأن يُظهر البراءة فيها على وجه الإعراض وتخلية السبيل. [1]

وأهم المواضيع التي تحتويها هذه السورة هي مواجهة موقف المشركين في مكة حقيقة الوحي إلى رسول الله، وتواجه هذه السورة طلبهم خارقة مادية غير القرآن واستعجالهم العذاب الذي يسمعونه، فتقدر لهم أنَّ القرآن هو آية هذا الدين، وأنَّ موعد الجزاء هو بأمر الله سبحانه، وأنَّ النبي لا يملك شيئاً من حكم الله. [2]

وهي تملأ نفوسهم بالخوف والتوقع لبأس الله لإخراجهم من هذه الغفلة، التي تنشأ عن الرخاء والنعمة، وأن لا يخدعهم ازدهار الحياة، لأنَّ أمر الله يأتي بغتة ومن ثم تواجههم بعرض مشاهد يوم القيامة خاصة ما يتعلق منها بتخلي الشركاء عن عُبادهم وتبرئهم منهم إلى الله.[3]

[1] ـ ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو الفضل شهاب الدين الألوسي، تح: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1994، ج6/ ص 55.
[2] ـ ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ج11/ ص 574.
[3] ـ ينظر: المرجع نفسه، ج11/ ص 575.

المبحث الأول: أفعال الكلام في الأسلوب الخبري.

1 ـ 1 ـ تعريف الخبر لغة:

جاء في المعجم الوجيز«(خَبَرَ) الشيء ـ خُبرا و خُبْرَة، ومَخْبَرَةً: بلاء و امتحنه. وعرف خبره على حقيقته، فهو خابر ويقال: لأَخْبُرَنَّ خُبْرَك لأَعْلَمَنَّ عِلْمَكَ... (أخبره) بكذا: أنبأه. (خابره) زَارَعه مُخابرة و بادله الأخبار ». [1]

1 ـ 2 ـ تعريف الخبر اصطلاحا:

عرّف السكاكي الخبر بقوله: « اعلم أنّ مرجع الخبرية، واحتمال الصدق والكذب إلى حكم المخبر الذي بحكمه في خبره بمفهوم لمفهوم... فأما السبب في كون الخبر محتملا للصدق والكذب، فهو إمكان تحقق ذك الحكم مع كل واحد منهما، من حيث أنّه حكم مخبر، ومرجع كون الخبر مفيدا للمخاطب هو استفادة المخاطب من ذلك الحكم ويسمى هذا فائدة الخبر ».[2]

وقد ربط النحويون الخبر بالصدق والكذب كقول ابن السراج:« وبالخبر يقع التصديق والتكذيب ».[3] وقول المبرد أيضا:« والخبر ما جاز على قائله التصديق والتكذيب».[4]

ولم يختلف المحدثون عن القدماء في تعريف الخبر فقد عرفه عبد السلام هارون بقوله: « إنّ الكلام إن احتمل الصدق والكذب لذاته، بحيث يصح أن يقال لقائله إنّه صادق أو كاذب سمِّي كلاما خبريا. والمراد بالصادق ما طابقت نسبة الكلام فيه الواقع وبالكاذب ما لم تطابق نسبة الكلام فيه الواقع ».[5]

---

[1] ـ المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، وزارة التربية والتعليم، مصر، (د ط) 1994م، مادة (خبر) ص 191 ـ 192

[2] ـ مفتاح العلوم ، أبو يعقوب السكاكي، ص 166.

[3] ـ الأصول في النحو، أبو بكر محمد بن السراج ، تح: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة ، بيروت، ط3، 1996م، ج1/ ص62.

[4] ـ المقتضب، أبو العباس المبرد ، تح: محمد عبد الخالق عضيمة، (دون دار نشر) القاهرة، 1994م، ج3/ ص 89 .

[5] ـ الأساليب الإنشائية في النحو العربي، عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط5، 2001م، ص 13.

فالخبر إذن ما كان ممكن التحقق في الواقع أو غير ممكن، مع قصد المتكلم الإخبار به، وإفادة السامع.

2 ـ أضرب الخبر:

سبق لنا أن ذكرنا في الفصل الأول أن المبرد هو أول من أشار إلى أضرب الخبر الثلاثة لكن دون أن يسميها بأسمائها المذكورة في كتب البلاغيين الذين جاؤوا من بعده حيث ذكرها السكاكي في المفتاح . وهذه الأضرب لم يتغير مفهومها عند القدماء والمحدثين، حيث إنّ الخبر الابتدائي هو ما يقال للمخاطب الخالي الذهن، ويكون هذا الخبر خاليا من أدوات التوكيد، أما الخبر الطلبي فهو الذي يكون للمخاطب المتردد في الحكم ويصاحبه مؤكد واحد، والخبر الإنكاري هو الذي يقال للمخاطب المنكر أو الجاحد لهذا يكون مصحوبا بأكثر من مؤكد.[1]

3 ـ أغراض الخبر:

جعل البلاغيون أغراض الخبر منحصرة في مقصدين أساسيين هما: فائدة الخبر ولازم الفائدة، حيث يمثل المقصد الأول إفادة المخاطَب مضمونا معينا، والمقصد الثاني هو إفادة المخاطب أنّ المتكلم عالم بمضمون الخبر حيث يكون هذا المخاطَب جاهلا بمعرفة المتكلم به، كقولنا للمخاطَب الذي عرف نبأ نجاحه أنت نجحت، فالمخاطب يعلم هذا النبأ ولكن المتكلم أراد أن يفيده أنه عالم بالنبأ هو الآخر، غير أنّ الخبر لا يقف عند هاذين الغرضين بل يتعداهما إلى أغراض أخرى تفهم من السياق وقرائن الأحوال كالفخر والتوبيخ والتحسر وغيرها. [2] وهذا ما أشرنا إليه عند حديثنا عن الأغراض الكلامية للنحاة والبلاغيين.

---

[1] ـ ينظر : علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني ، بسيوني عبد الفتاح، مكتبة وهيبة، القاهرة،(د ط) ج1/ ص 40.

[2] ـ ينظر: المرجع نفسه، ص 36.

4 ـ تحليل الأفعال الكلامية الخبرية.

يحمل الأسلوب الخبري قيمة إنجازية مباشرة، وغير مباشرة، والتي تتمثل في الأفعال الكلامية التي يقصدها المتكلم، فينجز فعلا كلاميا مباشرا أو غير مباشر، والذي يمكن رصده من خلال التعرف على سياق القول وظروف إنجازه، وأهم المواضع التي ورد فيها الأسلوب الخبري في سورة يونس هي:

1ـ قال الله تعالى:﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ١﴾

جاءت هذه الآية على شكل أسلوب خبري، والذي يمكن تحليله وفق ثلاثة أجزاء.

الجزء الأول « **الر**» حيث اختلف العلماء في معناها فمنهم من يؤولها كابن عباس على أنّ معناها الله آرى، ومنهم من يرى أنها أسماء للأحرف المعلومة من حروف التهجي لغرض التحدي، ومنهم من يرى أنها اسم للسورة أي هي مسماة بكذا، والجزء الثاني هو اسم الإشارة « **تلك** » فهي إشارة إلى « الر» للإخبار أنّ القرآن الكريم مؤلف من جنس هذه الحروف واسم الإشارة هذا للبعيد لغرض التنبيه على بعد منزلة السورة.[1]

وقد يكون المقصود منها « إما الحث على النظر في آيات القرآن ليتبين لهم أنّه من عند الله ويعلموا صدق من جاءهم به، وإما إقناعهم من الآيات الدالة صدق ـ النبي صلى الله عليه وسلم ـ بآيات الكتاب الحكيم فإنهم يسألون النبي آية صدقه».[2]

والجزء الآخر قوله تعالى« آيات الكتاب الحكيم »أي هذه الآيات مخصوصة منه، والكتاب إما المقصود منه جميع القرآن الكريم، وإن لم ينزل بعد، وإما المقصود منه جميع القرآن النازل وقد وصف هذا الكتاب بالحكيم أي ذو حكمة.[3] وفيه قصد« تسجيل عجزهم عن معارضته بأن آيات الكتاب الحكيم كلها من جنس حروف كلامهم فمالكم لا

[1] ـ ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين الألوسي، ج 6/ ص57.
[2] ـ تفسيرالتحرير و التنوير، الطاهر بن عاشور، ج11/ ص81.
[3] ـ ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين الألوسي، ج 6، ص 58.

تستطيعون معارضتها بمثلها إن كنتم تكذبون بأن الكتاب منزل من عند الله ».[1] والأفعال الإنجازية المتضمنة في الآية من خلال:

ـ الألوسي: التحدي والتنبيه.

ـ ابن عاشور: الحث والإقناع، والتعجيز.

2 ـ قال المولى عزّ وجّل : ﴿قَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٞ مُّبِينٌ ٢﴾

تتضمن الآية أسلوبا خبريا للإخبار عن حال الكفار المتعجبين الذين أنكروا الوحي إلى رسول الله و قالوا بأن الوحي سحر.[2]

بمعنى « أنّ هذا الكلام كلام سحر، أي أنه كلام يسحر به. فقد كان من طرق السحر في أوهامهم أن يقول الساحر كلاما غير مفهوم للناس يوهمهم أن فيه خصائص وأسماء غير معروفة لغير السحرة، فالإشارة إلى الوحي... [وفي قراءة " لساحر"] فالإشارة إلى رجل من قوله " إلى رجل منهم " و هو النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأنّ وصفهم إياه بالسحر ينبئ بأنهم كذبوا بكونه من عند الله ».[3] وقولهم هذا « هو دليل عجزهم واعترافهم به، وإن كانوا كاذبين في تسميته سحرا».[4]

وفي هذه الآية الفعل الكلامي المنجز من خلال الألوسي، ابن عاشور، الزمخشري: هو التكذيب.

3 ـ قال الله تعالى﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦۚ ﴾

---

[1] ـ تفسيرالتحرير و التنوير، الطاهر بن عاشور، ج 11/ ص 82 .

[2] ـ ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني ، شهاب الدين الألوسي، ج6/ ص 61 -62.

[3] ـ تفسيرالتحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج 11/ ص86.

[4] ـ الكشاف، جار الله أبو القاسم الزمخشري، ج3/ ص 114.

أسلوب خبري« يخبر تعالى أنه رب العالم جميعه، وأنه خلق السموات والأرض».[1]

فهو« تقرير لعظمته عزّ جلاله، وردّ على من زعم أن آلهتهم تشفع لهم عند الله ».[2]

وفيه تنبيه على ما يدل على صحة ما أنكروه إذ ذكر الله تعالى شؤون الخلق، والتقدير والتدبير لشؤونهم أنها له وحده، وذكر الاستواء على العرش الذي يدل على قدرته سبحانه، ثم نفى الشفاعة دون إذنه تعالى وفي هذا رد على زعمهم أنّ آلهتم تشفع لهم عند الله.[3] « وفي إجراء هذه الصفات على الله تعالى تعريض بالرد على المشركين إذ جعلوا لأنفسهم آلهة لا تخلق ولا تعلم ... وزيادة " إلا من بعد إذنه " احتراس لإثبات شفاعة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ».[4] وقد تضمنت الآية أفعالا إنجازية تمثلت من خلال هؤلاء المفسرين فيما يلي:

ـ القاسمي: التقرير.

ـ والألوسي: التنبيه.

ـ وابن عاشور: التعريض، والإثبات.

4 ـ قال الله تعالى﴿ إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقًّاۚ إِنَّهُۥ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلۡقِسۡطِۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ شَرَابٞ مِّنۡ حَمِيمٖ وَعَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ ٤﴾

« أخبر تعالى أنّ إليه مرجع الخلائق يوم القيامة، لا يترك منهم أحدا حتى يعيده كما بدأه».[5] وفيه تقرير على أنه سبحانه قادر على إعادة الخلق، فيحي البشر بعد الموت

[1] ـ تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل ابن كثير ، تح سامي بن محمد السّلامة، دار طيبة، الرياض السعودية، ط1، 1997م، ج4/ ص 246.

[2] ـ محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي ، دار إحياء الكتب العربية، (دون بلد) ط1، 1914م،ج9/ ص 3323.

[3] ـ ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين الألوسي، ج6/ ص 62 - 63.

[4] ـ تفسير التحرير و التنوير، الطاهر بن عاشور، ج11/ ص 87 - 88.

[5] ـ تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل ابن كثير، ج4/ ص 248.

ويحشرهم إلى الجزاء، وفيه تنبيه على قدرته سبحانه بإنشاء الخلق كما بدأ أول مرة وأنه يقيم العدل بينهم يوم القيامة، وفيه ترغيب وترهيب لإخراج المكلف بالزجر عن الأعمال السيئة.[1]

وقوله تعالى " والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون " « معناه ليجزي الذين كفروا بشراب من حميم وعذاب أليم، بسبب كفرهم، لكنه غيّر في النظم للمبالغة في استحقاقهم للعقاب... و للتنبيه على أنّ المقصود بالذات من الإبداء والإعادة هو الإثابة. والعقاب واقع بالعرض بكسبهم، وعلى أنه تعالى يتولى إثابة المؤمنين بما لا تحيط العبارة به لفخامته وعظمته، و لذلك لا يُعَينه».[2]

وقد ذكر« الجزاء إنذارا وتبشيرا... وقد تضمنت هذه الجملة إثبات الحشر الذي أنكروه».[3] والأفعال المتضمنة في هذه الأية من خلال المفسرين:

- برهان الدين الشافعي: التقرير، والترغيب، والترهيب.

- والقاسمي: التنبيه .

- وابن عاشور: الإنذار، والتبشير.

5 - قال المولى عزّ وجلّ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءً وَٱلۡقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٥ إِنَّ فِي ٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَّقُونَ ٦﴾

[1] - ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم ، (دون دار نشر)، (دون بلد)،(د ط) 1975م، ج9/ ص 17 - 73.

[2] - محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، ج9/ ص 3324.

[3] - تفسير التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج11/ ص 90.

« يخبر تعالى عما خلق من الآيات الدالة على كمال قدرته».[1] وهذا لغرض التنبيه على وجوده سبحانه وتعالى ووحدانيته وعلمه، وقدرته وحكمته وأنه هو المدبر لشؤون خلقه، فهو الذي جعل الشمس والقمر منيرين، وسخر القمر لمعرفة أوقات الأيام والشهور والسنين، وقد نبه أيضا إلى تعاقب الليل والنهار، وخلق السموات والأرض تدليلا على وجوده وبالغ حكمته، وأنّ هذا كله سبب للتدبر فيه.[2]

وجملة " لقوم يعلمون " تعريض بأن الذين لم يحصل انتفاعهم بهذه الآيات وتفصيلها من خلق الشمس والقمر وغيرها لا يمكن أن يكون من الذين يعلمون.[3] والفعلان الإنجازيان المتضمنان في الآيتين من خلال:

ـ الألوسي: التنبيه.

ـ وابن عاشور: التعريض.

6 ـ قال الله تعالى﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ٧ أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٨ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ٩﴾

تمثل هذه الآيات أسلوبا خبريا حيث كان المولى تعالى« مخبرا عن حال الأشقياء الذين كفروا بلقاء الله يوم القيامة...[ومخبرا] عن حال السعداء الذين آمنوا وصدّقوا المرسلين وامتثلوا ما أمروا فعملوا الصالحات، بأنه سيهديهم بإيمانهم».[4] فهي بيان لعاقبة كفار البعث

[1] ـ تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن كثير، ج4/ ص248.
[2] ـ ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين الألوسي، ج6/ ص 64 ـ 69.
[3] ـ ينظر: تفسير التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج11/ ص 97.
[4] ـ تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن كثير، ج4/ ص 249.

وهذا لغرض تهويل الأمر أي أمر الرجوع إليه سبحانه، وبيان لإيثارهم الحياة الدنيا وغفلته عن التدبر في آيات الله تنبيها على دوام غفلتهم وأنهم يستحقون الذم والوعيد لانهماكهم في ملذات الدنيا ونسيانهم الآخرة و لقاء الله.[1]

وفيها« وعيد للذين لم يؤمنوا بالبعث و لا فكروا في الحياة الآخرة ولم ينظروا في الآيات [ثم ذكر] أحوال المؤمنين مستقلة بالذكر غير تابعة في اللفظ لأحوال الكافرين... ومناسبة ذكرها مقابلة أحوال الذين كذبوا بلقاء الله بأضدادها تنويها بأهلها وإغاضة للكافرين».[2]

وفي هذه الآيات وعيد للغافلين، و وعد للمحسنين.[3] والأفعال الإنجازية المتضمنة في هذه الآيات من خلال:

- الألوسي: التهويل، والتنبيه، والوعيد.

- وابن عاشور: التنويه، والإغاظة، والوعيد.

- وبرهان الدين الشافعي: الوعيد، الوعيد.

7 - قال الله عزّ وجل﴿ ۞ وَلَوۡ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسۡتِعۡجَالَهُم بِٱلۡخَيۡرِ لَقُضِيَ إِلَيۡهِمۡ أَجَلُهُمۡۖ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴿١١﴾ وَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوۡ قَاعِدًا أَوۡ قَآئِمٗا فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمۡ يَدۡعُنَآ إِلَىٰ ضُرّٖ مَّسَّهُۥۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡمُسۡرِفِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٢﴾ وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١٣﴾ ﴾

[1] - ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني، شهاب الدين الألوسي، ج6/ ص 69.

[2] - تفسير التحرير والتنوير،الطاهر بن عاشور، ج11/ ص 98 - 101.

[3] - ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم، ج9/ ص 65.

نزلت الآية الأولى« في النضر بن الحارث حين قال: اللّهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم».[1]

وهي تمثل أسلوبا خبريا حيث « يخبر تعالى عن حلمه ولطفه بعباده: أنه لا يستجيب لهم إذا دعوا على أنفسهم أو أموالهم أو أولادهم في حال ضجرهم وغضبهم».[2]

فقد أخبر سبحانه وتعالى عن أولئك الذين لا يرجون لقاءه بأنهم يستحقون العذاب لاستعجالهم الشر تكذيبا واستهزاء به، وأنه سبحانه يمهلهم استدراجا لهم لأنه لو أجاب استعجالهم لأهلكهم بالمرة، لذلك فهو يتركهم في طغيانهم، وفي ذكر الناس بدل ضميرهم تفظيع للأمر، وفيه تنبيه على قدرته سبحانه وسرعة قضائه وحكمته، وتعجيل الشر فيه ما فيه من الشدة والهول، وأصل هذه الآية « ولو يعجل الله للناس الشر: تعجيله لهم بالخير فوضع استعجالهم بالخير موضع تعجيله لهم بالخير؛ إشعارا بسرعة إجابته لهم وإسعافه بطلبتهم حتى كأنّ استعجالهم بالخير تعجيل لهم ».[3] ثم ذكر حال الإنسان إذا مسه الضر كيف يدعوا الله كثيرا في كل أحواله وفيه مبالغة زائدة ثم ذكر حاله بعد انكشاف الضر بأنه ينأى بجانبه وينسى ما مر به وذكر بأن هذه صفة المسرفين، وفي هذا ذم لمن يترك الدعاء إلى الله في الرخاء ويلجأ إليه ي وقت الشدة.[4] « وإنما ذكر الله ذلك تنبيها على أن هذه الطريقة مذمومة، بل الواجب على الإنسان العاقل أن يكون صابرا عند نزول البلاء شاكرا عند الفوز بالنعماء ».[5] وفي قوله تعالى [ولقد أهلكنا القرون من قبلكم] « تهديد وموعظة بما حل بأمثالهم والجملة معطوفة على جملة " ولو يعجل الله للناس الشر " بما تضمنته من الإنذار بأن الشر قد ينزل بهم ولكن عذاب الله غير معجل، فضرب لهم مثلا

[1] ـ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين الألوسي، ج6/ ص74.
[2] ـ تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن كثير، ج4/ ص 251.
[3] ـ الكشاف، جار الله أبو القاسم الزمخشري، ج3/ ص 118.
[4] ـ ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين الألوسي، ج6/ ص 74 - 76.
[5] ـ تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي ، ج17/ ص 53.

بما نزل بالأمم من قبلهم فقضى إليهم بالعذاب أجلُهم وقد كانوا يعرفون أمما منهم أصابهم الاستئصال مثل عاد وثمود »[1].

وفي هذه الآيات قوارع التهديد للمشركين؛ إذ بين الله سبحانه حالهم من أجل ذمهم، وتفظيع حالهم، والتحذير من الوقوع في مثل ما وقعوا فيه،[2] حيث أنه « يحذرهم من هذا الإمهال أن يغفلوا عما وراءه. فالذين لا يرجون لقاءه سيظلون في عمايتهم يتخبطون، حتى يأتيهم الأجل الموسوم».[3] والأفعال الإنجازية المتضمنة في الآيات من خلال المفسرين هي:

- الزمخشري: التفظيع، والتنبيه، والتهويل.
- والألوسي: المبالغة.
- وفخر الدين الرازي: التنبيه، والذم.
- وابن عاشور: الموعظة، والتهديد، و الذم، والتفظيع، والتحذير.
- والسيد قطب: التحذير.

8 ـ قال الله تعالى﴿إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ١٥﴾

في هذه الآية أسلوب خبري يمثل« تعليلا لمضمون ما قبله من امتناع التبديل واقتصار أمره صلى الله عليه وسلم على اتباع الوحي، أي إنما أخاف إن عصيته تعالى بتعاطي التبديل والإعراض عن الوحي عذاب يوم عظيم... والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة لضميره عليه الصلاة والسلام لتهويل أمر العصيان و إظهار كمال نزاهته صلى الله عليه وسلم».[4] وقد تضمنت هذه الآية فعلا إنجازيا من خلال الألوسي هو: التهويل.

---

[1] ـ تفسير التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج11/ ص 113.
[2] ـ ينظر:المرجع نفسه، ج11/ ص 106 - 109.
[3] ـ في ظلال القرآن، سيد قطب، ج11/ ص596.
[4] ـ ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين الألوسي، ج6/ ص 80.

9 ـ قال الله تعالى﴿ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾

نزلت هذه الآية في كفار العرب إذ « أخرج بن أبي حاتم عن عكرمة قال: كان النضر بن الحارث يقول: إذا كان يوم القيامة شفعت لي اللات و العزى ».[1]

وتمثل هذه الآية أسلوبا خبريا للإخبار عن هؤلاء المشركين الذين عبدوا الأصنام، وتركوا الإله الحق، معتبرين إياها شفيعا لهم يوم القيامة على سبيل الفرض فهم لا يؤمنون بالبعث.[2]

وفي قولهم هذا « كفر أظهروه في صورة السخرية والاستهزاء...وإيثار اسم الموصول في قوله " مالا يضرهم ولا ينفعهم " لما تؤذن به صله الموصول من التنبيه على أنهم مخطئون في عبادة ما لا يضر ولا ينفع، وفيه تمهيد لعطف " ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله " لتحقير رأيهم من رجاء الشفاعة من تلك الأصنام، فإنها لا تقدر على ضر ولا نفع في الدنيا فهي أضعف مقدرة في الآخرة ».[3]

و في هذه الآية « ينكر تعالى عن المشركين الذين عبدوا مع الله غيره ».[4] وفي الآية أفعالا إنجازية هي حسب المفسرين كالآتي:

ـ ابن عاشور: التنبيه، والتحقير.

ـ وابن كثير: الإنكار.

[1] ـ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين الألوسي ج6/ ص 83.
[2] ـ ينظر: المرجع نفسه، ج6/ ص 83.
[3] ـ تفسير التحرير و التنوير، الطاهر بن عاشور، ج11/ ص 124 - 125.
[4] ـ تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن كثير، ج4/ ص 256.

10 ـ قال الله تعالى﴿ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾ ﴾

في الآية أسلوب خبري أخبر فيه سبحانه وتعالى أن الناس كانت على وحدة اعتقادية تدين بدين الفطرة وهو دين التوحيد، ثم إن الناس اختلفوا في هذا الاعتقاد بسبب اتباع الأوهام والأقيسة الباطلة، وهذا فيه مدح لتلك الحالة أي كون أن الناس كانوا يعتقدون بدين واحد وملة واحدة، و قوله " لولا كلمت سبقت من ربك " توبيخ لهم على اختلافهم، وفيه ذم

وتخويف لهم على اختلافهم.[1] والأفعال الإنجازية المتضمنة في الآية من خلال ابن عاشور هي : المدح، والتوبيخ، والذم، والتخويف.

11 ـ قال الله تعالى﴿ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا ﴾

نزلت هذه الآية فيما أصاب قريشا من القحط سبع سنين لما دعا النبي صلى الله عليه وسلم عليهم.[2] « وقد أجدبت وخافت الهلاك، فجاءت محمدا تناشده الرحم أن يدعوا الله فدعاه فاستجاب له بالسقيا».[3] ولما كشف الله عنهم ذلك وأنزل المطر طعنوا في آيات الله وآذوا الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهي تمثل أسلوبا خبريا حيث جاءت لحكاية حالهم والمخاطب هو الرسول عليه الصلاة والسلام والمؤمنون، وهي تحمل تعريضا لتذكير الكفار بما قد يحل بهم من مصائب فيتذكروا ويخافوا من حلول النقمة، وفيه تعريض بإنذارهم.[4] والفعل الإنجازي المتضمن في الآية من خلال ابن عاشور هو التعريض.

---

[1] ـ ينظر: تفسير التحرير والتنوير، الطاه ربن عاشور، ج11/ ص 127 - 129.
[2] ـ ينظر: المرجع نفسه، ج11/ ص132.
[3] ـ في ظلال القرآن ، سيد قطب، ج11/ ص601.
[4] ـ ينظر: تفسير التحرير و التنوير، الطاهر بن عاشور، ج11/ ص 133.

12 ـ قال المولى عزّ وجل ﴿إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾

في الآية أسلوب خبري يمثل « تهديدا من الله... وتأكيد الجملة لكون المخاطبين يعتقدون خلاف ذلك، إذ كانوا يحسبون أنهم يمكرون بالنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأنّ مكرهم يتمشى عليه ولا يشعر به فأعلمهم الله بأن الملائكة الموكلين بإحصاء الأعمال يكتبون ذلك، والمقصود من هذا أن ذلك محصي معدود عليهم لا يهمل وهو إنذار بالعذاب عليهم».[1] وفي هذه الآية « إعلام بأن ما تظنونه خافيا مطويا لا يخفى على الله، وهو منتقم منكم ».[2] والأفعال المتضمنة في الآية من خلال:

ـ ابن عاشور: التهديد، والإنذار.

ـ والزمخشري: الإعلام.

13 ـ قال الله تعالى﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾﴾

نزلت هذه الآية « في سعد بن أبي وقاص: لما كان يوم الفتح فر عكرمة بن أبي جهل، فركب البحر فأصابتهم عاصف فقال أصحاب السفينة لأهل السفينة: أخلصوا فإن آلهتكم لا تغني عنكم شيئا فقال عكرمة: لئن لم ينجني في البحر إلا الإخلاص ما ينجيني

[1] ـ تفسير التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج11/ ص 134.

[2] ـ الكشاف، جار الله أبو القاسم الزمخشري، ج3/ ص 124.

في البرّ غيره اللهم إن لك عهدا إن أنت عافيتني مما أنا فيه أن آتي محمدا حتى أضع يدي في يده فلأجدنه عفوا كريما قال فجاء فأسلم ».[1]

وقد جاءت هذه الآية بأسلوب خبري للإخبار عن جناية أخرى لهم، وهي أن المشركين إذا اشتد بهم الحال دعوا الله مخلصين، وذلك أن الله هو المسير في البر والبحر، فإذا وقعت هذه الحادثة من مجيء الريح وتراكم الأمواج والشعور بالهلاك دعوه بالنجاة والضمير في قوله " جرين بهم " فيه مبالغة في تحقير حالهم، ووصف شدة الريح وهبوبها تهويل لأمر استلائها على فرحتهم.[2] وفي صرف الكلام عن الخطاب إلى الغيبة للمبالغة ليذْكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها ويستدعي منهم الإنكار والتقبيح.[3] وقد فسر الرازي ذلك بالمقت والتبعيد.[4] والأفعال الإنجازية المتضمنة في الآية من خلال:

ـ الألوسي: التحقير، والتهويل.

ـ والزمخشري: المبالغة.

14 ـ قال الله تعالى﴿فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾

أسلوب خبري غرضه الوعيد والتهديد بالجزاء والعذاب.[5]

« واستعمل الإنباء كناية عن الجزاء لأن الإنباء يستلزم العلم بأعمالهم السيئة، والقادر إذا علم بسوء صنيع عبده لا يمنعه من عقابه مانع... والوعيد الذي جاءت هذه الآية وإن كان في شأن أعظم البغي فكان لكل آت من البغي بنصيب حظا من هذا الوعيد».[6] والفعلان الإنجازيان المتضمنان في الآية من خلال:

---

[1] ـ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين الألوسي، ج6/ ص 92 ـ 93.
[2] ـ ينظر: المرجع نفسه، ج6/ ص 90 ـ 93.
[3] ـ ينظر: الكشاف، جار الله أبو القاسم الزمخشري، ج3/ ص 126.
[4] ـ ينظر: تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي ، ج17/ ص 72.
[5] ـ ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين الألوسي، ج6/ ص 95.
[6] ـ تفسير التحرير و التنوير، الطاهر بن عاشور، ج11/ ص 140.

ـ الألوسي: الوعيد، التهديد.

ـ وابن عاشور: الوعيد.

15 ـ قال الله تعالى﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾

في الآية أسلوب خبري للإخبار بأن الحياة الدنيا ما هي إلا حياة قصيرة، وكل ما فيها زائل ولا يدوم، والقصر في هذه الآية غرضه التأكيد على سرعة الزوال والانقضاء، لأن المخاطِبين يحسبون أن بهجة الدنيا دائمة فكانوا ينكبون على نعيمها[1]، وفي هذا تنفير للغافلين عن الميل إلى الحياة الدنيا الفانية.[2] وقوله تعالى " أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا " إنذار وتهديد للكافرين على قدرته سبحانه على استئصالهم ، ثم ذكر سبحانه أن هذا المثل الذي ضربه بين نماء الحياة ونماء الزرع إنما هو آية على قدرته سبحانه للقوم المتفكرين، وفي هذا تعريض أن الذين لم ينتفعوا بآيات الله ليسوا أهل فكر.[3] والأفعال الإنجازية المتضمنة في الآية من خلال:

ـ ابن عاشور: التأكيد، والإنذار، والتهديد، والتعريض.

ـ وفخر الدين الرازي: التنفير.

[1] ـ ينظر: تفسير التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج11/ ص 141.
[2] ـ ينظر: تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي ، ج17/ ص87.
[3] ـ ينظر: تفسير التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج11/ ص143 - 144.

16 ـ قال الله تعالى﴿ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٢٥﴾ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ وَلَا يَرۡهَقُ وُجُوهَهُمۡ قَتَرٞ وَلَا ذِلَّةٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٖ بِمِثۡلِهَا وَتَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۖ كَأَنَّمَآ أُغۡشِيَتۡ وُجُوهُهُمۡ قِطَعٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مُظۡلِمًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَوۡمَ نَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ﴾

تتضمن الآيات أسلوبا خبريا غرضه ترغيب الناس في الحياة الأخروية ودعوتهم إلى الجنة، وتنبيههم إلى أنّ ما فيها سالم بالنظر إلى معنى السلامة في أصله، وأن أمر الهداية مختص بأمر الله[1] ،« ووجه الترغيب في الآخرة ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال مثلي ومثلكم شبه سيد بنى دارا ووضع مائدة وأرسل داعيا، فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المائدة ورضى عنه السيد، و من لم يجب لم يدخل و لم يأكل ولم يرض عنه السيد فالله السيد، و الدار دار الإسلام، و المائدة الجنة، و الداعي محمد صلى الله عليه وسلم »[2] وقوله " ولا يرهق وجوههم قتر " « أي لا يغشاها غبرة سوداء من أثر حب الدنيا و الشهوات... وفي تعقيب الزيادة بهذه الجملة مصداق لصحة تفسير الزيادة بالرؤية الكريمة فإن فيه تنبيها على إكرام وجوههم بالنظر إلى وجه الله تعالى».[3]

ثم ذكر عقاب المسيئين بخلودهم في نار جهنم، وإنما ذكر الله ذلك لتذكيرهم بما فيه نجاة لهم [4]، وفي قوله " و الذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها " « تنبيه على الفرق بين الحسنات والسيئات ، لأنه تعالى ذكر في أعمال البر أنه يوصل إلى المشتغلين بها الثواب

[1] ـ ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين الألوسي، ج6/ ص 97.
[2] ـ تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي ، ج17،/ ص78.
[3] ـ محاسن التأويل ، جمال الدين القاسمي، ج9/ ص 3342.
[4] ـ ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين الألوسي، ج6/ ص 98.

مع الزيادة، وأما في عمل السيئات فإنه تعالى ذكر أنه لا يجازي إلا بالمثل، والفرق هو أن الزيادة على الثواب تكون تفضلا وذلك حسن ويكون فيه تأكيد للترغيب في الطاعة، و أما الزيادة على قدر الاستحقاق في عمل السيئات فهو ظلم» .[1] وفي قوله تعالى " مالهم من الله من عاصم " تهديد و تأييس لهم.[2] وفي ذكره سبحانه لعقاب المسيئين « كأنما هو يعدد أصناف العذاب لهم تهويلا ».[3] ثم أخبر سبحانه أنه حاشر لهم جميعا وفي هذا الخبر تهويل لهذا اليوم .[4] و في قوله تعالى " ويوم نحشرهم " « إنما زيد لفظ يوم في صدر الجملة لأن ذلك اليوم لما كان هو زمن الحشر وأعمال عظيمة أريد التذكير به تهويلا وموعظة... ومن نكت ذكر حشر الجميع هنا التنبيه على أنّ فظيع حال المشركين وافتضاحهم يكون بمرأى ومسمع من المؤمنين».[5] والأفعال الإنجازية المتضمنة في الآيات من خلال المفسرين هي:

- الألوسي: الترغيب، والتنبيه، التذكير، التهويل.

- وفخر الدين لرازي: التنبيه والتأكيد.

- وابن عاشور: والتهديد، والتيئيس، التذكير التهويل، والوعظ.

- ومحي الدين الدرويش: التهويل، والوعظ.

17 ـ قال الله تعالى﴿ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾

[1] ـ تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي ، ج17/ ص 84.

[2] ـ ينظر: تفسير التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج11/ ص148.

[3] ـ إعراب القرآن الكريم وبيانه، محي الدين الدرويش، دار الإرشاد للشؤون الجامعية، حمص، سوريا، ط3، 1992م، ج4/ ص237.

[4] ـ ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين الألوسي، ج6/ ص100.

[5] ـ تفسير التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج11/ ص 150.

في الآيتين أسلوب خبري، حيث أخبر سبحانه أنه فارق بين المشركين بقطع الأقران والأوصال التي كانت بينهم في الحياة الدنيا، وقد جاء الفعل " فزيلنا " على صيغة الماضي للتوبيخ والتحسير، ثم ذكر أنّ هؤلاء الشركاء الذين عبدوهم يتبرؤون منهم يوم القيامة .[1] ففي قوله تعالى " فكفى بالله شهيدا " « خبر مستعمل في إنشاء القسم، والباء مزيدة للتأكيد، وأصله كفى الله شهيدا» [2] وفي الآية إثبات الأصنام لبراءتهم من عبادة المشركين.[3] والفعلان الإنجازيان المتضمنان في الآيتين من خلال:

ـ الألوسي هما التوبيخ، والتحسير.

18 ـ قال الله تعالى﴿ هُنَالِكَ تَبْلُواْ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ ۚ وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾﴾

تتضمن الآية إخبارا عن أن كل نفس يوم القيامة أو الحشر تَختبر ما قدمت وكسبت من خير أو شر، و في ذلك اليوم يردهم الله إليه ويجمعهم فيحقق ما كانوا ينكرونه، وعندئذ يخسروا بما كانوا يكذبون وينسبون الإلهية إلى أصنامهم.[4] « وفي هذه الآية تبكيت شديد للمشركين الذين عبدوا مالا يسمع ولا يضر».[5] وتتضمن هذه الآية فعلا إنجازيا من خلال القاسمي هو: التبكيت.

19 ـ قال الله تعالى﴿ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ﴾

[1] ـ ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني، شهاب الدين الألوسي، ج6/ ص 101.
[2] ـ تفسير التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج11/ ص 152.
[3] ـ المرجع نفسه، ج11/ ص 152.
[4] ـ ينظر: المرجع نفسه، ج11/ ص 153 ـ 154.
[5] ـ محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، ج9/ ص 3344.

في الآية أسلوب خبري غرضه التقرير، لما يوصف به الله عزّ وجل من صفات الخلق و الرزق والتدبير.[1]

« واسم الإشارة عائد إلى اسم الجلالة للتنبيه على أن المشار إليه جدير بالحكم الذي سيذكر بعد اسم الإشارة من أجل الأوصاف المقدمة على اسم الإشارة وهو كونه الرازق الواهب».[2] و قد تضمنت الآية فعلين إنجازيين من خلال:

ـ الألوسي: التقرير.

ـ وابن عاشور: التنبيه.

20 ـ قال الله تعالى ﴿ كَذَٰلِكَ حَقَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓاْ أَنَّهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾

في الآية أسلوب خبري لبيان أن أولئك المتمردين والكفار يستحقون العذاب لعدم إيمانهم وهو ما عبر عنه بـ " كلمة ربك " .[3] وفي هذه الآية « تعجيب من استمرارهم بعد ما ظهر لهم من الحجج والآيات، و تيأيس من إيمانهم بإفادة أن انتفاء الإيمان عنهم بتقدير من الله تعالى عليهم ».[4] والفعلان الإنجازيان المتضمنان في الآية من خلال:

ـ ابن عاشور: التعجيب، والتيئيس.

21 ـ قال الله تعالى﴿ وَمَا يَتَّبِعُ أَكۡثَرُهُمۡ إِلَّا ظَنًّاۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَفۡعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ أَن يُفۡتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾

[1] ـ ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني، شهاب الدين الألوسي، ج6/ ص 105.
[2] ـ تفسير التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج11/ ص 158.
[3] ـ ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني، الألوسي، ج6/ ص 106.
[4] ـ تفسير التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج11 / ص 159.

تخبر الآيتان عن سوء فهم الفاسقين وظنهم و « بيان سوء إدراكهم وعدم فهمهم لمضمون ما أفحمهم من البراهين النيرة الموجبة للتوحيد أي ما يتبع أكثرهم في معتقداتهم ومحاوراتهم إلا ظنا واهيا مستندا إلى خيالات فارغة وأقيسة باطلة كقياس الغائب على الشاهد وقياس الخالق على المخلوق بأدنى مشاركة موهومة و لا يلتفتون إلى فرد من أفراد العلم فضلا عن أن يسلكوا مسالك الأدلة الصحيحة الهادية إلى الحق فيفهموا مضمونها ويقفوا على صحتها و بطلان ما يخالفها، فالمراد بالاتباع مطلق الانقياد الشامل لما يقارن القبول والانقياد وما لا يقارنه ».[1] وقد جاءت " ظنا " نكرة لغرض التحقير أي: أن ظنونهم ليست سوى أوهام، وجملة " إن الله عليم بما يفعلون " فيها تهديد بالوعيد.[2]

ثم نفى سبحانه أن يكون القرآن مفترى وهذا النفي للمبالغة، أي يستحيل أن يكون هناك مثل القرآن في إعجازه وبيانه.[3] ففي قوله تعالى " وما كان هذا القرآن أن يفترى " « تقرير وتوكيد لنفي جواز افترائه عن طريق إثبات مصدره: من رب العالمين».[4] والأفعال الإنجازية المتضمنة في الآيتين من خلال المفسرين:

ـ ابن عاشور: التحقير، والتهديد، والوعيد.

ـ والسيد قطب: التقرير والتوكيد.

22 ـ قال الله تعالى﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾

تخبر الآية عن جهل هؤلاء المكذبين، وعدم علمهم بإعجاز القرآن الكريم وعلو شأنه، وأنهم تسرعوا في تكذيبه دون الإحاطة به والتدبر فيه وتأويله وتفسيره، ولو أنهم فعلوا ذلك

[1] ـ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين الألوسي، ج6/ ص 108 ـ 109.
[2] ـ ينظر: تفسير التحرير و التنوير، الطاهر بن عاشور، ج11/ ص 159.
[3] ـ ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين الألوسي، ج6/ ص 110.
[4] ـ في ظلال القرآن، سيد قطب، ج11/ ص 613.

لأدركوا عجزهم بأن يأتوا بسورة من مثله، وفي هذا ذم لهم لأنهم كذبوا القرآن قبل الإحاطة به.[1]

وقوله تعالى " بما لم يحيطوا بعلمه " « مبالغة في فرط احتياجه إلى صدق التأمل، ومبالغة في تحصيل الذين بادروا إلى التكذيب دون تأمل في شيء حقيق بالتأمل».[2]

والفعلان الإنجازيان المتضمنان في الآية من خلال:

ـ الألوسي، والزمخشري: الذم.

ـ وابن عاشور: المبالغة.

23 ـ قال الله تعالى﴿ وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦۚ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾

في الآية أسلوب خبري لوصف حالتهم بعد إتيان التأويل، فمنهم من يكون مؤمنا مع كونه مكابرا ومعاندا، ومنهم من يؤمن إيمانا حقيقيا صادقا ويتوب عن كفره، ومنهم من لا يصدق به في نفسه أو ظاهرا، وكل منهم الله سبحانه عالم بهم وبفسادهم أي اشتراكهم في أصل الفساد.[3]

وفي قوله تعالى " وربك أعلم بالمفسدين " « تعريض بالوعيد والإنذار، وبأنهم من المفسدين، للعلم بأنه ما ذكر المفسدين هنا إلا لأن هؤلاء منهم... فالمعنى: وربك أعلم بهم لأنه أعلم بالمفسدين الذين هم من زمرتهم ».[4] والأفعال الإنجازية المتضمنة في الآية من خلال ابن عاشور هي: التعريض، الوعيد، والإنذار.

---

[1] ـ ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين الألوسي، ج6/ ص 112، والكشاف، جار الله أبو القاسم الزمخشري، ج3/ص 138.

[2] ـ تفسير التحرير و التنوير، الطاهر بن عاشور، ج11/ ص 171.

[3] ـ ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين الألوسي، ج6/ ص 114.

[4] ـ تفسير التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج11 / ص175.

24 ـ قال الله عزّ وجلّ ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ﴾

تخبر الآية عن أولئك المكذبين الذين يسمعون القرآن بحيث يسمعون ألفاظه دون أن يتدبروه أو يقبلوه أو ينتفعوا به.[1] فهم « يسمعون إليه وينظرون إليه ولا ينتفعون بذلك من جهة أن المستمعين إليه والناظرين إليه هنا استمروا على الكفر».[2] وفي الآية الفعل الكلامي يتمثل في الإخبار.

25 ـ قال الله تعالى﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ۚ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ ۖ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾

تتحدث الآيات عما يوفره الله سبحانه للناس من أسباب العلوم والإدراك والإرشاد إلى الحق بإنزال الكتب وإرسال الأنبياء و الرسل، غير أن المشركين ينقصون من هذه الأسباب التي تخدم مصالحهم لعدم استغلال مشاعرهم فيما خلقت له وإنكارهم للحق وتكذيبه، لهذا اقتصر الظلم عليهم للمبالغة في بطلان وسخافة عقولهم وأفعالهم، وقد يراد من معنى الآية أنه سبحانه غير ظالم للناس يوم القيامة ولكنه يعذبهم بما كسبت أيديهم فهم لأنفسهم ظالمون وفي هذا وعيد لهم ، وفي قوله " إن الناس أنفسهم يظلمون " تنبيه على أن ظلمهم هذا نشأ

[1] ـ ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين الألوسي، ج6/ ص119.
[2] ـ تفسير التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج11/ ص 177.

عن استعدادهم وليس مقدر عليهم.[1] وقوله تعالى " وما كانوا مهتدين " « استئناف فيه معنى التعجب، كأنه قيل: ما أحسرهم».[2]

وفي هذه الآية « تعريض بالوعيد بأنْ سينالهم ما نال جميع الذين ظلموا أنفسهم بتكذيب رسل الله [و في قوله تعالى " ويوم نحشرهم"] تذكيرهم بذلك اليوم وإثبات وقوعه مع تحذيرهم ووعيدهم بما يحصل لهم فيه [وقوله تعالى " إلينا مرجعهم "] إنذار بأنهم إن أمهلوا فأبقى عليهم في الدنيا فإنهم غير مفلتين من المصير إلى عقاب الآخرة حين يرجعون إلى تصرف الله دون حائل [وجملة " الله شهيد على ما يفعلون "] تعريض بالجزاء على سوء أفعالهم... وإخبار بأنّ مرجعهم إلى الله، لأنّ إرجاعهم إلى الله مجمل واطلاعه على أفعالهم المكنى به عن مؤاخذتهم بها هو تفصيل للوعيد المجمل...وقد حصل بالإجمال ثم بتفصيله تمام تقرير الغرض المسوق له الكلام وتأكيد الوعيد [وقوله تعالى " لكل أمة رسول "] إعلام بأن تكذيبهم الرسول هو الذي يجر عليهم الوعيد بالعذاب [وقوله قضي بينهم تحذير من مشاقة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وإنذار لأهل مكة بما نالهم ».[3] والأفعال الإنجازية المتضمنة في الآيات من خلال:

ـ الألوسي: المبالغة، والوعيد.

ـ وابن عاشور: والتعريض، و التذكير، والتحذير، والإنذار، والتعريض، والتقرير، والتأكيد، والإعلام، والوعيد.

26 ـ قال الله تعالى﴿ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي ٱلْأَرْضِ لَٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا

[1] ـ ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين الألوسي، ج6/ ص 120 ـ 121.
[2] ـ الكشاف، جار الله أبو القاسم الزمخشري، ج3/ ص 147.
[3] ـ تفسير التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج11/ ص 180 -187.

فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٥٦﴾

تضمنت الآية إخبارا عن أولئك الذين ظلموا بالكفر والتعدي على حقوق غيرهم وافتدائهم بما في الدنيا من أموال ومنافع لرد العذاب، وأنهم يسرون في نفوسهم الأسف والندم وقد يكون الإسرار هنا الإخلاص أي أنهم أخلصوا الندامة، لأن في إخفائها إخلاصها، وإما لأن سر الشيء لخالصه الذي يخفى ويصان وفي هذا تهكم بهم، وفي العدول إلى صيغة الجمع في قوله تعالى " أسروا " تهويل الأمر أي أن هذا الإسرار يكون للجميع عند رؤية أهوال العذاب.[1] وفي الآية « إعلام لهم بهول ذلك العذاب عساهم أن يحذروه ... والمعنى أن هذا العذاب لا تتحمله أية نفس على تفاوت الأنفس في تحمل الآلام... وعبر عن الإسرار المستقبلي بلفظ الماضي تنبيها على تحقيق وقوعه حتى كأنه قد مضى ».[2]

وفي قوله تعالى " ألا إن لله ما في السموات و الأرض " تأكيد أن الله سبحانه وتعالى هو من يملك ملكوت السموات والأرض دون سواه، وأن وعده بالعذاب كائن و متحقق لامحالة، و في تصدير الجملة بحرف التنبيه " ألا " تنبيه على وجوب استحضار هذا الوعد فهو المحيي و المميت.[3] و الأفعال الإنجازية المتضمنة في الآيات من خلال:

- الألوسي: التهويل، والتهكم، والتأكيد، والتنبيه.

- وابن عاشور: الإعلام.

[1] - ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين الألوسي ج6/ ص130.
[2] - تفسير التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج11/ ص197 - 198.
[3] - ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين الألوسي، ج6/ ص 130 - 131 .

27 ـ قال الله تعالى﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ ﴾

في الآية أسلوب خبري عن وعده ووعيده عزّ وجلّ ففي قوله " وما تكون في شأن " « وعد بالثواب للرسول على ماهو قائم به من تبليغ أمر الله وتدبير شؤون المسلمين، وتأييد دين الإسلام ، وبالثواب للمسلمين على اتباعهم الرسول فيما دعاهم إليه، وجاء هذا الوعد بطريقة التعريض بحصول رضى الله تعالى عنهم في قوله: " إلا كنا عليكم شهودا "». [1]

والوعيد في قوله " ولا تعملون من عمل " فهذا الخطاب عام وشامل لكل الناس من محسن ومسيء أي أن الله تعالى مطلع على كل أعمالهم محيط بها فهم محاسبون على كل صغيرة وكبيرة.[2] وقوله تعالى " ولا أصغر من ذلك و لا أكبر إلا في كتاب مبين " « جملة مسوقة لتقرير ما تقدم ».[3] وقد « ذكر هذا الكلام ليحصل به تمام السلوة والسرور للمطعين، وتمام الخوف و الفزع للمذنبين ».[4] وقد تضمنت الآية أفعالا إنجازية تمثلت من خلال المفسرين فيما يلي:

ـ ابن عاشور: الوعد، والوعيد.

ـ والألوسي: الوعيد.

ـ ومحي الدين الدرويش: التقرير.

[1] ـ تفسير التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج11/ ص 211.
[2] ـ ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين الألوسي، ج6/ ص 135 ـ 138.
[3] ـ إعراب القرآن الكريم وبيانه، محي الدين الدرويش، ج4/ ص 267.
[4] ـ تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي ، ج17/ ص 127.

28 ـ قال الله تعالى﴿ أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٦٣ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٦٤﴾

يقرر المولى عزّ و جلّ حال المؤمنين وأنه لاخوف عليهم على فوات مطلوب، لأن سعيهم هو سعي إلى الله وقصدهم هو مرضاته سبحانه، وأما الأمور الدنيوية التي تأتي وتذهب لا يلتفتون إليها ، ولا يحزنون على عدم تحصيلها وفي هذا تبشير ووعد لهم، ثم ذكر تعالى أن سبب فوزهم هو تقواهم وإيمانهم بالله.[1] وقد « لمح لهم بعاقبة النصر، ووعدهم البشرى في الآخرة وعدا لايقبل التغيير و التخلف تطمينا لنفوسهم ».[2] وهذه البشرى إنما لترغيبهم في الحصول على محبة الله بأن يكون من أوليائه.[3] وقد تضمنت الآيات أفعالا إنجازية من خلال المفسرين:

ـ الألوسي: التقرير، والتبشير، والوعيد.

ـ وابن عاشور: الترغيب.

29 ـ قال الله تعالى﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ٦٦ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ ٦٧﴾

[1] ـ ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين الألوسي،ج 6/ ص 144 ـ 144.

[2] ـ تفسير التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج 11/ ص 216.

[3] ـ ينظر: المرجع نفسه، ج11/ ص 216.

جاءت الآية للإخبار أن الله تعالى هو المالك لكل شيء، وهذا تأكيد للآية السابقة من اختصاص العزة بالله عز وجل.[1] وفي هذه الآية « المقصود بتوجيه هذا الكلام هم المشركون لتأييسهم من كل احتمال لانتصارهم على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ والمسلمين [وفيها] تصريح بهوان شأنهم عند الله وعند رسوله ومن التعريض باقتراب حلول الغلبة عليهم ».[2] ثم ذكر سبحانه بطلان ما يعبد المشركون دون الله، و أن اتباعهم لشركائهم لم يكن يقينا بل كانوا يتبعون ظنونهم، وفي هذه الآية تنبيه على قدرة الله الكاملة ونعمته الشاملة تدليلا على استحقاقه العبادة دون غيره وفي هذا تقرير لكون الله سبحانه هو المالك لكل الموجودات .[3] وفي قوله تعالى" لآيات لقوم يسمعون " « تعريض بأن الذين لم يهتدوا بها ولا تفطنوا لدلالاتها بمنزلة الصم ».[4] والأفعال الإنجازية المتضمنة في الآيتين من خلال:

ـ الألوسي: التأكيد، والتنبيه، والتقرير.

ـ وابن عاشور: التيئيس، والتصريح ، والتعريض.

30 ـ قال الله تعالى﴿ مَتَٰعٞ فِي ٱلدُّنۡيَا ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلۡعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ ٧٠﴾

تضمنت الآية جوابا لسؤال مقدر للآية السابقة « عما يتراءى فيهم [المكذبين] بحسب الظاهر من نيل المطالب والفوز بالحظوظ الدنيوية على الإطلاق أو في ضمن افترائهم وبيانا لأن ذلك بمعزل من أن يكون من جنس الفلاح كأنه قيل: كيف لا يفلحون وهم في غبطة ونعيم؟ فقيل هو أو ذلك متاع حقير قليل في الدنيا وليس بالفوز بالمطلوب ثم أشير إلى

[1] ـ ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين الألوسي، ج6/ ص145.
[2] ـ تفسير التحرير و التنوير، الطاهر بن عاشور، ج11/ ص224.
[3] ـ ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين الألوسي، ج6/ ص 145 ـ 146، والكشاف جار الله أبو القاسم الزمخشري، ج3/ ص159.
[4] ـ تفسير التحرير و التنوير، الطاهر بن عاشور، ج11/ ص 228.

انتفاء النجاة عن المكروه أيضا[والتنوين في الآية للتحقير و التقليل]».[1] والفعلان الإنجازيان المتضمنان في الآية من خلال الألوسي هما: التحقير، والتقليل.

31 ـ قال الله تعالى﴿ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ﴾

تضمنت الآية إخبارا أن نوحا عليه السلام لما رأى إعراض قومه عن الإيمان بالله قال لهم « فإن كنتم توليتم فقد علمتم أني ما سألتكم أجرا فتتهموني برغبة في نفع ينجر لي من دعوتكم حتى تعرضوا عنها شحّا بأموالكم أو اتهاما بتكذيبي، وهذا إلزام لهم بأن توليهم لم يكن فيه احتمال تهمتهم إياه بتطلب نفع لنفسه. وبذلك برأ نفسه من أن يكون سببا لتوليهم».[2] وقوله تعالى " إن أجري إلا على الله " تأكيد على أنه لا ينتظر مقابلا منهم وأن أجره لا يكون إلا من عند الله، وقوله " وأمرت أن أكون من المسلمين " تأكيد وتقرير لما تقدم من أقوال نوح عليه السلام لقومه، فالمسلمون لا يأخذون مقابلا على تعليم دينهم.[3] وفي قوله هذا تأييس لهم أي « أمرني الله أن أتبع الدين الحق ولو كنت وحدي، وهذا تأييس لهم بأن إجماعهم على التولي عنه... لا يصده عن مخالفة دينهم الضلال».[4]

ثم ذكر أن هؤلاء القوم قد كذبوا نوح عليه السلام وأصروا على عنادهم لذلك أنجاه الله ومن معه من المؤمنين في السفينة وجعلهم خلائف في الأرض وأغرق المكذبين.[5] والأفعال الإنجازية المتضمنة في الآيتين من خلال:

---

[1] ـ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين الألوسي، ج6 / 145.

[2] ـ تفسير التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور ج11/ ص 241.

[3] ـ ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين الألوسي،ج6/ ص 149 - 150.

[4] ـ تفسير التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج11/ ص 241.

[5] ـ ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين الألوسي، ج6/ ص 150.

- ابن عاشور: الإلزام، التيئيس.

- والألوسي: والتأكيد، والتقرير.

32 - قال الله تعالى﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٦﴾ ﴾

تتضمن الآيات إخبارا عن أن الله سبحانه قد بعث الرسل إلى أقوام مختلفة؛ كهود وعاد وثمود وصالح، ليبينوا لهم الحق، فأتوا بالمعجزات الصادقة والبراهين الواضحة، غير أن هؤلاء الأقوام لم يؤمنوا واستمروا على عنادهم وتكذيبهم ، ثم ذكر سبحانه أنه خاذل لهؤلاء المعاندين والكفار فلا يهتدوا إلى الحق ، وبعدها ذكر تعالى استكبار فرعون وقومه عن آيات الحق والمعجزات التي جاء بها موسى عليه السلام واتهامهم لها بأنها سحر.[1]

وفي قولهم هذا « هو اعتذار المغلوب العديم الحجة الذي قهرته الحجة وبهره سلطان الحق».[2] والفعل الكلامي في هذه الآيات هو الإخبار.

33 - قال الله تعالى ﴿ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾

[1] - ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين الألوسي، ج6/ ص 151 - 154.
[2] - تفسير التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج11/ ص 249.

في الآية أسلوب خبري يتكون من « " ما " موصولة وقعت مبتدأ و " السحر " خبر وأل فيه للجنس والتعريف لإفادة القصر إفرادا أي الذي جئتم به هو السحر لا الذي سماه فرعون وملؤه من آيات الله تعالى سحرا ».[1] وقوله تعالى " إن الله سيبطله " « أي أن الله سيبطل تأثيره على الناس بفضح سره ».[2] وقوله تعالى " إن الله لا يصلح عمل المفسدين " « تذييل لتعليل ما قبلها و تأكيده، والمراد بعدم إصلاح ذلك عدم إثباته أو عدم تقويته بالتأييد الإلهي... أي إنه سبحانه لا يثبت عمل المفسدين ولا يديمه بل يزيله ويمحقه ».[3] ثم ذكر سبحانه أنه لم يؤمن من بني إسرائيل إلا بعض الأولاد لخوفهم من بطش فرعون فهو الظالم الفاسد في أرض مصر، وقوله تعالى " إنه لمن المسرفين " تأكيد لذلك.[4] والفعلان الإنجازيان في هذه الآيات من خلال الألوسي: التعليل، والتأكيد.

34 ـ قال الله تعالى﴿ وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ وَجُنُودُهُۥ بَغۡيٗا وَعَدۡوًاۚ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٩٠﴾

تضمنت الآية إخبارا حيث بين تعالى أنه جعل بني إسرائيل يتجاوزون البحر بكل يسر حين أدركهم فرعون وجنوده وتبعوهم عدوانا وظلما، فعندما أمر سبحانه وتعالى موسى عليه السلام بإخراج قومه من مصر أحس فرعون وجنوده بذلك فتبعوهم ، فأوحى الله إلى نبيه موسى عليه السلام بأن يضرب البحر بعصاه فسلكوا طريقهم، ولما دخل فرعون وجنوده

[1] ـ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين الألوسي، ج6/ ص 156.
[2] ـ تفسير التحرير و التنوير، الطاهر بن عاشور، ج11/ ص256.
[3] ـ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين الألوسي، ج6/ ص 157.
[4] ـ ينظر: المرجع نفسه، ج6/ ، ص157 - 159.

البحر هلكوا فيه فقال فرعون أنه آمن وأسلم.[1] وقد تضمنت الآية فعلا كلاميا يتمثل في الإخبار.

35 ـ قال الله تعالى﴿ فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗۚ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنۡ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾

في الآية أسلوب خبري غرضه التهكم بفرعون بعدما تزعم الإيمان في آخر لحظة أي هو« تهكم وتخييب لفرعون وحسم لأطماعه بالمرة، والمراد فاليوم نخرجك مما وقع فيه قومك من قعر البحر ونجعلك طافيا ملابسا ببدنك عاريا عن الروح إلا أنه عبر عن ذلك بالتنجية مجازا ».[2] وقوله تعالى " لمن خلفك " لمن ورائك من الناس علامة، وهم بني إسرائيل، وكان في أنفسهم أن فرعون أعظم شأنا من أن يغرق... وقيل أخبرهم موسى بهلاكه فلم يصدقوه، فألقاه الله على الساحل حتى عاينوه، وكأن مطرحه كان على ممر من بني إسرائيل... وقيل لمن يأتي بعدك من القرون ».[3]

وقد جعله الله بذلك عبرة للأمم التي تأتي بعده بأن الإنسان مهما بلغ من القوة فإنه مغلوب، غير أن الكثير من الناس لا يتفكرون في آيات الله ولا يعتبرون منها.[4] والفعل المنجز في الآية من خلال الألوسي هو: التهكم.

36 ـ قال الله تعالى﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتۡ عَلَيۡهِمۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوۡ جَآءَتۡهُمۡ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ﴿٩٧﴾ ﴾

[1] ـ ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين الألوسي، ج6/ ص 170 - 171.
[2] ـ المرجع نفسه، ج6/ ص 172.
[3] ـ الكشاف، جار الله أبو القاسم الزمخشري، ج3/ ص 172.
[4] ـ ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين الألوسي، ج6/ ص173.

تضمنت الآيتان بيان إصرار الكافرين على الضلال والكفر، وأنهم قد ثبت عليهم حكم الله وقضاؤه.[1]

فقد بين الله تعالى « أنهم من زمرة الفرق الذين حقت عليهم كلمة الله أن يؤمنوا، فهم لا تجدي فيهم الحجة لأنهم أهل مكابرة وليسوا طالبين للحق لأن الفطرة التي فطرت عليها عقولهم غير قابلة لحقائق للإيمان، فالذين لم يؤمنوا بما جيء من الآيات هم ممن علم الله أنهم لا يؤمنون، تلك أماراتهم. وهذا مسوق مساق التأييس من إيمانهم ... وهذا الكلام عظة للمشركين ...وتحذير من أن يكونوا مظهرا لمن حقت عليهم كلمة الشقوة وإنذار بوشك حلول العذاب بهم ».[2] والأفعال الإنجازية المتضمنة في الآيتين من خلال ابن عاشور هي:

التيئيس، والوعظ، والتحذير، والإنذار.

37 ـ قال تعالى﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾

في الآية أسلوب خبري لتقرير أن الإيمان حاصل بمشيئة الله سبحانه « أي ما كان لنفس أن تؤمن في حال من أحوالها إلا حال كونها ملابسة بإذنه سبحانه، فلا بد من كون الإيمان مما يؤول إليه حالها كما أن الموت حال لكل نفس لامحيص لها عنه فلابد من التخصيص بما ذكر، فإن النفوس التي علم الله تعالى أنها لا تؤمن ليس لها حال تؤمن فيها ».[3]

ثم ذكر سبحانه أنه يجعل الكفر والعذاب على الذين لا يتدبرون ولا يستخدمون عقولهم في النظر في آيات الله .[4] وقد تضمنت الآية فعلا إنجازيا من خلال الألوسي هو: التقرير.

[1] ـ ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين الألوسي، ج6/ ص 177.
[2] ـ تفسير التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج11/ ص 286 - 287.
[3] ـ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين الألوسي، ج6/ ص 182.
[4] ـ ينظر: المرجع نفسه، ج6/ ص 183.

38 ـ قال الله تعالى﴿ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيۡنَا نُنجِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٠٣﴾

في الآية أسلوب خبري غرضه المسارعة في التهديد و المبالغة في تشديد الوعيد[1] « كأنه قيل: نهلك الأمم ثم ننجي المرسل إليهم، وعبر بالمضارع لحكاية الحال الماضية لتهويل أمرها باستحضار صورها [وقوله تعالى " كذلك حقا علينا ننج المؤمنين "] تنبيه على أن مدار الإنجاء وهو الإيمان، وجيء بهذه الجملة تذييلا لما قبلها مقررا لمضمونه ».[2]

وفيها تعجيل بالبشارة للرسول والمؤمنين بأن ينجيهم من العذاب كما أنجى الرسل الذين سبقوه.[3] و قد تضمنت الآية أفعالا إنجازية من خلال:

ـ الألوسي: التهديد، والمبالغة، والوعيد، والتنبيه. والتهويل.

ـ وابن عاشور :التعجيل.

39 ـ قال الله تعالى﴿ فَإِن فَعَلۡتَ فَإِنَّكَ إِذٗا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠٦﴾

في الآية إخبار عن أن الرسول عليه الصلاة والسلام إذا فعل ما فعل القوم الكافرين من الشرك بالله ودعوة ما لا يضر و لا ينفع، فإنه معدود في عدادهم، وجيء بالفعل بدل الدعاء في قوله " فإن فعلت " للتنبيه على مكانة الرسول صلى الله عليه وسلم ورفعة شأنه من أن ينسب إليه الشرك بالله عز وجل.[4]

وفي الآية « إشارة إلى أنه لا معذرة لمن يأتي ما نهي عنه بعد أن أكد نهيه بينت علته، فمن فعله فقد ظلم نفسه واعتدى على حق ربه، وأكد الكون من الظالمين على ذلك

[1] ـ ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين الألوسي، ج6/ ص 183.
[2] ـ المرجع نفسه، ج6/ ص 183 - 184.
[3] ـ ينظر: تفسير التحرير و التنوير، الطاهر بن عاشور، ج11/ ص299.
[4] ـ ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين الألوسي، ج6/ ص 186.

التقدير بـ (إن) لزيادة التحذير، وأتى بـ (إذن) للإشارة إلى سؤال مقدر كأن سائلا سأل: فإن فعلت ماذا يكون؟ ... والمقصود من هذا الغرض تنبيه الناس على فظاعة عظم هذا الفعل حتى لو فعله أشرف المخلوقين لكان من الظالمين».[1] والأفعال الإنجازية المتضمنة في الآية من خلال:

ـ الألوسي: التنبيه.

ـ وابن عاشور: التنبيه، والتحذير، والاستفهام.

40 ـ قال الله تعالى﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ ﴾

تقرر الآية أن ما يصيب العبد من سوء لا يكشفه عنه إلا الله، فالأصنام وغير ذلك لا يمكن أن تبعد مكروه وأن من ينفع ويأتي بالخير هو الله وحده، ولا أحد يقدر أن يمنع هذا الفضل والكرم، وفي هذا ترغيب و ترهيب من أن كل شيء راجع إلى الله سبحانه فهو الضار و النافع.[2]

وقوله تعالى " وإن يردك بخير " « عبر هنا بالإرادة مبالغة في سلب الإرادة عمن يريد معارضة مراده تعالى كائنا من كان بحيث لا يستطيع التعرض لله في خيره ولو كان بمجرد إرادته قبل حصول فعله، فإن التعرض أهون لأن الدفع أسهل من الرفع... [وجملة يصيب به من يشاء من عباده] واقعة موقع البيان لما قبلها والحوصلة له، فلذلك فصلت عنها والضمير المجرور بالباء عائد إلى الخير، فيكون امتنانا وحثا على التعرض لمرضاة الله حتى يكون مم حقت عليهم مشيئة الله أن يصيبهم بالخير؛ أو يعود إلى ما تقدم من الضر

[1] ـ تفسير التحرير و التنوير، الطاهر بن عاشور، ج11/ ص 304 - 305.

[2] ـ ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني، شهاب الدين الألوسي، ج6/ ص186.

والضمير باعتبار أنه مذكور فيكون تخويفا وتبشيرا وتحذيرا و ترغيبا ».[1] وقد تضمنت الآية أفعالا إنجازية من خلال:

ـ الألوسي: التقرير، والترغيب، والترهيب.

ـ وابن عاشور: والمبالغة، والامتنان، والحث، والتخويف، والتبشير، والتحذير، الترغيب.

خلاصة:

بعد الانتهاء من استخراج الأفعال الكلامية من الأساليب الخبرية في الخطاب القرآني في سورة يونس يمكن القول:

أن الأسلوب الخبري في الخطاب القرآني قد يكون الغرض منه هو الأسلوب المباشر أي المعنى الحرفي للصيغة، إلا أنه في كثير من الأحيان يتعدى هذا المعنى إلى معان أخرى خفية تفهم من السياق القرآني فقد يخرج إلى معنى الوعد و الوعيد، التبشير و التحذير، التخويف والتهديد ، التنبيه والمبالغة، والترغيب والإنذار، والتهكم والتحقير، والتبكيت والتوبيخ وغيرها، كما قد يخرج أسلوب الإخبار إلى أساليب إنشائية مرت معنا كالمدح والذم والتعجب والاستفهام.

[1] ـ تفسير التحرير و التنوير، الطاهر بن عاشور، ج11/ ص 305 - 307.

المبحث الثاني: الأفعال الإنجازية في الإنشاء.

1ـ تعريف الإنشاء:

1 ـ1 ـ الإنشاء لغة:

مأخوذ من الفعل الثلاثي نشأ، جاء في كتاب العين:« نشأ: الّنشأ: أحداث النّاس الصِّغار. يقال للواحد: هو نَشَأُسوءٍ، وهؤلاء نَشأُ سوءٍ، والنّاشئ:الشّابّ، يقال: تفيً ناشِئٌ والفعل: نشأ ينشأ نَشأً ونشأةً ونشاءةوالنّاشِئَةُأوّلُ اللّيل. وأنشأت حديثاً: ابتدأت.»[1]، وجاء في لسان العرب الإنَشْءُ أن ترى الحلبّ كالمُلاء المنشور، والنشْءُ والنَشِيءُ أول ما ينشأ من السحاب ويرتفع.»[2]

1 ـ 2 ـ الإنشاء اصطلاحا:

يعد الإنشاء جزءاً هاماً من علم المعاني اهتم به النحاة والبلاغيون قديماً وحديثاً، فهو كل كلام لا يمكن الحكم عليه بأنّه يطابق الواقع أو لا يطابقه، لأنّه يدل على حدث لم يقع من قبل، وهو نابع من شعور وإحساس الشخص المنشئ للكلام أثناء حديثه « فهو كل كلام لا يحتمل الصدق والكذب.»[3]، لذا لايمكن الحكم عليه بمطابقته للواقع أو عدمها.

والفرق بين الإنشاء والخبر هو أنّ الخبر يحتمل الصدق أو الكذب، بينما الإنشاء كلام لا يحتمل الصدق أو الكذب، حيث يقول السكاكي في مفتاح العلوم: «ثم أنّ الخبر والطلب بعد افتراقهما بحقيقتهما يفترقان باللازم المشهور، وهو احتمال الصدق والكذب.»[4]

---

[1]ـ كتاب العين مرتبا على حروف المعجم، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ط1، 2003، مادة (نشأ)، ج4/ ص 220.

[2] ـ لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين بن مظور، ج1/ ص 166.

[3] ـ الجملة العربية تأليفها وأقسامها، فاضل صالح السامرائي، دار الفكر، عمان، الأردن،ط2، 2007، ص 170.

[4] ـ مفتاح العلوم، أبو يعقوب السكاكي، ص 165.

2 ـ أنواع الإنشاء:

ينقسم الإنشاء إلى قسمين: طلبي وغير طلبي.

2 ـ 1 ـ الأسلوب الإنشائي الطلبي: وهو الذي عرفه الخطيب القزويني بقوله: « يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب؛ لامتناع تحصيل الحاصل.»[1]، فالأسلوب الإنشائي الطلبي يستلزمحصول طلبٍ ما وليس بالضرورة أن يحصل في نفس الوقت، لامتناع الشخص على القيام به في وقته.

والطلب نوعان: « نوع لا يستدعي في مطلوبه إمكان الحصول [وهذا النوع لا ينتظر حصول الطلب كالتمني] ونوع يستدعي فيه إمكان الحصول [كالاستفهام والأمر...]»[2]، وتتفرع من هذين النوعين أنواع كثيرة أشهرها: التمني والاستفهام والأمر والنهي والنداء.

2 ـ 1 ـ 1 ـ التمني: وهو معروف بصيغة " ليت " « ولا يشترط في التمني الإمكان... وقد يُتمنى بـ " هل " كقول القائل: "هل لي من شفيع؟"... وقد يُتمنى بـ "لو" كقولك: " لو تأتيني فتحدِّثني"، وقوله تعالى:﴿ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الشعراء: 102]، ويُتمنى بـ "لعلَّ" فتعطى حكم " ليت "»[3]، كقوله تعالى:﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ ﴾ [غافر: 36 ـ 37].

---

[1] – الإيضاح في علوم البلاغة، جلال الدين الخطيب القزويني، ص108.
[2] – مفتاح العلوم، أبو يعقوب السكاكي، ص302.
[3] – الإيضاح في علوم البلاغة، جلال الدين الخطيب القزويني، ص 108.

فالتمني هو طلب حصول شيء مرغوب فيه، فإن استحال ذلك الطلب فهو تمنٍ حقيقي ويبقى كذلك، وإن كان الطلب ممكناً وقريباً فهو ترجٍ، ويخرج التمني لعدة أغراض بلاغية أهمها: التحسر،و التأسف،و الندم،و الحسد،و الوعيد،و النجدة،و الخلاص، والهروب...

2 ـ 1 ـ 2 ـ الاستفهام: هو السؤال أو طلب معرفة الشيء المجهول وهو « طلب حصول في الذهن،والمطلوبُ حصولُه في الذهن إما أن يكون حكماً بشيء على شيء أو لا يكون، والأول هو التصديق ويمتنع انفكاكه من تصور الطرفين، والثاني هو التصور، ولا يمتنع انفكاكه من التصديق، ثم المحكوم به إما أن يكون نفس الثبوت أو الانتفاء.»[1]، معنى ذلك أنَّ الاستفهام ينقسم إلى قسمين: طلب تصديق وطلب تصور، فالأول طلب حصول نسبة بين الشيئين ولكل شيء أداة تختص به وتؤدي معناه، أي: تعيين النسبة، أما الثاني فهو طلب حصول صورة شيء ما في العقل، أي: طلب تعيين المفرد. [2]

ومن ألفاظ الاستفهام الموضوعة له نجد:« الهمزة, و"هل" و"ما" و"مَنْ" وأيْ" وكَمْ" وكَيْفَ" وأَيْنَ" و"أنَّى" و"متى" وأيَّانَ" »[3] و« هذه الكلمات ثلاثة أنواع : أحدها: يختص بطلب حصول التصور، وثانيها: يختص بطلب حصول التصديق، وثالثهما لا يختص.»[4]

فهمزة الاستفهام « تدخل على الأسماء والأفعال، لطلب تصديق نحو: "أزيدٌ قائم؟" أو تصور نحو:" أزيدٌ عندك أم عمرو؟" [فالهمزة يطلب بها التصديق كما يطلب بها التصور] فإن دلت على طلب التصديق نحو قوله تعالى:﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ﴾[يونس:53]

ويكون الجواب بـ "نعم" إن أريد الإثبات وبـ " لا " إن أريد النفي في حكم الثبوت، ويكون الجواب بـ " بلى" في حكم الانتفاء، إذن الهمزة تصلح للدخول على الإثبات والنفي[5]،و الهمزة

---

[1] – **مفتاح العلوم**، أبو يعقوب **السكاكي**، ص 303.
[2] – ينظر: التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، **مسعود صحراوي**، ص 113.
[3] – الإيضاح في علوم البلاغة، جلال الدين الخطيب القزويني، ص 108.
[4] – **مفتاح العلوم**، أبو يعقوب **السكاكي**، ص 308.
[5] ـ ينظر: التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، **مسعود صحراوي**، ص 114.

أعم وهي أصل أدوات الاستفهام، ولأصالتها استأثرت بأمور منها: تمام التصدير بتقديمها على الفاء والواو وثم، نحو قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [البقرة: 44]، ﴿ أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ ﴾ [الروم، 9]، ﴿ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ﴾ [يونس: 51] ...ثم إنّ همزة الاستفهام قد ترد لمعانٍ أُخر بحسب المقام، والأصل في جميع ذلك معنى الاستفهام.»[1]

ومن بين هذه المعاني نجد: التسوية نحو قوله تعالى:﴿ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ ﴾ [البقرة: 6]، وتقع همزة التسوية بعد "سواء"، و"ليت شعري"، و"ما أبالي"، و"ما أدري"، ونجد معنى التقرير حيث ذكر بعض النحويين أنه المعنى الملازم للهمزة، نحو قوله عزّ وجل:﴿ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي ﴾ [المائدة: 16]،و التوبيخ نحو قوله جلَّ وعلا:﴿ أَذۡهَبۡتُمۡ طَيِّبَٰتِكُمۡ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنۡيَا ﴾ [الأحقاف: 20]، والتذكير نحو قوله عزّ وجل: ﴿ أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾ ﴾ [الضحى: 6]، والتهديد نحو قوله تعالى:﴿ أَلَمۡ نُهۡلِكِ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ [المرسلات، 16]، والتهكم نحو قوله تعالى:﴿ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ ﴾[هود: 87].

وهناك معانٍ أخر كالتعجب والاستبطاء والتنبيه و التحقيق والإنكار.[2]

و" هل" لطلب التصديق فحسب، كقولك: "هل قام زيدٌ؟" »[3] ، ونجيب بنعم أو لا، نحو قوله تعالى:﴿ فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ ﴾ [الأعراف: 44]،

[1] – الجنى الداني في حروف المعاني، الحسن بن قاسم المرادي، ص 30–31.
[2] – ينظر: المرجع نفسه، ص 32– 33.
[3] – الإيضاح في علوم البلاغة، جلال الدين الخطيب القزويني، ص 109– 110.

« وتكون بمعنى " قد"، كقوله تعالى:﴿ هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ ﴾[الإنسان:1]، قالوا معناه " قد أتى"، ويدخلها مِن معنى التقرير والتوبيخ ما يدخل الألف التي يستفهم بها، كقوله تعالى: ﴿ قُلۡ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ﴾ [يونس: 34]، وهذا استفهام فيه تقرير وتوبيخ، ويجعلونها أيضا بمعنى "ما" »[1]، كما في قوله تعالى:﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ﴾[الأنعام: 158].

أما " ما ": فللسؤال عن الجنس، تقول: ما عندك؟ بمعنى: أي أجناس الأشياء عندك؟ وجوابه: إنسان أو فرس أو كتاب أو طعام، وكذلك تقول: ما الكلمة، ما الاسم، وما الفعل وما الحرف...»[2]، أي شيء، ومنه قوله تعالى﴿ وَمَا تِلۡكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ١٧ ﴾ [طه: 17]، كما «يُطلبُ به إما شرح الاسم كقولنا: "ما العنقاء؟"إما ماهية المُسَمَّى، كقولنا: "ما الحركة؟ " ».[3]

ونجد "مَنْ " التي « تختص بالناس، وتكون استفهاما، كقولك: مَن قصدني؟ »[4]، كما تستعمل « للسؤال عن الجنس من ذوي العلم، تقول: "من جبريل؟ " بمعنى أبشر هو أم ملك أم جني ومنه قوله تعالى حكاية عن فرعون:﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ٤٩ ﴾ [طه: 49]، أراد: مَن مالككما ومدبر أمركما؟ أملك هو أم جني أم بشر؟ منكراً لأن يكون لهما رب سواء لادعائه الربوبية لنفسه، ذاهبا في سؤاله هذا إلى معنى أَلَكُما رب سواي.»[5]

---

[1] ـ حروف المعاني، أبو القاسم الزجاجي، تح: علي توفيق الحمد، دار الأمل، الأردن،ط2، 1986، ص 2.
[2] – مفتاح العلوم، أبو يعقوب السكاكي، ص 310.
[3] – الإيضاح في علوم البلاغة، جلال الدين الخطيب القزويني، ص 110.
[4] – حروف المعاني، أبو القاسم الزجاجي، ص 55.
[5] – مفتاح العلوم، أبو يعقوب السكاكي، ص311 – 312.

ونجد "أيٌّ " التي تستعمل للاستفهام « فيستفهم بها عن شيء من شيء هو بعضه، كقولك: أيُّ القوم أخوك؟ »[1]، كما نجدها تستعمل « للسؤال عما يميز أحد المُتشاركين في أمرٍ يعُمهما، كقوله تعالى:﴿أَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ خَيۡرٞ مَّقَامٗا وَأَحۡسَنُ نَدِيّٗا ٧٣﴾ [مريم:73]، أي: أنحن أم أصحاب محمدٍ عليهالصلاة و السلام.»[2]

أما "كمْ " فهي « اسم لعدد مبهم الجنس والمقدار.»[3]، و« تكون سؤالاً عن عدد، كقولك: "كمْ مالُك؟ "، وتكون خبرا بمعنىر" ُبَّ "، كقولككمْ غلامٍ قد ملكتُ .»[4]

وللسؤال عن الحال وعن المكان نستعمل كلاً من " كيف " « كقولك: كيف زيدٌ؟ فيقال صالح، أو سقيم، ويضمّ إليها " ما " فيجازى بها، قولك:" كيفما تصنع أصنع" وتقع بمعنى التعجب.»[5]، نحو قوله تعالى:﴿كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا فَأَحۡيَٰكُمۡۖ﴾ [البقرة: 28].

و" أين " نحوقوله عزّ وجل:﴿أَيۡنَ مَا تَكُونُواْ يَأۡتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًاۚ﴾ [البقرة: 148]، وأما " أنَّى " فتستعمل بمعنيين: تارة بمعنى " كيف "، ومنه قوله تعالى:﴿فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ أَنَّىٰ شِئۡتُمۡۖ﴾ [البقرة:223] أي: كيف شئتم، وتارة بمعنى "مِن أين "، نحو قوله تعالى:﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ﴾ [الأنعام: 101].

---

[1] – حروف المعاني، أبو القلسم الزجاجي، ص 62.
[2] – الإيضاح في علوم البلاغة، جلال الدين الخطيب القزويني، ص 111.
[3] – الجنى الداني في حروف المعاني، الحسن بن قلسم المرادي، ص 261.
[4] – حروف المعاني، أبو القلسم الزجاجي، ص 60.
[5] – المرجع نفسه، ص 59.

وللسؤال عن الزمان نستعمل كلاً من " متى " « كقولك: " متى تقوم؟"، و"متى العيد؟" ومعنى " متى" في هذين الوجهين ظرف من الزمان، بمعنى " الحين "و" الوقت " »[1]، و" أيّان " بمعنى" متى"نحو قوله جلَّ وعلا:﴿ يَسۡـَٔلُ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝٦ ﴾ [القيامة: 6].

ويذكر السكاكي أن هذه الألفاظ كثيراً ما يتولد منها ما سبق وذكرنا من المعاني، وإذا ربطت بقرائن الأحوال تتولدمعانٍ أخرى، فتستعمل " ما " و " من " للاستخفاف والتحقير والتعجب، و"أيّ " كذلك التعجب، و" كم " للاستبطاء والإنكار والتهديد، و" كيف " الإنكار والتعجب والتوبيخ، وتستعمل " أين " للتوبيخ والتقريع والإنكار وكذا للتنبيه، و" أنّى " تستعمل للتعجب والتعجيب والإنكار، و" متى " للجحد والإنكار والاستبطاء[2]،ويضيف القزويني أنّ ألفاظ الاستفهامتخرج لأغراض كثيرة، فنجد أنّ " الهمزة " تستعمل لغرض التهكم، و" من" للتهويل، و" أنّى " للاستبعاد.[3]

2 ـ 1 ـ 3 ـ الأمر: يعد الأمر من صيغ الطلب وله حرف واحد، حيث صرح السكاكي بأنّ « للأمر حرفاً واحداً وهو اللام الجازم في قولك: "ليفعلْ "»[4]، وهو طلب القيام بالفعل على سبيل الوجوب والاستعلاء، فإن كان الآمر أعلى درجة من المأمور فهو أمر حقيقي [أي: طلب]وإن كان الآمر والمأمور في نفس الدرجة فهو التماس،وإن كان الآمر أقل درجة من المأمور نحو: العبد وربه فهو دعاء، أو الابن ووالديه فهو رجاء، « ولا شبهة في أن طلب المتصور على سبيل الاستعلاء يورث إيجاب الإتيان على المطلوب منه، ثم إذا كان الاستعلاء ممن هو أعلى رتبة من المأمور استتبع إيجابه وجوب الفعل بحسب جهات مختلفة، وإلاّلم يستتبعه، فإذا صَادَفَتْ هذه أصل الاستعمال بالشرط المذكور أفادت الوجوب، وإلاّ لم تفد غير الطلب، ثم إنّها حينئذ تولد بحسب قرائن الأحوال ما ناسب المقام، إن

---

[1] ـ الأزهية في علم الحروف، علي بن محمد الهروي، تح: عبد المعين الملوحي، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق،ط2، 1993، ص 200.
[2] – ينظر: مفتاح العلوم، أبو يعقوب السكاكي، ص 313 ـ 315.
[3] – ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة، جلال الدين الخطيب القزويني، ص 115.
[4] – مفتاح العلوم، أبو يعقوب السكاكي، ص 318.

استعملت على سبيل التضرع كقولنا: " اللهم اغفر وارحم "ولدت الدعاء، وإن استعملت على سبيل التلطف، كقول كل أحد لمن يساويه في المرتبة: " افعل " بدون الاستعلاء ولدت السؤال والالتماس كيف عبرت عنه، وإن استعملت في مقام الإذن، كقولك: " جالس الحسن أو ابن سيرين "، لمن يستأذن في ذلك بلسانه أو بلسان حاله، ولدت الإباحة، وإن استعملت في مقام تسخط المأمور به ولدت التهديد.»[1]

ويخرج الأمر إلى أغراض بلاغية تعرف بناءً على سياق الكلام، ومن بينها التهديد كقوله تعالى:﴿ ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ ﴾ [فصلت: 4]، والتعجيز كقوله تعالى:﴿ فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ ﴾ [البقرة: 23]، والتسخير كقوله جلَّ وعلا:﴿ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ١٦٦ ﴾[الأعراف: 166]، والإهانةكقوله جلَّ وعلا:﴿ قُلۡ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا ٥٠ ﴾ [الإسراء: 50] والتسوية في قوله تعالى:﴿ قُلۡ أَنفِقُواْ طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمۡ ﴾ [التوبة: 53]، والدعاء نحو قوله تعالى على سبيل التضرع:﴿ رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ ﴾ [نوح: 28]،و الاحتقار نحو قوله تعالى:﴿ أَلۡقُواْ مَآ أَنتُم مُّلۡقُونَ ٨٠ ﴾ [يونس: 80] ... إلى غيره من المعاني.[2]

2 ـ 1 ـ 4 ـ النهي: يعد هو الآخر من صيغ الطلب ويُعرَّف بأنَّه «طلب الكفّ عن الفعل على وجه الاستعلاء، وصيغته واحدة وهي المضارع المقرون بلا الناهية»[3]، و« النهي محذو به حذو الأمر في أن أصل الاستعمال: (لا تفعل)، أن يكون على سبيل الاستعلاء...فإن صادف ذلك أفاد الوجوب، وإلا أفاد طلب الترك فحسب، ثم إن استعمل

[1] – **مفتاح العلوم**، أبو يعقوب **السكاكي**، ص 318 – 319.
[2] – ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة، جلال الدين الخطيب القزويني، ص 116–117.
[3] – الأساليب الإنشائية في **النّحو العربيّ** ، عبد السلام هارون، ص 15.

على سبيل التضرع، كقول المبتهل إلى الله: لا تكلني إلى نفسي، سمي:دعاء، وإن استعمل في حق المساوي الرتبة لا على سبيل الاستعلاء، سمي: التماسا، وإن استعمل في حق المستأذن، سمي:إباحة، وإن استعمل في مقام تسخط الترك، سمي: تهديداً» .[1]

والأمر كالنهي حقهما الفور، أي: حدوث الطلب في الحين، أما التراخي فيوقف على قرائن الأحوال لكونهما للطلب، ولكونه يستدعي تعجيل المطلوب أظهر منه في عدم استدعائه عند الإنصاف.[2]، فالأمر هو طلب القيام بالفعل، أما النهي هو طلب الكفّ عن الفعل؛ أي كفّ النفس عن القيام به.

وفي الأصل يكون النهي « لطلب الكف على سبيل التحريم.»[3]، كمافي قوله جلّ وعلا:﴿ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ ﴾ [الإسراء: 32]،وقد يخرج لغير طلب الكفّ أو الترك، وقد يأتي لمعانٍ أخرى تفهم من المقام، نذكر منها: الدعاء، الالتماس، التمني، التيئيس، التهديد، التحقير، والإرشاد.[4]

2 ـ 1 ـ 5 ـ النداء: يصنف أسلوب النداء ضمن خانة الإنشاء الطلبي« وهو المنادى بحرف نائب عن " أدعو "»[5] ، ونجد « " يا " من حروف النداء وهي أمّ حروفه.»[6]، نحو قوله تعالى:﴿ يَٰصَٰلِحُ ٱئۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ ﴾ [الأعراف: 77]، كما « انفردت بباب الاستغاثة، وشاركت " وا " في باب الندبة، وهي لنداء البعيد مسافةً أو حكماً، وقد ينادى بها القريب توكيداً... وقيل " يا " مشتركة، ينادى بها القريب والبعيد، لكثرة استعمالها.»[7]، وقد تستعمل صيغة النداء في غير معناه، نحو:" يا مظلوم " بمعنى الإغراء ونقولها لمن أقبل

---

[1] – مفتاح العلوم، أبو يعقوب السكاكي، ص 320.
[2] – ينظر: المرجع نفسه، ص 320.
[3] – الأساليب الإنشائية في النحو العربي، عبد السلام هارون، ص 15.
[4] – ينظر: المرجع نفسه، ص 15– 16.
[5] – المرجع نفسه، ص 17.
[6] – معاني الحروف، أبو الحسن علي بن عيسى الرّماني، تح: عبد الفتاح شلبي، دار الشروق، جدة،ط2، 1981، ص 92.
[7] – الجنى الداني في حروف المعاني، الحسن بن قاسم المرادي، ص 354– 355.

يتظلم، ونقول:" أنا أفعل كذا أيها الرجل "، أي: متخصصاً من بين الرجال، بمعنى الاختصاص.[1]

«والأصل في مُناداة القريب أن تكون " بالهمزة " أو"أيْ "، وفي نداء البعيد أن تكون بغيرهماوقد يُعكس الأمر فيُدعى القريب بدعاء البعيد لغرض بلاغي كعُلوّ المدعوّ نحو: " يا الله "لانحطاط درجته عن درجة الداعي، وقد ينزّل البعيد منزلة القريب فتستعمل له أداتُه، إشارة إلى أنه قريب المكانة.»[2]، وقد يأتي أسلوب النداء لغير معنيي الإغراء والاختصاص، فيأتي على معنى النّدبة والاستغاثة والتعجب والتوجع.[3]

ويعتبِر بعض العلماء كلاً من العرض والدعاء والتحضيض والترجي من الأساليب الإنشائية الطلبية، **فالعرض:** «الطلب بلينٍ ورفقٍ، وأداته " ألا "»[4]، وهي مختصة بالجمل الفعلية لا غير، وإذا وليتها الأسماء فتقدر الأفعال، نحو:" لا تنزل عندنا فتُحدث."[5]

أما **الدعاء** فـ «هو طلب الفعل أو الكفّ من الأدنى للأعلى، نحو قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا﴾ [آل عمران: 147].

و**التحضيض:**وهو الطلب في حثٍّ وإزعاجٍ، وأدواته " هلاّ " وهي:« كـ " ألاّ " وهاؤها يُحتمل أن تكون بدلاً من الهمزة فيكون الأصل: " ألاّ "... ويحتمل أن تكون أصلاً بنفسها، وهو الأوْلى لكثرة استعمالها أكثر من " ألاّ " نحو: :" هلاّ قمت ".»[6]، و" ألاّ " هي الأخرى من أدوات أسلوب التحضيض « لا عمل لها، وهي مختصة بالأفعال كسائر أحرف التحضيض، فلا يليها إلا فعل.»[7]، نحو قوله تعالى:﴿وَمَا لَهُمۡ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ﴾ [الأنفال:

---

[1] – ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة، جلال الدين الخطيب القزويني، ص 118.
[2] – الأساليب الإنشائية في النحو العربي، عبد السلام هارون، ص 17– 18.
[3] – ينظر: المرجع نفسه، ص 18.
[4] – المرجع نفسه، ص 18.
[5] – ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني، الحسن بن قاسم المرادي، ص 382.
[6] – رصف المباني في شرح حروف المعاني، أحمد بن عبد النورالمالقي، تح: أحمد الخرّاط، دار القلم، دمشق، ط3، 2002، ص 471.
[7] – الجنى الداني في حروف المعاني، الحسن بن قاسم المرادي، ص 509.

[الأنفال: 34]، ونجد أيضا " ألا " التي تستعمل للتحضيض «ويكون ما بعدها مُنَوَّناً منصوباً، كقولك:" ألا زيداً! "»[1]، و" لوما "« لم تجىءْ في كلام العرب إلاَّ لمعنى التحضيض تقول:" لوما يقوم زيد."»[2]، كما جاء في قوله جلَّ وعلا: ﴿ لَّوۡ مَا تَأۡتِينَا بِٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ ﴾ [الحجر: 7] و" لولا " مثل" لوما " فتقول: " لولا تقوم."، كما تحمل معنى التوبيخ[3]، نحو قوله تعالى: ﴿لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٖ﴾ [النساء: 77].

و**الترجي:**هو طلب أمر قريب الوقوع،فإذا كان الأمر مكروهاً حُمِّل الترجي معنى الإشفاق، والأصل في الترجي أن يكون بـ" لعل " و" عسى ".»[4]، " بلعل " نحو قوله تعالى:﴿ لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرٗا ١ ﴾ [الطلاق: 1]، و" بعسى "،نحو قوله جلَّ وعلا:﴿ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًا ﴾ [يوسف: 83].

وهناك من العلماءمَنْ يَعُدُّ الأنواع الخمسة الأولى (التمني، الاستفهام، الأمر، النهي، النداء) رئيسية في باب الطلب، وهناك من يضيف الأنواع الأخرى (العرض والدعاء والتحضيض والترجي).

2 ـ 2 ـ الأسلوب الإنشائي غير الطلبي: يُعَدُّ الضرب الثاني من الإنشاء وهو« ما لا يستدعي مطلوبا [أي لا يستلزم حصول الطلب عكس الإنشاء الطلبي] كصيغ العقود وألفاظ القسم والرجاء، وله أساليب كثيرة منها التعجب نحو:ماأحسنه وأحسنْ به »[5]، مثال ذلك: "

---

[1] – الأزهية في علم الحروف، **علي بن محمد** الهروي، ص 165.
[2] – **رصف المباني في شرح حروف المعاني، أحمد بن عبد النور المالقي**، ص 365.
[3] – ينظر: **المرجع** نفسه، ص 361.
[4] – الأساليب الإنشائية في النحو العربي، عبد السلام هارون، ص 16–17.
[5] – الجملة العربية تأليفها وأقسامها، **فاضل صالح السامرائي**، ص 170.

ما أنظف الحي!" و"أكرمْ بأحمد ضيفاً !"، وقد « اشتد الخلاف بين البلاغيين والنّحاة، وبين طوائف كل من الفريقين، في فهم الجملة التعجبية، أخبرية هي أم إنشائية؟».[1]

ونجد أيضا أفعال المدح والذم نحو: " نِعْمَ " التي تستعمل للحمد والثناء، كقولك:" غِمَ الرجلُ زيدٌ."، إنما هو مدح له بالحمد، وبِئْس َ "التي تستعمل للذمّ، ومجراها فيه مجرى "نِعْمَ " في الحمد، كقولك:ئْسِ َ الرجل زيدٌ "، و" حبذا " التي تستعمل للمدح أيضا، ولكنها تقع على كل اسم، في حين لا تقعِعْمَ وبِئس َ " إلاّ على معرفة بالألف واللام.[2]، ونجد أيضا " لاحبذا " و" ساء "، وكل فعل على صيغة (فعُل) بقصد المدح أم الذم، نحو قوله تعالى: ﴿ سَآءَ مَثَلًا ٱلۡقَوۡمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا ﴾ [الأعراف: 177]، ونحو: « ظرُف الرجل زيد." في المدح، و"خبُث غلامُ القوم عمرو."»[3]

كما نجد أفعال الرجاء نحو: " عسى " و" لعل "، نحو قوله جلَّ وعلا:﴿ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ ﴾ [المائدة: 52]، ونحو قوله جلَّ وعلا:﴿ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٞ ١٧ ﴾ [الشورى: 17].

وأسلوب القسم هو الآخر ضربٌ من ضروب الإنشاء غير الطلبي، ومعناه اليمين ويكون بأدوات هي: الباء، الواو، التاء، اللام، الميم المكسورة، نْ بالكسر والضم، فـ" **الباء** " هي أصل حروف القسم، يقال: أحلف بالله، وأقسم بالله نحو قوله تعالى:﴿ وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ ﴾ [الأنعام: 109]، كما تدخل على المضمر والمظهر، فتقول:" بالله لأقومنَّ "، و"به لأفعلنَّ ".

---

[1] – الأساليب الإنشائية في النحو العربي، عبد السلام هارون، ص 92.
[2] – ينظر: **حروف المعاني، أبو القاسم الزجاجي، ص** 16.
[3] – الأساليب الإنشائية في **النحو العربي، عبد** السلام هارون، ص 104.

و" **الواو** "حيث ذهب بعض النحويين أنَّ أصلها " الباء "، وذلك لكثرة استعمال " أُقسم بالله " فحذفوا الفعل أولاً للتحفيف فقالوا: بالله، ثم أبدلوا الباء واواً، لأنها أخف فقالوا: والله نحو قوله تعالى:﴿ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ١ ﴾[المنافقون: 1]، ومن شروطها أن يحذف فعل القسم معها، فلا نقول: " أقسم والله. "

" **التاء** ": وهي بدل من الواو، وهي تدخل على لفظ الجلالة دون سواه، نحو قوله جلَّ وعلا:﴿ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ عَلِمۡتُم مَّا جِئۡنَا لِنُفۡسِدَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ٧٣ ﴾ [يوسف: 73]، ولكن حكى بعض النحويين أنها نادرا ما تدخل على غيره نحوتَرَبِّ الكعبة لأفعلنَّ ، يريدونورَبِّ الكعبة.

" **اللام** ": تختص بلفظ الجلالة نحو:"لله الكمال."، ونحو: لعمرك وهي « قسم ودعاء، وهو العمر معناه: قسمٌ بالبقاء.»[1]، نحو قوله تعالى:﴿ لَعَمۡرُكَ إِنَّهُمۡ لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ٧٢ ﴾[الحجر: 72]، والميم المكسورة: ذكر ابن يعيش أن قوماً ذهبوا إلى أن الميم في مِ الله"بدلٌ من الواو، لأن لهما نفس المخرج وهو الشَّفة، نحو: مِ الله لأفعلنَّ كذا ".

"**مِن** ": مكسورة الميم، وقد تُضم، وهي مختصة بلفظ "ربِّي" نحو: "مِن ربي لأفعلنَّ كذا "، حيث ذهب الكوفيون إلى أنَّ "مُن "المضمومة مقصور ة من" أيمُن الله "، والمكسورة مقصورة من " يمين الله ".[2]

وألفاظ العقود نحو: بعت واشتريت وزوجت.

---

[1] – حروف المعاني، أبو القاسم الزجاجي، ص 67.

[2] – ينظر: الأساليب الإنشائية في النحو العربي، عبد السلام هارون، ص 162– 164.

وأسماء الأفعال نحو:"أفّ " كقوله تعالى:﴿ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ ﴾ [الأنبياء: 67]، و" أوه "، بمعنى تضجرت وتوجعت الإنشائيتين.

و"ربُّ " و" كم " الخبرية فقد قالوا: إن ر(ّب) لإنشاء التقليل والتكثير، والقول الراجح حرف تقليل، ولا تعمل إلا في الاسم النكرة، نحو:"رُب فرس ركبته."، وقد تدخل على المضمر للتفسير نحو:"رُبه رجلا. "، وقد تزاد لها " ما " فيليها فعل نحو:" ربما قام زيد. "، ولا تقع إلا في صدر الكلام وتأتي لما مضى وللحال، فتقول:"رُب رجلٍ قام " و" يقوم "، ولا تقول:"رُب رجلٍ سيقوم. "[1]

كما قالوا عن: (كم) لإنشاء التكثير، وتأتي بمعنى"رُب" كقولك:"كم غلامٍ قد ملكت."

و هناك أساليب أخرى غير منحصرة منها ما يفيد التعظيم و منها ما يفيد التنزيه وغيرها نحو: حمداً لله وشكراً لله وسبحان الله بمعنى براءةُ اللهِ من السوء وتنزيها له، ومعاذَ الله بمعنى الاستعاذة بالله واستجارةٌ به.[2]

[1] ـ ينظر: الجملة العربية تأليفها وأقسامها، فاضل صالح السامرائي، ص171، ومعاني الحروف، أبو الحسن الرماني، ص107، وحروف المعاني، أبو القاسم الزجاج، ص14، والأزهية في علم الحروف، علي بن محمد الهروي، ص 259 ـ 260.

[2] ـ ينظر: الجملة العربية تأليفها وأقسامها، فاضل صالح السامرائي، ص171، وحروف المعاني، أبو القاسم الزجاجي، ص 17– 8.

3 ـ تحليل الأفعال الإنجازية الإنشائية.

نتناول في هذا المبحث الأفعال الكلامية في الأسلوب الإنشائي، حيث أنّها تحمل قيماً إنجازية مباشرة وغير مباشرة، والتي نتوصل إليها من خلال المقام والظروف التي أنجزت فيها الأقوال، وفيما سيأتي نحاول تحليل الأفعال الإنشائية في سورة **يونس**.

1 ـ قال الله تعالى: ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾

نزلت هذه الآية حين « أنكرت طائفة من العرب رسالة محمد صلى الله عليه وسلم فقالوا: الله أعظم من أن يكون له رسول بشراً، فأنزل الله تعالى هذه الآية.»[1]

وتضمنت الآية أسلوبين إنشائيين تمثل الأول في الاستفهام لغرض إنكار سنة الله وهي الإيحاء إلى رجل، وذلك لبعدهم عن مقامه ونفي ماجاء به لما يعتقدونه، وأن حالهم ليست بحاله، ومدار الإنكار في تبيين خطئهم وإظهار بطلان ما يزعمون ويعتقدون[2]. بمعنى: كان تعجبهم لبعدهم عن مقامه صلى الله عليه وسلم، ومنافاة ما جاء به[3]. والثاني تمثل في الأمر في قوله « أن أنذر النّاس وبشّر» لغرض الإنذار والإخبار، أي: أوحينا إلى الرسول بالإنذار وفي هذا تخويف لهم من العذاب، وقد جاء الإنذار عاماً للمؤمنين والكافرين، وذكر سبحانه ذلك لغرض التعميم والتهويل، أما التبشير فقد جاء خاصاً للمؤمنين لترغيبهم في الوصول إلى إحسان الله، ونيل مرضاته، وهو أمر بتبشير المؤمنين بما أوحى الله

[1] ـ تفسير التحرير والتنوير، الطاهر **بن عاشور**، ج11/ ص83 – 84.
[2] ـ ينظر: **روح المعاني** في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين **الألوسي**، ج6/ ص 59.
[3] ـ ينظر: محاسن التأويل، جمال الدين **القاسمي**، ج9/ ص 3322.

سبحانه إلى الرسول من المنزلة الرفيعة والفوز بشفاعته صلى الله عليه وسلم[1]، والأفعال الإنجازية المتضمنة في الآية هي:

ـ الفعل المباشر الأول : الاستفهام.

ـو الفعل غير المباشـــر من خلال الألوسي: الإنكار، ومن خلال القاسمي: التعجب.

ـ الفعل المباشر الثاني: الأمـــــر.

ـ و الفعل غير المباشر من خلال الألوسي: الإخبار والإنذار والتخويف والتهويل والترغيب والتبشير.

2 ـ قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٣﴾

في الآية أسلوبان إنشائيان تمثلا في الأمر والاستفهام، فجملة « فاعبدوه » أفادت الأمر بعبادته سبحانه وتعالى من غير الإشراك به من عبادة ملك أو نبي أو جماد لا يبصر ولا يسمع، ولا يضر ولا ينفع، أما جملة « أفلا تذكرون » تضمنت استفهاماً، أي:أنّ الأمر فُصل ألا تعلمون حتى تكفوا عن الفساد الذي أنتم عليه، فتقفوا عنه وتعبدوا الله وحده[2]، كما حمل الاستفهام معنى التقريع أي: أنهم أشركوا في عبادة الله ونَفَوا تذكرهم بأنه هو المنفرد بخلق كل شيء، فيه إنكارٌ بأنه هو المالك المدبر لجميع الأحوال.[3] فمعنى الآية: وحدوه بالعبادة وتفكروا بأنه المستحق بالعبادة والربوبية[4]، وتضمنت الآية أفعالاً هي:

ـ الفعل المباشر الأول: الأمـــر.

ـو الفعلانغير المباشـر ان من خلال الألوسي هما: الإخبار والتنبيه.

ـ الفعل المباشر الثاني: الاستفهام.

---

[1] ـ ينظر: **روح المعاني** في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين **الألوسي**، ج6/ ص 60–61.
[2] ـ ينظر: المرجع نفسه، ج6/ ص 63.
[3] ـ ينظر: تفسير التحرير والتنوير، الطاهر **بن عاشور**، ج11 / ص 89.
[4] ـ ينظر: محاسن التأويل، جمال الدين **القاسمي**، ج9/ ص 3322.

و الفعلانغير المباشر ان من خلال ابن عاشور هما: التقريع والإنكار.

3 ـ قال الله تعالى:﴿دَعۡوَىٰهُمۡ فِيهَا سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٞۚ وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٠﴾

حكت الآية أسلوباً إنشائياً بصيغة الدعاء، حيث أطلق الدعاء على التسبيح من أجل إنشاء التنزيه، ويراد بهفي هذه الآية أنّ أحوال أهل الجنة والنعيم الذي هم فيه لا يستدعي السؤال عليه، بل الالتزام بالتسبيح، والغرض منه هو التمجيد والتنزيه[1]، وتقدير الجملة: نسبحك تسبيحاً، وفي قوله:« اللّهم » نداء وتقديره " يا الله "[2]، وحملت جملة « وءاخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين » دعاء ثاني حمل معنى التحميد، أي: أنهم يختمون بالدعاء، فهم يدعون أولاً وإذا أرادوا الانتقال إلى حالة من أحوال النعيم انَهَّا دعاءهم بحمد الله[3]، أي:«أنّ دعاء أهل الجنة وعبادتهم هو قولهم: سبحانك اللّهم وبحمدك »[4]، والأفعال المتضمنة هي:

ـ الفعل المباشر الأول: الدعاء.

ـ و الفعل المباشر الثاني: النداء.

ـ و الأفعال غير المباشرة من خلال ابن عاشور هي: التسبيح التمجيد والتحميد والتنزيـــــه.

4 ـ قال الله تعالى:﴿ ثُمَّ جَعَلۡنَٰكُمۡ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لِنَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ١٤﴾

[1] ـ ينظر: تفسير التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج11/ ص 103.
[2] ـ ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين الألوسي، ج6/ ص 72.
[3] ـ ينظر: تفسير التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج11/ ص 104.
[4] ـ محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، ج9/ ص 3327.

حكت الآية أسلوباً إنشائياً جاء على صيغة الاستفهام في قوله: « كيف تعملون »

« أي: على أي حال تعملون الأفعال اللائقة بالاستخلاف من أوصاف الحسن وفيه من المبالغة في الزجر عن الأعمال السيئة ما فيه.»[1] أي: ننظر كيف تعملون من خير أو شر، فنعاملكم حسب عملكم.[2]

ويرى بعض المحققين أنّ " كيف " هنا للسؤال عن الأحوال والصفات، أي: السؤال عن أحوالهم وأعمالهم كونها حسنة أو قبيحة خيراً أو شراً، وهذا لا يعني أنّ سبحانه لا يعلم علمهم قبل استخلافهم[3]، والفعلان المتضمنان في الآية هما:

ـ الفعل المباشـــــــر: الاستفهام.

ـ و الفعل غير المباشر من خلال الألوسي هو: الزجر.

5 ـ قال عزّ وجل:﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِ نَفْسِيٓۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ﴾

نزلت هذه الآية « في خمسة: نفر عبد الله بن أمية المخزومي والوليد بن المغيرة ومكرز بن حفص وعمرو بن عبد الله بن أبي قيس العامري والعاص بن عامر بن هشام قالوا للنبّي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: إن كنت تريد أن نؤمن لك فائت بقرآن ليس فيه ترك عبادة

[1] ـ **روح المعاني** في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين **الألوسي**، ج6/ ص 78.
[2] ـ ينظر: محاسن التأويل، جمال الدين **القاسمي**، ج9/ ص 3330.
[3] ـ ينظر: **روح المعاني** في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين **الألوسي**، ج6/ ص78 – 79.

اللات والعزىومنات وليس فيه عيبها وإن لم ينزل الله تعالى عليك، فقل أنت من نفسك أو بدله فاجعل مكان آية عذاب آية رحمة ومكان حرام حلالاً ومكان حلال حراماً.»[1]

وحُكي في الآية أسلوب أمرٍ والمقصود به:« تكذيب الكفار النبّي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بأن يكون القرآن موحى إليه من الله تعالى، فهم يتوهمون أن القرآن وضعه النبّي من تلقاء نفسه، ولذلك جعلوا من تكذيبهم أن يقولوا له « ايت بقرآن غير هذا أو بدّله » إطماعا له بأن يؤمنوا به مغايراً أو مبدَّلاً إذا وافق هواهم.»[2]، بمعنى الآخر: اقترح المشركون على الرسول بأن يأتي بقرآن آخر والتزامهم بأنّه غير مرسل ومنزل من عند الله، فكان الجواب عن قولهم جوابين أحدهما: ما لقنه الله بقوله « قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي » وهو جواب عن صريح اقتراحهم، وثانيهما: ما لقنه بقوله « قل لو شاء الله ما تلوته عليكم » وهو جواب عن لازم كلامهم.[3]، والفعلان المتضمنان في الآية هما:

ـ الفعل المباشـــــر: الأمر.

ـو الفعل غير المباشر من خلال ابن عاشور هي: التكذيب.

6 ـقال عزّ وجل:﴿ قُل لَّوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوۡتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَدۡرَىٰكُم بِهِۦۖ فَقَدۡ لَبِثۡتُ فِيكُمۡ عُمُرٗا مِّن قَبۡلِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٦ ﴾

تضمنت الآية أسلوبين إنشائيين يُمثل الأول جواباً ثانيا على قولهم « ائتبقرآنٍ غير هذا أو بدّله » في صيغة الأمر بمعنى:أنّ تلاوة القرآن ليست إلا بمشيئة الله، وهو قوله:« قل لو شاء اللهما تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبث فيكم عمراً مّن قبله »، والثاني

[1] ـ المرجع نفسه، ج6/ ص 80–81.
[2] ـ تفسير التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج11/ ص 116.
[3] ـ ينظر: تفسير التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج11/ ص118– 119.

في جملة « أفلا تعقلون » تمثل في أسلوب الاستفهام للإنكار والتعجب على قيام الحجة عليهم بأنّ ذلك من عند الله، بمعنى:أفلا تكونون عاقلين فتعرفوا أنّ مثل هذا الحال لا يكون إلا من وحي الله عزّ وجل.[1]، وفيه إشارة إلى تحقيق حقية القرآن.[2]، فتقدير الآية: لو شاء الله ما تلوته عليكم، لكنني تلوته عليكم، وهذه التلاوة دليل الرسالة.[3]، والأفعال المتضمنة هي:

ـ الفعل المباشر الأول: الأمـــر.

ـو الفعل غير المباشـــر من خلال ابن عاشور: الإخبار.

ـ الفعل المباشر الثاني: الاستفهام.

ـو الفعلانغير المباشر ان من خلال ابن عاشور هما: الإنكار والتعجب.

7 قال عزّ وجل:﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾ ﴾

ذُكِر أنّ هذه الآية نزلت حينما « وفد عمرو بن العاص إلى مسيلمة الكذاب وكان صديقاً له في الجاهلية، وكان عمرو لم يسلم بعدُ، فقال مسيلمة: ويحك يا عمرو! وماذا أنزل على صاحبكم ـ يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ في هذه المدة؟ فقال: لقد سمعت أصحابه يقرؤون سورة عظيمة قصيرة، فقال: وما هي؟ فقال:﴿وَالعَصْرِ * إنَّ الإِنْسَانَ ...إلخ، ففكر مسيلمة ساعة ثم قال: وأنا قد أنزل عليَّ مثله! فقال: وما هو؟ فقال: يا وبر يا وبر، إنما أنت أذنان وصدر وسائرك حقر ونقر!! كيف ترى يا عمرو؟ فقال له عمرو: والله ! إنّك لتعلم أني أعلم أنك لكذاب.»[4]

---

[1] ـ ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين الألوسي، ج11/ ص 122– 123.
[2] ـ ينظر: محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، ج9/ ص 3331.
[3] ـ ينظر: تفسير التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج11/ ص119– 120.
[4] ـ محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، ج9/ ص 3334.

فالأسلوب الذي تضمنته الآية هو أسلوب الاستفهام بمعنى الجحد، أي: لا أحد أظلم ممن تقوَّل على الله وكفر بآياته.[1]، وفيها تبرئته صلى الله عليه وسلم من نسبة الافتراء على الله وتظليم للمشركين بكفرهم وتكذيبهم للقرآن الكريم، أي:أنّ المشركين أظلم من كل ظالم لفعلتهم هذه بالافتراء وتكذيب الآيات.[2]، والفعلان المتضمنان هما:

ـ الفعل المباشـــــر: الاستفهام.

ـ و الفعل غير المباشر من خلال القاسمي: الجحد.

8 قال عزّ وجل:﴿ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ١٨ ﴾

في الآية جملة استفهام بمعنى:« أتخبرونه سبحانه بما لا وجود له ولا تحقق أصلاً، وهو كون الأصنام شفعاءهم عنده جل شأنه»[3]، وقيل للإنكار والتوبيخ، وجملة « سبحانه وتعالى » لإنشاء تنزيه إشراكهم[4]، أما جملة « قل » فأمر بمعنى: كيف تخبرون الله بذلك، فهو تهكم بهم وبما ادعوه من شفاعة الأصنام.[5]

والآية تضمنت أفعالاً إنجازية هي:

ـ الفعل المباشر الأول: الأمـــــر.

ـو الفعل غير المباشر: الإخبار.

ـو الفعل المباشر الثاني: الاستفهام.

---

[1] ـ ينظر: محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، ج9/ ص 3334.
[2] ـ ينظر: **روح المعاني** في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين **الألوسي**، ج6/ ص 82.
[3] ـ **روح المعاني** في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين **الألوسي**، ج6/ ص 83.
[4] ـ ينظر: تفسير التحرير والتنوير، **الطاهر بن عاشور**، ج11/ ص 126.
[5] ـ ينظر: محاسن التأويل، جمال الدين **القاسمي**، ج9/ ص 3335.

ـو الأفعالغير المباشر ة من خلال ابن عاشور: الإنكار والتوبيخ والتنزيه، ومن خلال القاسمي: التهكم.

9 ـقال عزّ وجل:﴿وَيَقُولُونَ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦۖ فَقُلۡ إِنَّمَا ٱلۡغَيۡبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ ٢٠﴾

في الآية أسلوبان إنشائيان أولهما أسلوب تحضيض وغرضه الالتفات لتجديد نشاط السامع، وذلك لجهلهم بحقائق الأشياء وتحكيمهم الوهم والخيال في أن الرسول غير صادق في دعواه، وهو قوله تعالى «لولا أنزل عليه آية مّن ر ّبّه »[1]، أما الأسلوب الآخر فتمثل في الأمر حين قال:« فقل إنّما الغيب لله » وقجاء للإخبار أنّ لا علم للرسول بالغيب وإنّما هو مختص بالله عزّ وجل[2]، وتكرر الأمر في قوله « فانتظروا » أي: ليس عملي وعملكم إلاّ انتظار مشيئة الله، وهذا تعريض بالتهديد[3]، والأفعال المتضمنة في الآية هي:

ـ الفعل المباشر الأول: التحضيض.

ـو الفعل غير المباشـر من خلال ابن عاشور هو: الالتفات.

ـ الفعل المباشر الثاني: الأمـــــــر.

ـو الفعلانغير المباشر ان من خلال الألوسي هو: الإخبار، ومن خلال ابن عاشور هو: التهديد.

10 ـ قال الله تعالى:﴿ قُلِ ٱللَّهُ أَسۡرَعُ مَكۡرًاۚ﴾

[1] ـ ينظر: تفسير التحرير والتنوير، **الطاهر بن عاشور**، ج11/ ص 130.
[2] ـ ينظر: **روح المعاني** في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين **الألوسي**، ج6/ ص 88.
[3] ـ ينظر: تفسير التحرير والتنوير، **الطاهر بن عاشور**، ج11/ ص 131.

جاء في الآية أسلوبٌ إنشائيٌ على صيغة الأمر للإخبار بأنّ عذاب الله أسرع وُصولاً إليهم منهم[1]، والمقصود بالمكر إخفاء الكيد والمضرة أنّ ما يدبرونه غير خافٍ على الله، وفي ذلك تجهيلٌ لهم ومبالغة في الإعلام بمكرهم[2]، وقيل في الآية وعظ وذلك أنّ الرسول أُمر بأن يعظهم بأنّ الله أسرع مكراً بهم منهم بآياته.[3]؛ و الفعلان المنجزان المتضمنان في الآية هما:

ـ الفعل المباشـــــر: الأمر.

ـو الفعل غير المباشر من خلال القاسمي هو: الإخبار، ومن خلال الألوسي: التجهيل والمبالغة، ومن خلال ابن عاشور: الوعظ.

11 ـ قال الله تعالى:﴿ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمۡ إِذَا هُمۡ يَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡۖ مَّتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُكُمۡ ﴾

تضمنت الآية أسلوب نداءٍ غرضه التهديد والتشديد والمبالغة في الوعيد، وهذا النداء موجه إلى الباغين لتوضيح أنّ بغيهم أمر عاجل وزائل وهو متاع الحياة الدنيا، وفي الآية زجرٌ عن البغي[4]، وقيل موجه إلى الناسين نعمة الإخلاص واستجابة الدعاء، فذلك وباله فتمتعوا بما تبغون، وفي الآية وعيد بجزاء بغي المشركين[5]؛ وتحذير لهم وتهديدهم بأنّ الله أمهلهم على إشراكهم، فلا يحسبوا هذا الإمهال رضياً بفعلهم ولا عجزاً، ثم يؤاخذهم الله على بغيهم عند مرجعهم إليه.[6]و الفعلان المنجزان في الآية هما:

---

[1] ـ ينظر: محاسن التأويل، جمال الدين **القاسمي**، ج9/ ص 3337.
[2] ـ ينظر: **روح المعاني** في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين **الألوسي**، ج6/ ص 90.
[3] ـ ينظر: تفسير التحرير والتنوير، **الطاهر بن عاشور**، ج11/ ص 133.
[4] ـ ينظر: **روح المعاني** في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين **الألوسي**، ج6/ ص93 – 94.
[5] ـ ينظر: محاسن التأويل، جمال الدين **القاسمي**، ج9/ ص 3338.
[6] ـ ينظر: تفسير التحرير والتنوير: **الطاهر بن عاشور**، ج11/ ص139– 140.

ـ الفعل المباشـــــــر: النداء.

ـو الفعل غير المباشر من خلال ابن عاشور هو: التشديد والتهديد والمبالغة والزجر، ومن خلال ابن عاشور: التحذير.

12 ـ قال الله تعالى:﴿ ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ مَكَانَكُمۡ أَنتُمۡ وَشُرَكَآؤُكُمۡۚ ﴾

في الآية أسلوبٌ إنشائيٌ تمثل في الأمر، أي: الزموا مكانكم وانتظروا حتى تنظروا ما يُفعل بكم، وفي الآية تهكم منهم ومن شركائهم[1]، والغرض منه الوعيد والتهديد.[2]

حيث « قال القاشانّي: معناه قفوا مع ما وقفوا معه في الموقف من قطع الوصل والأسباب والتي هي سبب محبتهم وعبادتهم، وتبرؤ المعبود من العابد لانقطاع الأغراض الطبيعية التي توجب تلك الوُصلَ.»[3]، وتضمنت الآية فعلان إنجازيان هما:

ـ الفعل المباشـــــــر: الأمر.

ـو الفعل غير المباشر من خلال ابن عاشور هو: التهكم، ومن خلال الألوسي: التهديد والوعيد.

13 ـقال جلّ وعلا:﴿ قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٣١ ﴾

[1] ـ ينظر: تفسير التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج11/ ص 151.
[2] ـ ينظر: **روح المعاني** في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين **الألوسي**، ج6/ ص 101– 102.
[3] ـ محاسن التأويل، جمال الدين **القاسمي**، ج9/ ص 3343.

اشتملت الآية الكريمة على أسلوبين إنشائيين هما: الأمر والاستفهام، ففي قوله « قل »أمر بالإخبار بأنّ الله هو الرازق والخالق والمدبّر، وفي الآية تحدٍّ للكفار[1].

أما أسلوب الاستفهام فتفرع على الجمل التالية:« من يرزقكم » للتذكير بأحوال الرزق وأنّه من السماء، وجملة «أمّن يملك السّمع والأبصار »للتذكير بأنّ الله يملك التصرف في السمع والأبصار، وجملة «ومن يخرج الحيّ من الميّت ويخرج الميّت من الحيّ » جاءت بأسلوب أحاجي وبمحسن التضاد، فإخراج الحيّ من الميّت هو تولد أطفال الحيوان من البَيْض والنطف بعد أن كانت لا حياة فيها، وإخراج الميّت من الحيّ هو إخراج النطف والبَيْض من الحيوان، كل ذلك لزيادة التعجيب منه، أما جملة « ومن يدبّر الأمر» ففيها تعميم بعد تخصيص، فكل الأمور من تدبير المولى عزّ وجل[2]، « ولما كانوا مقرين بالرزق وما معه من الخلق والتدبير، أخبر عن جوابهم إذا سئلوا عنه بقوله:« فسيقولون الله »، أي: مسمى هذا الاسم الذي له الكمال كله بالحياة والقيومية...« فقل »، أي: قل لهم مسببا عن جوابهم هذا الإنكار عليهم في عدم التقوى:« أفلا تتّقون »، أي: تجعلون وقاية بينكم وبين عقابهعلى اعترافكم بتوحده في ربوبيته وإشراككم غيره في إلهيته.»[3]، وقيل المراد من الآية: أنّ الله يتولى تدبير الأمور العالم كله، بيده ملكوت كل شيء، أفلا تخافون بعد اعترافكم من غضب الله لعبادة غيره.[4]،و الأفعال الإنجازية المتضمنة في الآية هي:

- الفعل المباشـــر الأول: الأمـــر.

- و الفعل غير المباشـــر من خلال ابن عاشور هو: الإخبار والتحدي.

- الفعل المباشـــر الثاني: الاستفهـام.

- و الفعل غير المباشـــر من خلال ابن عاشور هو: التذكير والتعجيب والتحدّي.

---

[1] ـ ينظر: تفسير التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج11/ ص 157.
[2] ـ ينظر: المرجع نفسه، ج11/ ص 156–157.
[3] ـ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم، ج9/ ص 113.
[4] ـ ينظر: محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، ج9/ ص 3345.

14 ـقال جلّ وعلا:﴿ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ٣٢ ﴾

في الآية أسلوب استفهامٍ للإنكار والإبطال، أي: لايكون إثر انتفاء الحق إلاّ الضلال، وأنّ الله هو الرب الحق وإبطال غيره من نسبة الإلهية إليه[1]، بمعنى آخر: أنّ الحق والضلال لا واسطة بينهما، وما بعد حقية ربوبية الله وعبادته إلاّ بطلانه.[2]

وتكرر الاستفهام في قوله « فأنّى تصرفون » فهو استفهام عن المكان، أي: أنّكم في عماية وضلال عن الطريق الحق، ولم تجدوا من ينعت لكم طريقاً فتصرفون من ضلال إلى ضلال، وفي ذلك توبيخ لهم.[3]، والفعلان الإنجازيان المتضمنان في الآية هما:

ـ الفعل المباشـــــر: الاستفهام.

ـو الفعل غير المباشر من خلال ابن عاشور هو: الإنكار، والإبطال، والتوبيخ.

15 ـقال جلّ وعلا:﴿ قُلۡ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ٣٤ ﴾

حكت الآية أسلوب أمرٍ في قوله « قل »، أي:أخبرهم، وأسلوب استفهامٍ في قوله « هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده » بمعنى:« لما استفهمهم عن أشياء من صفات الله تعالى، واعترفوا بها، ثم أنكر عليهم صرفهم عن الحق، وعبادة الله، استفهم عن شيء هو سبب العبادة، وهو إبداء الخلق، ثم إعادة الخلق، وهم منكرون لذلك، إذ هو من الواضحات

[1] ـ ينظر: تفسير التحرير والتنوير: الطاهر بن عاشور، ج11/ ص 158– 159.
[2] ـ ينظر: محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، ج9/ ص 3345– 3346.
[3] ـ ينظر: تفسير التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج11/ ص 159.

التي لا يختلف في إمكانها العقلاء.»[1]، وقيل غرضه التبكيت والإلزام لبيان حقية التوحيد وبطلان الإشراك[2]، وفيه تقرير وتعديدالاستدلال، وهو احتجاج عليهم وإقامة الدليل بانفراد الله تعالى بتدبير جميع الأمور، وفي إنكار ونفي أن يكون من آلهتهم من يبدأ الخلق ثم يعيده[3]، ولما كانوا لمكابرتهم وعنادهم لا يقرون بذلك، أمر الله تعالى نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـأن يخبرهم بأنّ الله سبحانه وتعالى هو القادر على ذلك كله[4]، كما تكرر الاستفهام في قوله « فأنّى تؤفكون »، أي: كيف تُقلبون من الحق إلى الباطل.[5]

و الأفعال الإنجازية التي تضمنتها الآية هي:

ـ الفعل المباشـر الأول: الأمـــر.

ـو الفعل غير المباشـــر من خلال أبي حيان الأندلسي هو: الإخبار.

ـ الفعل المباشـر الثاني: الاستفهام.

ـو الفعل غير المباشـر من خلال الألوسي : التبكيت والإلزام، ومن خلال ابن عاشور: التقرير، و الإنكار، والنفي.

16 ـقال جلّ وعلا:﴿ قُلۡ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهۡدِي لِلۡحَقِّۗ أَفَمَن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهۡدَىٰۖ فَمَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ٣٥ ﴾

[1] ـ تفسير البحر المحيط، محمد بن يوسف أبو حيّان الأندلسي، تح: عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ط1، 1993، ج5/ ص 156.
[2] ـ ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين الألوسي، ج6/ ص 106.
[3] ـ ينظر: تفسير التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج11/ ص 160–161.
[4] ـ ينظر: محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، ج9/ ص 3346.
[5] ـ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين الألوسي، ج6/ ص 106.

اشتملت الآية على أسلوبين إنشائيين تمثلا في الأمر والاستفهام، ففي قوله « قل » احتجاج آخر جيء به إلزاماً وإفحاماً للمشركين، وأمرٌ بأن يقول « هل من شركائكم مّن يهدي إلى الحقّ » على صيغة الاستفهام والمراد به: هل يوجد من يهدي إلى الحق ويبعث الرسل وينزل الكتب غير الله أم الشركاء، والسؤال لغرض الإفحام والتبكيت والإلزام[1]، كما تكرر الأمر في قوله « قل الله يهدي للحقّ » للاستدلال على كمال الخالق بالهداية إلى الأعمال الصالحة.

وجملة الاستفهام في قوله « أفمن يهدي إلى الحقّ أحقّ أن يتّبع » فيها تقرير على قصر الهداية إلى الحق على المولى عزّ وجل دون آلهتهم، فلذلك كان الذي يهدي إلى الحق أحق أن يتبع، لأنّه مصلح كل أمر[2]، وفي قوله « أمّن لاّ يهدّي إلاّ أن يهدى » استفهام قيل معناه:« أم من لا يهتدي من الأوثان إلى مكان، فينتقل إليه إلا أن يهدى إلا أن ينقل أو لا يهتدي، ولا يصح منه الاهتداء إلا بنقله الله تعالى من حاله إلى أن يجعله حيواناً مطلقاً، فيهديه.»[3] وتكرر الاستفهام في قوله « فما لكم » لغرض الإنكار والتعجب، أي: أيُّ شيء لكم في اتخاذ هؤلاء العاجزين عن هداية أنفسهم وهداية غيرهم شركاء، وفي قوله « كيف تحكمون » استفهام آخر، أي:كيف تحكمون بالباطل وتزعمون أنّ لله أنداداً.[4]

و الأفعال التي تضمنتها الآية هي:

ـ الفعل المباشـر الأول: الأمـــر.

ـو الفعل غير المباشـــر من خلال الألوسي هو : الاحتجاج والإفحام والإلزام.

ـ الفعل المباشـر الثاني: الاستفهام.

[1] ـ ينظر: **روح المعاني** في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين **الألوسي**، ج6/ ص 107.
[2] ـ ينظر: تفسير التحرير والتنوير، **الطاهر بن عاشور**، ج11/ ص 162.
[3] ـ تفسير البحر المحيط، أبو حيّان **الأندلسي**، ج5/ ص 157.
[4] ـ ينظر: محاسن التأويل، جمال الدين **القاسمي**، ج9/ ص 3348.

ـو الفعل غير المباشـر من خلال الألوسي: الإفحام والتبكيت والإلزام، ومن خلال ابن عاشور: التقرير، ومن خلال القاسمي: والإنكار والتعجب.

17 ـقال جلّ وعلا:﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾

حكت الآية الكريمة جملتين إنشائيتين هما: الاستفهام والأمر، تمثل الاستفهام في جملة « أم يقولون افتراه »،« للإنكار والتعجيب، وهو ارتقاء بإبطال دعواهم أن يكون القرآن مفترى من دون الله، والمعنى: بل أيقولون افتراه بعدما تبين لهم من الدلائل على صدقه وبرائته من الافتراء.»[1]، أما جملة الأمر فتظهر في قوله « قل فأتوا بسورة مّثله وادعوا من استطعتم مّن دون الله » لغرض التبكيت، أي: إن كان القرآن مفترى كما تدعون فأتوا بمثله، وادعوا كل شركائكم لمعاونتكم في الإتيان بمثل القرآن الكريم، وهذا لإفادة أن القرآن هو كلام الله عزّ وجل.[2]،و الأفعال الإنجازية المتضمنة هي:

ـ الفعل المباشر الأول: الاستفهام.

ـو الفعل غير المباشـر من خلال ابن عاشور هو: الإنكار والتعجيب.

ـ الفعل المباشر الثاني: الأمـــــر.

ـو الفعل غير المباشر من خلال الألوسي هو: التبكيت.

18 ـ قال المولى تعالى:﴿ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾

[1] ـ تفسير التحرير والتنوير، **الطاهر بن عاشور**، ج11/ ص 170.
[2] ـ ينظر: **روح المعاني** في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين **الألوسي**، ج6/ ص 111– 112.

تضمنت الآية أسلوباً إنشائياً بصيغة الأمر غرضه الوعيد بأن يدخل هؤلاء الظالمين في زمرة الذين كذبوا من قبلهم بإهلاكهم[1]، وجملة « كيف » استفهام بمعنى انظر هذا السؤال وتدبره، وانظر هلاك من كذب بآيات الله وظلم.[2]

وتضمنت الآية أفعالاً إنجازية هي:

ـ الفعل المباشر الأول: الأمـــر.

ـو الفعل غير المباشــر من خلال الألوسي هو: الوعيد.

ـ الفعل المباشر الثاني: الاستفهام.

ـو الفعل غير المباشر من ابن عاشور هو: الإخبار والتدبر.

19 ـ قال المولى تعالى: ﴿ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ۖ أَنتُم بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ ﴾

في الآية أسلوب أمرٍ بمعنى: إن تمادوا على تكذيبك، فتبرأ منهم إنّك معذور، وقل لهم لي عملي الصالح المشتمل على الطاعة والإيمان ولكم عملكم المشتمل على العصيان، وتضمنت الآية معنى الوعيد[3]، والفعلان اللذان تضمنتهما الآية هما:

ـ الفعل المباشـــــر: الأمر.

ـو الفعل غير المباشر من خلال أبي حيان الأندلسي هو: الوعيد.

---

[1] ـ ينظر: المرجع نفسه، ج6/ ص 114.
[2] ـ ينظر: تفسير التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج11/ ص 174.
[3] ـ ينظر: تفسير البحر المحيط، أبو حيّان الأندلسي، ج5/ ص 161.

20 ـ قال المولى تعالى: ﴿ أَفَأَنتَ تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوۡ كَانُواْ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمِنۡهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيۡكَۚ أَفَأَنتَ تَهۡدِى ٱلۡعُمۡىَ وَلَوۡ كَانُواْ لَا يُبۡصِرُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾

« قال ابن عباس: نزلت الآيتان في النضر بن الحرث، وغيره من المستهزئين، وقال ابن الأنباري: في قوم من اليهود.»[1]

وفي الآية أسلوب إنشائي جاء على صيغة الاستفهام للتعجيب والإنكار، فقوله « أفأنت تسمع الصّمّ ولو كانوا لا يعقلون »، بمعنى:« إنّك لا تقدر على إسماع الأصم ـ الأطرش ـ »[2]، أي أنكر ونفى الله سبحانه وتعالى عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أن يكون قادراً على إسماع هؤلاء الذين فقدوا السمع والعقل، وأثبت هذا الأمر له سبحانه وتعالى.[3]، وتكرر الاستفهام في جملة «ومنهم مّن ينظر إليك أفأنت ...»، أي:ينظرون إليك وإلى ما أعطاك الله بعين الاحتقار، ولا يحصل لهم من الهداية شيء[4]، والمقصود من الآيتين هو إعلامه صلى الله عليه وسلم بأنّ هؤلاء الكفار لا ينفع فيهم العلاج البتة، لأنّ من كان أصم وأعمى وأحمق لا يمكنه أن يقف على إعجاز القرآن، ولا يمكنه أن ينظر إلى سيرة الرسول ولا يهتدي بها.[5]،و الفعلان المنجزان المتضمنان الآيتان الكريمتان هما:

ـ الفعل المباشـــــر: الاستفهام.

ـو الفعل غير المباشر من خلال ابن كثير: الإنكار والتعجيب، ومن خلال أبي جيان الأندلسي: الإعلام.

[1] ـ تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج5/ ص 161.
[2] ـ تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن كثير، ج4/ ص 270.
[3] ـ ينظر: **روح المعاني** في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين **الألوسي**، ج6/ ص 119– 120.
[4] ـ ينظر: تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن كثير، ج4/ ص171 – 172.
[5] ـ ينظر: تفسير البحر المحيط، أبو حيّان **الأندلسي**، ج5/ ص 162.

21 ـ قال المولى تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾

في الآية الكريمة أسلوب إنشائي يتمثل في الاستفهام، والمراد به: استفهام المكذبين للوعد الذي وعدوا به واستعجالهم له، وغرضهم منه استبعاد الموعود، وفي جملة « إن كنتم صادقين » جاءت لغرض التهكم والسخرية من الرسول صلى الله عليه وسلم، أي: إن كنتم صادقين[1]، وقيل المقصود منه: استهزاء الكفار من العذاب في أن يأتيهم.[2]، و الفعلان المتضمنان في الآية هما:

ـ الفعل المباشـــــر: الاستفهام.

ـو الفعل غير المباشر من خلال الألوسي: الاستبعاد والتهكم والسخرية، ومن خلال القاسمي: الاستهزاء.

22 ـ قال المولى تعالى:﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي ضَرّٗا وَلَا نَفۡعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌۚ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ فَلَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾

في الآية الكريمة أسلوب أمرٍ للإخبار بمعنى:« لما التمسوا تعجيل العذاب، أو تعجيل الساعة، أمر الله الرسول أن يقول لهم:ليس ذلك إليّ، بل ذلك إلى الله تعالى، وإذا

[1] ـ ينظر: **روح المعاني** في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين **الألوسي**، ج6/ ص 123.
[2] ـ ينظر: محاسن التأويل، جمال الدين **القاسمي**، ج9/ ص 3355.

كنت لا أملك لنفسي نفعا ولا ضراً، فكيف أملكه لغيري؟ أو كيف أطلع على ما لم يطلعني عليه الله، ولكن لكل أمة أجل، انفرد بعلمه تعالى.»[1]، وتضمنت الآية فعلان إنجازيان هما:

ـ الفعل المباشـــــر: الأمر.

ـو الفعل غير المباشر من خلال أبي حيان الأندلسي هو: الإخبار.

23 ـ قال الله تعالى:﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾

اشتملت الآية الكريمة على أسلوبين أولهما تمثل في الأمر في قوله « قل » وهو جوابٌ ثانٍ عن قولهم « متى هذا الوعد » وحاصل هذا الجواب هو: إن قدر حصول ما سألتم تعيين وقته، فما فائدة تطلب تعجيل حصوله، ففي الآية تهويلٌ لهذا العذاب الموعود، وإنكارٌ وتعجيبٌ من تعجيلهم له بنية أنّهم يؤمنون به عند نزوله في جملة الاستفهام «أر أيتم إن أتاكم عذابه بياتا أو نهارا مّاذا يستعجل منه المجرمون.» [2]

والفعلان المنجزان في الآية الكريمة هما:

ـ الفعل المباشر الأول: الأمـــر.

ـو الفعل غير المباشـر من خلال ابن عاشور هو : الإخبار.

ـ الفعل المباشر الثاني: الاستفهام.

ـو الفعل غير المباشر من خلال ابن عاشور هو: التهويل، والتعجيب، والإنكار.

[1] ـ تفسير البحر المحيط، أبو حيّان الأندلسي، ج5/ ص 164.
[2] ـ ينظر: تفسير التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج11/ ص 191– 192.

24 ـ قال الله تعالى:﴿ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ ﴾

تضمنت الآية أسلوب استفهامٍ ، أي:« قيل لهم إذ آمنوا بعد وقوع العذاب: آمنتم الآن به.»[1]، وقيل:«إنكارٌ لإيمانهم بنزول العذاب بعد وقوعه حقيقة، أي: أبعد ما وقع العذاب وحلّ بكم حقيقة، آمنتم به حين لا ينفعكم الإيمان؟ إنكاراً لتأخيره إلى هذا الحد وإيذاناً باستتباعه للندم والحسرة.»[2]، وجملة « ءآلن آمنتم به » قيل لهم إذاً آمنوا بعد معاينة العذاب، وذلك إنكاراً للتأخير وتوبيخاً عليه، وفيها إشارة إلى التكذيب والاستهزاء من الاستعجال[3]، وجملة « وقد كنتم به تستعجلون »، بمعنى:« تكذّبون، لأنّ استعجالهم كان على جهة التكذيب والإنكار.»[4]، وقيل: لزيادة التنديم والتجهيل، أي:« أخبروني إن أتاكم عذابه آمنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الإيمان.[5]؛ و الفعلان الإنجازيان هما:

ـ الفعل المباشـــــر: الاستفهام.

ـو الفعل غير المباشر من خلال القاسمي هو: الإنكار والاستهزاء والتوبيخ، ومن خلال الألوسي: التنديم والتجهيل.

25 ـ قال الله تعالى:﴿ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾

[1] ـ الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أحمد بن يوسف الحلبي، تح:أحمد الخرّاط، دار القلم، دمشق، (دط)، (د ت)، ج6/ ص 217.
[2] ـ محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، ج9/ ص 3358.
[3] ـ ينظر: المرجع نفسه، ج9/ ص 3358.
[4] ـ الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أحمد بن يوسف الحلبي، ج6/ ص 218.
[5] ـ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين الألوسي، ج6/ ص 127.

يظهر في الآية أسلوبان إنشائيان هما: الأمر والاستفهام، فجملة « ذوقوا عذاب الخلد » أمر والمراد به: قل للذين أشركوا وقالوا « متى هذا الوعد » ذوقوا العذاب الذي تستعجلونه في الآخرة [1]، أي: تبكيتاً وتقريعاً للمشركين[2]، أما جملة « هل تجزون إلاّ بما كنتم تكسبون » فاستفهام بمعنى:« توبيخ لهم، وتوضيح أن الجزاء هو على كسب العبد.»[3]،و الأفعال المتضمنة في الآية هي:

ـ الفعل المباشر الأول: الأمـــر.

ـو الفعل غير المباشـر من خلال ابن كثير هو: التبكيت والتقريع.

ـ الفعل المباشر الثاني: الاستفهام.

ـو الفعل غير المباشر من خلال أبي حيان الأندلسي هو: التوبيخ والتوضيح.

26 ـ قال الله تعالى: ﴿ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾

في الآية حكاية أخرى عن تكذيب المشركين للرسول، فمرة يتظاهرون باستبطاء الوعد، ومرة يُقبلون على الرسول في صورة الاستفهام[4]، فجملة « ويستنبئونك أحقّ هو» استفهام، وقيل أنّ سؤالهم هذا دل على « محض جهلهم أو عنادهم، لما ثبت من البرهان القاطع على نبوته بمعجز القرآن، وإذا صحت النبوة لزم القطع بصحة كل ما ينبئهم عنه، مما يصدعهم به.»[5]، وقيل « هذاالاستفهام منهم على جهة الاستهزاء والإنكار.»[6]، و الجملة « إي وربي » قسم للجواب عن استفهامهم، حيث « قال ابن كثير: هذه الآية ليس

[1] ـ ينظر: تفسير التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج11/ ص 195.
[2] ـ ينظر: تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن كثير، ج4/ ص 273.
[3] ـ تفسير البحر المحيط، أبو حيّان الأندلسي، ج5/ ص 166.
[4] ـ ينظر: تفسير التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج11/ ص 195.
[5] ـ محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، ج9/ ص 3359.
[6] ـ تفسير البحر المحيط، أبو حيّان الأندلسي، ج5/ ص 167.

لها نظير في القرآن إلا آيتان أخريان، يأمر الله تعالى رسوله أن يقسم به على من أنكر المعاد في سورة سبأ:﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ﴾ ، وفي سورة التغابن:﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٧﴾، وقد استمد ابن كثير هذا مما ذكره شيخه الإمام ابن القيم في (زاد الميعاد) قال: وحلف صلى الله عليه وسلم في أكثر من ثمانين موضعاً، وأمره الله سبحانه بالحلف في ثلاثة مواضع، ثم ذكر هذه الآيات.»[1]،كما أنّ جملة « وما أنتم بمعجزين »جوابٌ لسؤالهم، بمعنى: العذاب واقع ولاحق بكم لا محالة، وأنتم مصابون به غير مفلتين منه.[2]،و الأفعال المتضمنة في الآية الكريمة هي:

ـ الفعل المباشـر الأول: الاستفهام.

ـو الفعل غير المباشـر من خلال أبي حيان الأندلسي هو: الاستهزاء والإنكار.

ـ الفعل المباشر الثاني: القســـــم.

ـو الفعل غير المباشر من خلال ابن عاشور: الإخبار.

27 ـ قال الله تعالى:﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٥٥ هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٥٦ ﴾

في الآية تذييل للكلام السابق لبيان صدق الرسول وحقّة القرآن، وأنّ الله هو الذي يتصرف في أحوال النّاس، ففي الآية تحقيق لوعد الله وتجهيلاً لمنكريه والأهم من ذلك هو

[1] ـ محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، ج9/ ص 3360.
[2] ـ ينظر: تفسير التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج11/ ص 196.

الإحياء والإماتة والبعث، وفيها وعيد للمشركين[1]} فجاءت الآية على أسلوب عرضٍ للتنبيه، إذ كانوا مشغوليين بالنظر إلى الأشياء التي لانفع فيها، ولذلك قال الله تعالى:« ولكن أكثرهم لا يعلمون » لغفلتهم عن الدلائل التي أيَّد الله بها رسوله، ثم أتبع ذلك بذكر قدرته على الإحياء والإماتة، فيجب أن يكون قادراً على إحيائه مرة ثانية، ولذلك قال تعالى:«وإليه ترجعون » وذلك وعد لهم ليروا ما وعدوا به.[2]، والآية تضمنت فعلين إنجازيين هما:

ـ الفعل المباشـــــر: العرض.

ـ و الفعل غير المباشر من خلال ابن عاشور هو: الوعد والوعيد، ومن خلال أبي حيان الأندلسي: التنبيه.

28 ـ قال الله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٥٧ ﴾

قيل:« نزلت في قريش الذين سألوا الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ (أحق هو)، فالنّاس هم كفار قريش، وقال ابن عطية: هو خطاب لجميع العالم.»[3]

يظهر في الآية أسلوب نداءٍ للإخبار أنّ القرآن تدبير واعظ للنّاس بما ينفعهم من الإقبال على الأعمال الحسنة والإدبار عن الأعمال السيئة، وذكر موعظة القرآن الكريم بالثواب والعقاب، وفيه تخويف لهم، وفيه هداية للمؤمنين من الضلال والكفر، وأنّه شفاء لهم من كل ما يضر النفس من الشرك والجهل، أي: تزكية لنفوسهم بالوعد والوعيد[4]، كما جاء

[1] ـ ينظر: تفسير التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج11/ ص 198ـ 199.
[2] ـ ينظر: تفسير البحر المحيط، أبو حيّان الأندلسي، ج5/ ص 168.
[3] ـ المرجع نفسه، ج5/ ص 196.
[4] ـ ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع، شهاب الدين الألوسي، ج6/ ص 131– 132.

لغرض الالتفات للتعريف بشأن القرآن[1]، وقيل:« للإنذار والبشارة والزجر عن الذنوب المورطة في العقاب.»[2]، و الفعلان الإنجازيان في الآية الكريمة هما:

ـ الفعل المباشـــــــر: النداء.

ـ و الفعل غير المباشر من خلال الألوسي هو : الإخبار، و الوعد والوعيد، والتخويف، ومن خلال ابن عاشور: الالتفات،ومن خلال القاسمي: والزجر، والإنذار والبشارة.

29 ـ قال الله تعالى:﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾﴾

تعددت الأساليب الإنشائية في الآيتين الكريمتين بين الأمر والاستفهام، ففي الآية الأولى يظهر أسلوب الأمر في قوله « قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون » للإخبار عن القرآن الذي أكرموا به وعن الإسلام، فليفرحوا بهما[3]، وقيل: لغرض التنبيه، أي:قل لهم فليفرحوا بفضل الله ورحمته، وذلك خيرٌ لهم مما يكسبون، وفي الآية دلالة على التنويه والتعظيم والتمييز والاختصار[4]، كما تكرر في الآية الثانية عند قوله « قل »، أي: أخبرهم.

ويظهر في جملة «أر أيتم امّأنزل الله لكم مّن رّزق فجعلتم مّنه حراماً وحلالاً » استفهام « لتقرير إلزامهم بأحد الأمرين: إما أن يكون الله أذن لهم، أو أن يكونوا مفترين على

[1] ـ ينظر: تفسير التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج11/ ص 200.
[2] ـ محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، ج9/ ص 3362.
[3] ـ ينظر: محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي ، ج9/ ص 3363.
[4] ـ ينظر: تفسير التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج11/ ص 204.

الله، وفي التقرير إنكار على الوجهين.»[1]؛ كما أنّ جملة « قل ءآلله أذن لكم أم على الله تفترون » استفهام تقديره: أنتم تحكمون على ذلك بالتحريم والتحليل بإذن الله أم تختلقون الكذب[2]، « و « قل » الثاني تأكيد لـ « قل » الأول معترض بين جملة الاستفهام الأولى وجملة الاستفهام الثانية لزيادة إشراف الأسماع عليه.»[3]،و الأفعال الإنجازية في الآية هي:

ـ الفعل المباشر الأول: الأمـــر.

ـو الفعل غير المباشــر من خلال القاسمي هو: الإخبار، ومن خلال ابن عاشور: والتنبيه والتعظيم.

ـ الفعل المباشر الثاني: الاستفهام.

ـو الفعل غير المباشر من خلال ابن عاشور هو: التقرير والإنكار.

30 ـ قال الله تعالى:﴿ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَشۡكُرُونَ ٦٠ ﴾

في الآية الكريمة أسلوب استفهام للتعجب من حالهم، والمقصود به التعريف بالمشركين ليستفيقوا من غفلتهم[4]؛ ولإخبارهم ما يفعل بهم يوم الجزاء، وهو وعد عظيم، وبأنّ الله هو المسؤول بإنزال الوحي وتعليم الحلال والحرام، ولكن أكثرهم لا يشكرون هذه النعمة، ولا يتبعون ما هدوا إليه[5]، كما جاء الاستفهام لبيان الهول الذي سيلقاه أولئك المفترون على

[1] ـ تفسير التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج11/ ص 204.
[2] ـ محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، ج9/ ص 3363.
[3] ـ تفسير التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج11/ ص 208.
[4] ـ ينظر: تفسير التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج11/ ص 210.
[5] ـ ينظر: محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، ج9/ ص 3363.

سبيل التهديد والوعيد[1]، وقيل « تقديره:ما ظنهم أنّ الله فاعل بهم أينجيهم أم يعذبهم.»[2]

و الفعلان المنجزان في الآية هما:

ـ الفعل المباشـــــر: الاستفهام.

ـو الفعل غير المباشر من خلال ابن عاشور هو: التعجب والوعد، ومن خلال الألوسي: التهويل والتهديد والوعيد.

31 ـ قال الله تعالى:﴿ وَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡۘ إِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًاۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٦٥ ﴾

جاء في الآية الكريمة أسلوب نهيٍ ، أي:أنّ الله ينهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن تأثره بكلام المشركين، ويبشره بالعز والنصر وأنّ له ولأتباعه فوزٌ عظيمٌ وأمنٌ من كل خطر.[3]؛ و الفعلان المنجزان في الآية هما:

ـ الفعل المباشـــــر: النهي.

ـو الفعل غير المباشر من خلال الألوسي هو: الإخبار والتبشير.

32 ـ قال الله تعالى:﴿ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱلۡغَنِيُّۖ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنۡ عِندَكُم مِّن سُلۡطَٰنِۭ بِهَٰذَآۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٦٨ ﴾

[1] ـ ينظر: **روح المعاني** في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين **الألوسي**، ج6/ ص 135.
[2] ـ تفسير البحر المحيط، أبو حيّان الأندلسي، ج5/ ص 171.
[3] ـ ينظر: **روح المعاني** في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين **الألوسي**، ج6/ ص 144.

في الآية فن من فنون كفرهم وذلك في قولهم:« اتّخذ الله ولدا »، وفي جملة « سبحانه » لإنشاء التنزيه للرد على قولهم، أي: تنزيه لله عمّا يقولون[1]، وتعجب من كلمتهم الحمقاء، أي: هو الذي وجودُه بذاته ووجود كل شيء، وجملة « له ما في السّماوات وما في الأرض » تقرير لغناه عن كل شيء، وتوضيح لبطلان ما عندهم من حجة في قوله « إن عندكم مّن سلطان بهذا »[2]، كما تضمنت الآية جملة استفهام في قوله « أتقولون على الله مالا تعلمون » لغرض التوبيخ والتشنيع لأنّهم يصفون الله بما لا يعلمون[3]، وقيل: « إنكار ووعيد أكيد، وتهديد شديد.»[4]، والأفعال المتضمنة في الآية هي:

ـ الفعل المباشـــــر: الاستفهام.

ـ والفعل غير المباشر من خلال القاسمي هو: التقرير، ومن خلال ابن كثير: التوبيخ والتشنيع والإنكار والوعيد والتهديد.

33 ـقال جلّ وعلا:﴿ قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾

تضمنت الآية الكريمة أسلوب أمرٍ غرضه الإنذار لبيان سوء ووخامة عاقبتهم وإنذارهم عن الاستمرار على ما يفعلون[5]، ووعيد الذين نسبوا لله ولدا وقالوا على الله قولاً لا علم لهم به، وهو داخل في الوعيد بانتفاء الفلاح.[6]،والفعلان المتضمنان هما:

ـ الفعل المباشـــــر: الأمر.

---

[1] ـ ينظر: تفسير التحرير والتنوير، **الطاهر بن عاشور**، ج11/ ص 229.
[2] ـ ينظر: محاسن التأويل، جمال الدين **القاسمي**، ج9/ ص 3376.
[3] ـ ينظر: تفسير التحرير والتنوير، **الطاهر بن عاشور**، ج11/ ص 232.
[4] ـ تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن كثير، ج4/ ص 282.
[5] ـ ينظر: **روح المعاني** في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين **الألوسي**، ج6/ ص 147.
[6] ـ ينظر: تفسير البحر المحيط، أبو حيّان **الأندلسي**، ج5/ ص 175.

ـ والفعل غير المباشر من خلال الألوسي هو : الإنذار، ومن خلال الأندلسي والوعيد.

34 ـقال جلّ وعلا:﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم مَّقَامِي وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةٗ ﴾

تعددت الأساليب الإنشائية في الآية الكريمة بين الأمر والنداء والنهي، ففي جملة « واتل عليهم نبأ نوح إذ قال لقومه »أمرٌ للرسول صلى الله عليه وسلم أن يتلو على المشركين نبأ نوح وتوكله على الله ليتعظ قومه ويكفوا عما هم فيه[1]، أي: أخبرهم كيف أهلك الله قوم نوح ودمّرهم بالغرق، ليحذر هؤلاء أن يصيبهم ما أصاب أولئك من الدمار والهلاك.[2]

وجملة « يا قوم إن كان كبر عليكم مّقامي وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكّلت » نداءٌ، تقديره: يا قوم إن عظمت عليكم نفسي وإقامتي بينكم، ففي الآية تذكير ووعظ ودعوة القوم إلى التذكير بآيات الله الدالة على وحدانيته والمبطلة للشرك الذي هم فيه[3]، وقيل:« افتتاح خطاب نوح قومَه بـ (يا قوم) إيذان بأهمية ما سيلقيه إليهم، لأن النداء طلب الإقبال وتوجيه أذهانهم إلى فهم ما سيقوله.»[4]

كما تكرر الأمر في جملة « فأجمعوا أمركم وشركاءكم »، وتقديره: أمر نوح قومه بأن يدعوا آلهتهم في إهلاكه، وذلك تهكم بهم في شركهم[5]، فإن سئمتم أحوالي معكم

---

[1] ـ ينظر: **روح المعاني** في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين **الألوسي**، ج6/ ص 147.
[2] ـ ينظر: تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن كثير، ج4/ ص 283.
[3] ـ ينظر: **روح المعاني** في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين **الألوسي**، ج6/ ص 148.
[4] ـ تفسير **التحرير** والتنوير، **الطاهر بن عاشور**، ج11/ ص 236.
[5] ـ ينظر: محاسن التأويل، جمال الدين **القاسمي**، ج9/ ص 3381.

وتذكيري بآيات الله فأجمعوا أمركم فإنّي على الله توكلت، أما جملة « ثّم لا يكن أمركم عليكم غمّة » فنهي، أي:« نهي أمرهم عن أن يكون غمة عليهم، أي: اجتهدوا في أن لا يكون ذلك.»[1]، كما أنّ جملة «ثّم اقضوا إليّ »أمرٌ بمعنى: نفذوا حكمكم الذي تريدونه به، ونهي لهم بأن لا يمهلوه في قوله « ولا تنظرون ».[2]، و الأفعال المتضمنة في الآية الكريمة هي:

ـ الفعل المباشر الأول: الأمـر.

ـو الفعل غير المباشر من خلال الألوسي هو : الوعظ، ومن خلال ابن كثير: التحذير.

ـ الفعل المباشر الثانـي: النـــداء.

ـو الفعل غير المباشـر من خلال الألوسي هو: التذكير والوعظ.

ـ الفعل المنجز الثالث من خلال ابن عاشور هو : النهـــــي.

35 ـ قال جلّ وعلا:﴿ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُنذَرِينَ ٧٣ ﴾

تضمنت الآية الكريمة أسلوب أمرٍ والمراد بالمنذرين هم المكذبين للإشارة إلى إصرارهم على التكذيب، والله تعالى لا يهلك قوماً إلا بعد أن ينذرهم ومعنى ذلك تهويل ما جرى على المكذبين وتحذير لمن كذب الرسول صلى الله عليه وسلم[3]، فخّص بالخطاب تعظيماً لشأنه بأن الذين كذبوه يوشك أن يصيبهم من العذاب، نحو ما أصاب قوم نوح عليه السلام.[4]،و الفعلان المنجزان في الآية هما:

ـ الفعل المباشـــــر: الأمر.

---

[1] ـ تفسير التحرير والتنوير، **الطاهر بن عاشور**، ج11/ ص 239.
[2] ـ ينظر: محاسن التأويل، جمال الدين **القاسمي**، ج9/ ص 3381.
[3] ـ ينظر: **روح المعاني** في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين **الألوسي**، ج6/ ص 151.
[4] ـ ينظر: تفسير التحرير والتنوير، **الطاهر بن عاشور**، ج11/ ص 243.

ـو الفعل غير المباشر من خلال الألوسي هو: التهويل والتحذير، ومن خلال ابن عاشور: التعظيم.

36 ـقال جلّ وعلا:﴿ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمۡۖ أَسِحۡرٌ هَٰذَا وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ٧٧ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَلۡفِتَنَا عَمَّا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا نَحۡنُ لَكُمَا بِمُؤۡمِنِينَ ٧٨ ﴾

تكرر في الآيتين الكريمتين أسلوب الاستفهام، وذلك في قوله «أتقولون للحقّ لمّا جآءكم » بمعنى:لما رأوا الحق وعلموا أنّ موسى صادق، قال لهم موسى « أتقولون » فحمل هذا القول استفهاماً إنكارياً، وجملة « أسحر هذا » مستأنفة للتوبيخ والإنكار، حيث أنكر موسى على قومه وصفهم الآيات بالسحر، وهذه الإشارة تفيد التعريض بجهلهم وفساد قولهم، وتكذيباً لقولهم وذلك تحقيراً لهم[1]، وقيل: جاء الاستفهام على سبيل التعجيب والاستغراب والتعظيم من كل جاهل بالأمر[2]، أما جملة « أجئتنا » فاستفهام بمعنى: جئت لتصرفنا عن عبادة الأصنام ويكون لكم الملك في أرض مصر.[3]،و الفعلان المتضمنان في الآيتين هما:

ـ الفعل المباشـــــــــر: الاستفهام.

ـ و الفعل غير المباشر من خلال ابن عاشور هو: التوبيخ والإنكار والتكذيب والتحقير، ومن خلال أبي حيان الأندلسي: التعجيب والاستغراب والتعظيم.

[1] ـ ينظر: تفسير التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج11/ ص 251.
[2] ـ ينظر: تفسير البحر المحيط، أبو حيّان الأندلسي، ج5/ ص 180.
[3] ـ ينظر: محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، ج9/ ص 3385.

37 ـقال جلّ وعلا:﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِي بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾

في الآيتانأسلوب أمرٍ للإخبار عنقصة السحرة مع موسى، وذلك أنّ فرعون أراد أن يتهرّج على الناس، ويعارض ما جاء به موسى من الحق عليه السلام[1]، حفظاً لعزته بأن يأتوه بكل ماهر في السحر في قوله «ائتوني بكلّ ساحر عليم »، ولما اصطفوا السحرة أمرهم موسى عليه السلام بأن يبتدئوا بإلقاء سحرهم في قوله « ألقوا » لغرض التسوية، وفي الآية وصف لإصرار فرعون وملئه على الإعراض عن الدعوة.[2]،و الفعلان المتضمنان في الآيتين هما:

ـ الفعل المباشر: الأمر.

ـ و الفعل غير المباشر من خلال ابن كثير هو: الإخبار، ومن خلال لبن عاشور: التسوية.

38 ـقال جلّ وعلا:﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾

جاء في الآية أسلوب إنشائي على صيغة النداء للإخبار، تقديره: يا قوم إن آمنتم بالله وبآياته، فتوكلوا عليه[3]، وقيل الغرض من النداء هو تثبيت الذين آمنوا به في حضرة فرعون ـ لعنه الله ـ حقاً فعلى الله اعتمدو ا في نصركم، كما يؤذن به قوله « فعليه توكلوا »

[1] ـ ينظر: تفسير القرآن العظيم، **أبو الفداء** إسماعيل بن كثير، ج4/ ص 286.
[2] ـ ينظر: تفسير التحرير والتنوير، **الطاهر بن عاشور**، ج11/ ص 255.
[3] ـ ينظر: **روح المعاني** في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين **الألوسي**، ج6/ ص 159.

وفيه أمر بنهيهم عن مخافة فرعون، فالتوكل متوقف على حصول الإيمان والإسلام.[1]
و الأفعال المتضمنة في الآية:

ـ الفعل المباشر الأول: النداء.

ـو الفعل غير المباشـر من خلال الألوسي هو: الإخبار، ومن خلال ابن عاشور: التثبيت.

ـ الفعل المباشر الثاني: الأمـر.

ـو الفعل غير المباشر من خلال ابن عاشور: الإخبار والنهي.

39 ـقال جلّ وعلا:﴿ فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾

جاء في الآية الأولى جوابٌ لموسى ـ عليه السلام ـ « بما أمرهم به من التوكل على الله، لأنهم كانوا مخلصين في إيمانهم وإسلامهم، ثم سألوا الله تعالى شيئين، أحدهما: أن لايجعلهم فتنة للقوم الظالمين، والآخر: ينجيهم من الكافرين، أي: من تسخيرهم واستعبادهم.»[2]، وجاء هذا الجواب على صيغة الدعاء، « وقال القاضي: وفي تقديم التوكل على الدعاء تنبيه على أنّ الداعي ينبغي له أن يتوكل أولاً، لتجاب دعوته.»[3]،و الفعلان المتضمنان في هما:

ـ الفعل المباشـــــر: النداء.

ـو الفعل غير المباشر من خلال أبي حيان الأندلسي هو: النجاة.

[1] ـ ينظر: تفسير التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج11/ ص 261.
[2] ـ تفسير البحر المحيط، أبو حيّان الأندلسي، ج5/ ص 184.
[3] ـ محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، ج9/ ص 3388.

40 ـ قال جلّ وعلا: ﴿ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّـَٔآ لِقَوۡمِكُمَا بِمِصۡرَ بُيُوتٗا وَٱجۡعَلُواْ بُيُوتَكُمۡ قِبۡلَةٗ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٧ ﴾

مثلت الآية أسلوباً إنشائياً جاء على صيغة الأمر بمعنى:«أنّ الله أمر موسى وأخاه هارون عليهما السلام « أن تبوءا »، أي: يتخذا لقومهما بمصر بيوتاً، و« اجعلوا بيوتكم قبلة » قال: كانوا خائفين، فأمروا أن يصلوا في بيوتهم.»[1]، كما أمروا بالصلاة والاستعانة ببركاتها وتوجيههم إلى ذلك، وأن يبشر المؤمنين بالنصرة في الدنيا وحصول مقصدهم وهو الفوز بالجنة في الآخرة كما يؤذن به قوله « وأقيموا الصلاة وبشّر المؤمنين » أي: تبوءا القوم واتخذا منها معبداً واجعلاه مكاناً للصلاة، وذلك ترغيباً لهم في الامتثال للقوم[2]، « وقال مجاهد، وأبو مالك، والربيع بن أنس، والضحاك، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وأبوه زيد بن أسلم: وكأن هذا ـ والله أعلم ـ لما اشتد بهم البلاء من قبل فرعون وقومه، وضيقوا عليهم، أمروا بكثرة الصلاة.»[3]، والفعلان المتضمنان في الآية الكريمة هما:

ـ الفعل المباشر: الأمر.

ـ و الفعل غير المباشر من خلال الألوسي هو: التوجيه والترغيب.

41 ـ قال جلّ وعلا: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيۡتَ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةٗ وَأَمۡوَٰلٗا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَۖ

[1] ـ تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن كثير، ج4/ص 289.
[2] ـ ينظر: **روح المعاني** في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين **الألوسي**، ج6/ ص 160– 161.
[3] ـ تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن كثير، ج4/ ص 289.

رَبَّنَا ٱطۡمِسۡ عَلَىٰٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ وَٱشۡدُدۡ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ ﴾

« قال ابن كثير: هذه الدعوة كانت من موسى عليه السلام، غضباً لله ولدينه على فرعون وملئه الذي تبين له أنّه لا خير فيهم، ولا يجيء منهم شيء.»[1]

وتضمنت الآية الكريمة أسلوب أمر بمعنى الدعاء، أي:« لما بالغ موسى ـ عليه السلام ـ في إظهار المعجزات، وهم مصرون على العناد، واشتد أذاهم عليه، وعلى من أمن به، وهم لا يزيدون على عرض الآيات إلا كفراً، وعلى الإنذار إلا استكباراً، دعا الله تعالى عليهم بما علم أنه لا يكون غيره، وقدم بين يدي الدعاء ما آتاهم الله من النعمة في الدنيا، وفي تكرار (ربنا) توكيد للدعاء والاستغاثة.»[2]، « واستدل بعضهم بالآية على أن الدعاء على شخص بالكفر لا يعد كفراً إذا لم يكن على وجه الاستيجاز والاستحسان للكفر بل كان على وجه التمني لينتقم الله تعالى من ذلك الشخص أشد انتقام.»[3]، والفعلان المتضمنان في الآية هما:

ـ الفعل المباشـــــر: الدعاء.

ـو الفعل غير المباشر من خلال أبي حيان الأندلسي هو : التوكيد، ومن خلال الألوسي: التمني.

42 ـقال جلّ وعلا:﴿ قَالَ قَدۡ أُجِيبَت دَّعۡوَتُكُمَا فَٱسۡتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾

[1] ـ محاسن التأويل، جمال الدين **القاسمي**، ج9/ ص 3389.
[2] ـ تفسير البحر المحيط، أبو حيّان **الأندلسي**، ج5/ ص 185.
[3] ـ **روح المعاني** في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين **الألوسي**، ج6/ ص 162.

تضمنت الآية أسلوبان إنشائيان هما: الأمر والنهي، فقوله « فاستقيما» أمر، تقديره: بعد إجابة دعوتهما أُمرا بالاستقامة، وأعقب الحث عن الاستقامة النهي في قوله « لا تتبعان » بمعنى: نهي عن اتباع طريق الذين لا يعلمون، لغرض التنبيه والعدول والتحذير من الفساد[1]، أي: ينهاهما بأن لا يتبعا سبيل الجهلة الذين لا يثقون بوعد الله، لغرض تأكيد أمر الوعد، وإفادة تأخير ما طلباه حكمٌ إلهيٌ، وجملة النهي مستأنفة للإخبار بأن لا تتبعان ذلك السبيل.[2]، فتقدير الآية:«فامضيا لأمري واثبتا على ما أنتم عليه من الدعوة وإلزام الحجة، ولا تستعجلا فإن ما طلبتماه كائن في وقته لا محالة.»[3]، والفعلان المتضمنان في الآية هما:

ـ الفعل المنجز الأول من خلال ابن عاشور هو: الأمر

ـ والفعل المباشر الثاني: النهي.

ـ والفعل غير المباشر من خلال ابن عاشور هو: التنبيه، والعدول، والتجذير، ومن خلال الألوسي: التأكيد والإخبار.

43 ـ قال المولى تعالى:﴿ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ ﴾

حكت الآية الكريمة أسلوب استفهام، والمعنى:« أتؤمن بعد الساعة في حال الاضطرار، حين أدركك الغرق، وأيست من نفسك، وقيل: قال ذلك حين ألجمه الغرق.»[4]، وهذا استفهام إنكاري بمعنى: لا إيمان اليوم، وجملة « وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين

[1] ـ ينظر: تفسير التحرير والتنوير، **الطاهر بن عاشور**، ج11/ ص 273.
[2] ـ ينظر: **روح المعاني** في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين **الألوسي**، ج6/ ص 163ـ 164.
[3] ـ المرجع نفسه، ج6/ ص 163.
[4] ـ تفسير البحر المحيط، أبو حيّان **الأندلسي**، ج5/ ص 188.

» مؤكدة لما في الاستفهاممن معنى الإنكار، لأنّ إيمانه في ذلك الوقت منكر.[1] والغرض من الاستفهام: التوبيخ والتقريع.[2]، والفعلان المتضمنان هما:

ـ الفعل المباشـــــــر: الاستفهام.

ـو الفعل غير المباشر من خلال ابن عاشور هو: الإنكار، ومن خلال الألوسي: والتوبيخ والتقريع.

44 ـ قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾

تضمنت الآية جملة إنشائية، جاءت « مستأنفة ومسوقة لبيان النعم التي أفاضها الله على بني إسرائيل بعد إنجائهم، واللام جواب للقسم المحذوف.»[3]، وفي هذا « ترغيب للمشركين في الإيمان، وبشارة للمؤمنين من أهل مكة... [وهذا]الإخبار يقتضي أنّ الله بوأهم مُبوأ صدق عقب مجاوزتهم البحر وغرق فرعون وجنوده، فإنّهم دخلوا بعد ذلك صحراء التيه وأمنوا على أنفسهم وأقبلوا على تزكية نفوسهم وإصلاح شؤونهم، ورزقوا المنّ والسلوى وأعطوا النصر على الأمم التي تعرضت لهم تحاول منعهم امتلاك الأرض الطيبة.»[4]

وقوله تعالى « فما اختلفوا حتى جاءهم العلم » « ثناء مردف بغاية تؤذن أن ما بعد الغاية نهاية للثناء وإثبات اللوم إذ قد نفى عنهم الاختلاف إلى غاية تؤذن بحصول الاختلاف

---

[1] ـ ينظر: تفسير التحرير والتنوير، **الطاهر بن عاشور**، ج11/ ص 277.
[2] ـ ينظر: **روح المعاني** في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين **الألوسي**، ج6/ ص 172.
[3] ـ **إعراب** القرآن الكريم وبيانه، محي الدين الدرويش، ج4/ ص 377.
[4] ـ تفسير التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج11/ ص 281.

منهم عند تلك الغاية فالذين لم يختلفوا هم الذين بوأهم الله مُبوأ صدق، وقد جاءوا بعدهم إلى أن جاء الذين اختلفوا على الأنبياء.»[1]

وقوله تعالى «إنّ ربك يقضي بينهم يوم القيامة » « توعد، والمقصود: أن أولئك قوم مضوا بما عملوا وأن أمرهم إلى ربهم... وفيه إيماء إلى أن على الحاضرين اليوم أن يفكروا في وسائل الخلاص من الضلال والوقوع في المؤاخذة يوم القيامة.»[2]، والفعلان المتضمنان هما:

ـ الفعل المباشـــــر: القســـــــــم.

ـ و الفعل غير المباشر من خلال ابن عاشور هو: الترغيب والتبشير، والثناء والتوعد.

45 ـ قال المولى تعالى:﴿ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ فَسۡـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقۡرَءُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكَۚ لَقَدۡ جَآءَكَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ٩٤ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٩٥ ﴾

« قال الرسول صلى الله عليه وسلم حين جاءته الآية على ما أخرج عبد الرزاق، وابن جرير عن قتادة: " لا أشك ولا أسأل."»[3]

وقد تضمنت الآية أسلوبين تمثلا في الاستفهام والنهي، ففي جملة « فسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك »أمرٌ للإخبار عن الشك من قصص موسى وفرعون، أي: اسأل أهل التوراة إن كنت في شك من ذلك، فإنّ عندهم ما أوحي إليك[4]، ولغرض الاستفهام والسؤال، كما اشتملت جملة « فلا تكونن من الممترين » على أسلوب النهي بمعنى: ينهاه

[1] ـ تفسير التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج11/ ص 282.
[2] ـ المرجع نفسه، ج11/ ص 283.
[3] ـ **روح المعاني** في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين **الألوسي**، ج6/ ص 178.
[4] ـ ينظر: محاسن التأويل، **جمال الدين القاسمي**، ج9/ ص 3396.

أن لا يتزلزل عما هو عليه من اليقين[1]، و ينهاه عن التكذيب بآيات الله حتى لا يكون من الخاسرين، وهنا تحذير له في قوله « ولا تكونن من الذين كذبوا...» وفائدة النهي في الآيتين هي: التهييج والإلهاب، ومعنى ذلك أن كلاً من التكذيب والامتراء قد بلغا درجة القبح وينبغي النهي عنهما.[2]، والأفعال المتضمنة في الآية هي:

ـ الفعل المباشر الأول: الأمر.

ـو الفعل غير المباشر من خلال القاسمي هو: الإخبار والاستفهام والسؤال.

ـ الفعل المباشر الثاني: النهي.

ـو الفعل غير المباشر من خلال الألوسي هو: التحذير والتهييج والإلهاب.

46 ـ قال المولى تعالى:﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾ ﴾

في الآية الكريمة أسلوب إنشائي بصيغة التحضيض، وهي استئناف لما قبلها لبيان هلاك الذين لا يؤمنون، وحملت معنى التوبيخ، أي: توبيخهم لتركهم الإيمان[3]، وقد جاءت للإخبار بأن الذين حقت عليهم كلمة الله لا يؤمنون حتى يروا العذاب، وحاصل المعنى: أن قوم يونس بادروا بالإيمان بعد أن فارقهم، توقعاً لنزول العذاب، والغرض منه التحذير.[4] « والجملة في معنى النفي كأنّه قيل: ما آمنت قرية من القرى الهالكة إلا قوم يونس.»[5] والفعلان المتضمنان في الآية الكريمة هما:

[1] ـ ينظر: **روح المعاني** في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين **الألوسي**، ج6/ ص 179.
[2] ـ ينظر: المرجع نفسه، ج6/ ص 179.
[3] ـ ينظر: **روح المعاني** في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين **الألوسي**، ج6/ ص 179.
[4] ـ ينظر: تفسير التحرير والتنوير: **الطاهر بن عاشور**، ج11/ ص 289.
[5] ـ **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**، أحمد بن يوسف **الحلبي**، ج6/ ص 269.

ـ الفعل المباشـــــر: التحضيض.

ـوالفعل غير المباشر من خلال الألوسي هو: التوبيخ، ومن خلال ابن عاشور: والتحذير.

47 ـ قال المولى تعالى:﴿ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ٩٩ ﴾

تضمنت الآية أسلوب استفهامٍ في قوله « أفأنت تكره النّاس حتّى يكونوا مؤمنين » ومعناه: بمشيئة الله يؤمن كل أحد، ولا يختلفون في الإيمان، وجاء الاستفهام بمعنى: على ما لم يشأ الله أن يؤمنوا، وذلك ليس عليك ولا إليك، وفيه ترويح لقلب النبّي صلى الله عليه وسلم مما كان عليه من الحرص على إيمانهم[1]، وقيل الاستفهام: لغرض الإنكار.[2]، والفعلان المتضمنان هما:

ـ الفعل المباشر: الاستفهام.

ـو الفعل غير المباشر من خلال ابن عاشور هو: الإنكار.

48 ـ قال الله تعالى:﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ١٠١ ﴾

تضمنتالآية الكريمة أسلوب أمرٍ وهو موجه للرسول صلى الله عليه وسلم بأن يأمر الكفرة بالنظر والتفكر في ملكوت السموات والأرض، وما فيهما من عجائب، ليتضح له أنهم لا يعقلون، بمعنى: أمرهم بما يتوصل به إلى الإيمان وذلك بالنظر[3]، وهو أمر بالتدبر

[1] ـ ينظر: محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، ج9/ ص 3401.
[2] ـ ينظر: تفسير التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج11/ ص 293.
[3] ـ ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين الألوسي، ج6/ ص 182.

والاجتهاد، وجملة « ماذا في السماوات والأرض...» استفهام عن النظر في آيات الله الدالة على التوحيد والقدرة، وتضمنت الآية وجوب النظر وترك التقليد في الاعتقاد، وجملة« ما تغني الآيات و النّذر...» استفهام بمعنى: ما تنفع الآيات والرسل عمن لا يؤمن.[1]، وهو استفهام على جهة التقرير، وفي الآية توبيخ للمشركين.[2]،و الأفعال المتضمنة هي:

ـ الفعل المنجز الأول من خلال الألوسي هو: الأمـــر.

ـ الفعل المباشر الثاني: الاستفهام.

ـو الفعل غير المباشر من خلال أبي حيان الأندلسي هو: التوبيخ.

49 ـ قال الله تعالى:﴿ فَهَلۡ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثۡلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِهِمۡۚ قُلۡ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ ١٠٢ ﴾

في الآية أسلوبان إنشائيان أحدهما تمثل في جملة الاستفهام في قوله « فهل ينتظرون...»و جاء لتحقيق السؤال لغرض التهكم والإنكار، وفيه معنى النفي، تقدير الكلام: فهل ينتظرون شيئا، ما ينتظرون إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم من العذاب[3]، وفيه مسارعة إلى التهديد والتشديد في الوعيد، والآخر تمثل في صيغة الأمر في قوله « قل انتظروا » لغرض التهديد، أي: انتظروا إهلاكي لكم، فأنا منتظر معكم ذلك الهلاك.[4]، وتضمنت الآية أفعالا هي:

ـ الفعل المباشر الأول: الاستفهام.

ـو الفعل غير المباشر من خلال ابن عاشور هو: التهكم والإنكار، ومن خلال الألوسي: التهديد والوعيد.

---

[1] ـ ينظر: محاسن التأويل، جمال الدين **القاسمي**، ج9/ ص 3401.
[2] ـ ينظر: تفسير البحر المحيط، أبوحيّان **الأندلسي**، ج5/ ص 193.
[3] ـ ينظر: تفسير التحرير والتنوير، **الطاهر بن عاشور**، ج11/ ص 298.
[4] ـ ينظر: **روح المعاني** في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين **الألوسي**، ج6/ ص 183.

ـ الفعل المباشر الثاني: الأمـــــر/و الفعل غير المباشر: الإخبار والتهديد.

50 ـ قال الله تعالى:﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَـٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ ﴾

اشتملت الآية الكريمة على أسلوب نداءٍ خلاصته إن كنتم في شك من معرفة هذا الدين، فإني لا أعبد الذين تعبدون من دون الله[1]،وقيل للتعميم والتبليغ وإظهار العناية بشأن الدين، أي: يناديهم ويبين لهم أن الدين هو الذي يعبد به الله، ويدعوهم إليه[2]، وجملة « أمرت أن أكون من المؤمنين » يخبرنا الرسول فيها « أنّه أمر بأن يكون من المصدقين بالله والموحدين له.»[3]، والفعلان المنجزان في الآية هما:

ـ الفعل المنجز الأول: الأمر.

ـ الفعل المباشر الثاني: النداء.

ـو الفعل غير المباشر من خلال الألوسي هو: التعميم والتبليغ.

51 ـ قال الله تعالى:﴿ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ ﴾

[1] ـ ينظر: تفسير التحرير والتنوير، **الطاهر بن عاشور**، ج11/ ص 300.
[2] ـ ينظر: **روح المعاني** في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين **الألوسي**، ج6/ ص 184.
[3] ـ تفسير البحر المحيط، أبو حيّان **الأندلسي**، ج5/ ص 195.

تعددت الأساليب الإنشائية في الآيتان بين الأمر والنهي، ففي قوله « وأن أقم » أمر، والمراد به: توجيه النفس بشكل كلي لعبادة الله والإعراض عن سواه، أي: أوحى إليه أن يستقبل القبلة ولا يلتفت إلى الطالبين لغير الله، فالله تعالى خَوَّف نبيه من الالتفات إلى سواه[1]، أي: أمر النبّي بأن لا يميل إلى الأديان الباطلة، أما قوله « لا تكونن من المشركين » فنهي، وفيه تهييج وحث للرسول على عبادة الله وحده[2]، وفيه تأكيد لمعنى الأمر، وتكرر النهي في جملة « ولا تدع » للحث على دعائه الله.[3]، والأفعال المتضمنة في الآيتين هي:

ـ الفعل المباشر الأول: الأمر.

ـو الفعل غير المباشــر من خلال الألوسي هو: التوجيه والتخويف.

ـ الفعل المباشر الثاني: النهــي.

ـو الفعل غير المباشر من خلال القاسمي هو: التهييج والحث.

52 ـ قال الله تعالى:﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَاۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ ﴾

تقرر في الآية الكريمة أسلوب نداءٍ والمقصود به:أنّ الله خاطب رسوله بأن ينادي الكفرة بعدما بلغهم ما أوحي إليه، أن جاءهم القرآن الكريم واطلعوا على ما فيه من البينات والهدى، فلم يبق لهم عذر في ذلك، وقيل المراد من الحق هو النبّي صلى الله عليه وسلم[4]،

[1] ـ ينظر: **روح المعاني** في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين **الألوسي**، ج6/ ص 185.
[2] ـ ينظر: محاسن التأويل ، جمال الدين **القاسمي**، ج9/ ص 3403.
[3] ـ ينظر: تفسير التحرير والتنوير، **الطاهر بن عاشور**، ج11/ ص303 – 304.
[4] ـ ينظر: **روح المعاني** في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين **الألوسي**، ج6/ ص 188.

فهو نداء لغرض التنبيه[1]، وجملة « ما أنا عليكم بوكيل » تأكيد لما قبلها، بأن الرسول بشير ونذير، وليس بحفيظ إلى أمركم.[2] و الفعلان المتضمنان هما:

ـ الفعل المباشـــــر: النداء.

ـ و الفعل غير المباشر من خلال ابن عاشور هو: التنبيه.

53 ـ قال الله تعالى: ﴿ وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَٱصۡبِرۡ حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُۚ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ١٠٩ ﴾

تضمنت الآية أسلوب أمرٍ والمراد منه: اتبع في عملك وتبليغك للرسالة نهج الاستمرار والتجديد، وهو نهج الحق المفسر بالقرآن[3]، أي: أُمر باتباع الإيمان في قوله « واتّبع ما يوحى إليك »وبالصبر حتى وإن لم يهتدوا بك حتى ينصرك الله عليهم في قوله « واصبر حتّى يحكم الله وهو خير الحاكمين » قد حكم وشاء قتلهم يوم بدرٍ ، فلله الأمر من قبل ومن بعد[4]، فالآية تقر بأنّ الله خير الحاكمين، فاصبر واتبع نفسك ما يوحى إليك.[5]، والفعلان المتضمنان في الآية الكريمة هما:

ـ الفعل المباشـــــر: الأمر.

ـ و الفعل غير المباشر من خلال ابن عاشور هو: التقرير.

خلاصة:

يمكننا القول بعد الانتهاء من تحليل الأفعال الكلامية الإنشائية في سورة يونس:

---

[1] ـ ينظر: تفسير التحرير والتنوير، **الطاهر بن عاشور**، ج11/ ص 308.
[2] ـ ينظر: محاسن التأويل، جمال الدين **القاسمي**، ج9/ ص 3405.
[3] ـ ينظر: **روح المعاني** في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين **الألوسي**، ج6/ ص 188.
[4] ـ ينظر: محاسن التأويل، جمال الدين **القاسمي**، ج9/ ص 3406.
[5] ـ ينظر: تفسير التحرير والتنوير، **الطاهر بن عاشور**، ج11/ ص 310.

أنّ الأسلوب الإنشائي في الخطاب القرآني له أغراض بلاغية مختلفة وتكون ضمنية نتوصل إليها من خلال السياق القرآني ومن معرفة مناسبة نزول الآيات، فنجد المعنى الحرفي للصيغة يتعدى إلى أكثر من معنى خفي مدمج ضمن دلالة الألفاظ، فقد يخرج هذا المعنى إلى: التعجيب، التعجب، الإنكار، الاستهزاء، الإلزام، التهويل، الترغيب، الزجر، التنبيه، النفي، التجهيل، المبالغة، التهديد، التشديد، التبكيت، الإفحام، الو عد، الوعيد، التهكم، الاستبعاد، الاستعجال، التحقير، الذم، التنديم، التوبيخ، التقريع، التحسر، التفخيم، التعظيم، التبشير، التذكير، الوعظ، التحذير، الترغيب، التوجيه، التهييج، الإلهاب، التخويف، وقد يخرج لأغراض أخرى منها: التأكيد والإخبار والتقرير.

بعد هذا البحث الذي كان محاولة منا في جمع بعض القضايا، توصلنا إلى نتائج عدة، نلخصها فيما يلي:

1/ الكلام هو اللفظ المفيد الذي يحسن السكوت عليه، والكلم هو ما تركب من ثلاث كلمات سواء أكان مفيداً أم لا، والكلمة هي اللفظة الموضوعة لمعنى مفرد وهي إما اسم أو فعل أو حرف، والقول هو كل ما ينطق به اللسان سواء أفاد أم لم يفد.

2/ الكلام في استعمال النحاة يمكن أن يطلق على اللغة أو اللسان، أي: طريقة قوم ما في الكلام، وقد يطلق على الخطاب، أي: ما يتبادله الناس بينهم أثناء التواصل.

3/ الخطاب في الثقافة العربية هو القدرة على إيصال المعاني وإفهامها للمخاطبين، لذلك فهو يشترك مع الكلام في خاصية الإفادة، ومن النحاة كسيبويه من جعل الخطاب والكلام مترادفين في مقابل اللغة، وكذلك فعل بعض المحدثين كطه عبد الرحمن،إذ يرى أنّ اللفظ المخاطَب به يتحدد مدلولُه من خلال المقام وليس المدلول المحفوظ في المعاجم، إلا أنّ هناك من فرق بينهما فالكلام أوسع من الخطاب إذ يشمل الكلام على اللغة والجملة المفيدة،ثم إنّ الكلام لا يشترط فيه أن يكون موجهاً إلى مخاطب معين، أما الخطاب فيعني المخاطبة، أي: تبادل خطاب مع مخاطَب معين.

4/ الخطاب في الثقافة الغربية له معنيان: المعنى الأول يطلق على اللفظ الموجه إلى الغير، والذي يُقصد به التأثير في السامع لذلك تم الاعتناء بدور السياق، والمعنى الثاني هو الشكل اللغوي الذي يتجاوز الجملة وهو النص.

غير أنّ النص يختلف كثيراً عن الخطاب إذ يمثل النص كل متتالية من الجمل تربطها علاقات فيما بينها، أما الخطاب فهو الذي يحيل على عناصر السياق وظروف إنتاجه.

5/ يعد السياق مصطلحاً عربياً تداوله العلماء العرب منذ القديم من أصوليين ومفسرين وبلاغيين ونحويين، وللسياق ألفاظ أخرى تؤدي معناه كالمقام والحال والقرينة، وهو يطلق

على كل دلالة غير لفظية تصحب اللفظ، ويشمل ظروف الكلام الخارجية من زمان ومكان وحال مشاهدة وغيرها، وقد يكون سياقاً مقالياً أي: كل ما يسبق اللفظ من أجزاء لغوية تساعد في فهمه.

6/ السياق في الثقافة الغربية لا يختلف عن المفهوم العربي إذ يطلق على كل ما يحيط بالنص من أجزاء وهو ما يسمى بالسياق اللغوي، أو هو ما يحيط بالحدث الكلامي من ظروف معينة وهو ما يسمى بسياق الموقف.

7/ ظهرت البدايات الأولى للدرس التداولي في العقد الثاني من القرن العشرين، وأبرز محاولة كانت مع الاهتمام بالعلامة اللغوية مع محاولة الفيلسوف تشارلز موريس، والمحاضرات التي ألقاها جون أوستين وبول غرايس حول مفهوم العمل اللغويّ، والتأكيد على البعد العملي للغة.

8/ ويعد كلا من لودفيغ فتغنشتاين (فكرة ألعاب اللغة)، وسيرل وبيرس وأوركيوني من المؤسسين الأوائل للدرس التداولي، من خلال ما قاموا به من أعمال في هذا المجال.

9/ التداولية حقل لساني يهتم بالبعد الاستعمالي للغة، تُعنى بالشروط والقواعد اللازمة للملائمة بين أفعال القول ومقتضيات المواقف الخاصة به، فالتداولية مكوّن لغوي، تهتم بدراسة اللغة في الاستعمال لذا سميت بلسانيات الاستعمال اللغويّ.

10/كما أنّ للدرس التداوليأسسٌ يقوم عليها، من أهمها:

ـ الفعل الكلامي: وهو النواة المركزية للدرس التداولي، يمثل كلاً من المستوى التركيبي والدلالي، يستعمل للتأثير في الطرف الآخر.

ـ الاستلزام الحواري: مفهوم ترجع نشأته للفيلسوف بول غرايس، سعى من خلاله لتوضيح الاختلاف بين ما يقال، وما يقصد، وما يحمله القول من معنى صريح ومعنى متضمن أو مستلزم.

كما أقر أن التواصل الكلامي محكوم بمبدأ عام سماه مبدأ التعاون ويقوم على أربع مسلمات وهي: مسلمة القدر، مسلمة الكيف، مسلمة الملائمة، مسلمة الجهة.

ـ متضمنات القول: وهو مفهوم تداولي يتعلق بالجوانب الضمنية للخطاب منها: الافتراض المسبق ويشكل الخلفية التواصلية، يساهم في تحويل العلاقات بين المتخاطبين أثناء الكلام، و النوع الآخر هو الأقوال المضمرة وتمثل عملية استنتاجية يقوم بها المتلقي انطلاقا من سياق الحديث، لأنّ المتكلم يلجأ إلى وضع تأويلات يتخفى بها وراء المعنى الحقيقي.

11/ تعد نظرية أفعال الكلام أهم مفهوم في الدرس التداولي، ظهر أول أثر لها مع أعمال أوستين، وهي محاولة تجاوز البعد الوصفي للغة إلى البعد الإنجازي، كما تشكل تداولية الدرجة الثالثة عند هانسون نظرية أفعال الكلام.

12/ قام جون أوستين بتقسيم الفعل الكلامي إلى ثلاثة أفعال وهي: فعل القول، الفعل المتضمن في القول، الفعل الناتج عن القول.

كما قدم أوستين تقسيماً آخر اً للأفعال الكلامية من حيث القوة الإنجازية إلى خمسة أصناف هي: الحكميات، الوعديات، أفعال القرار، أفعال السلوك، أفعال الإيضاح.

13/ قام جون سيرل هو الآخر بتطوير نظرية أفعال الكلام من خلال تشديده على أن فعل القول لا يمكن أن يتحقق من دون قوة إنجازية، وأعاد تقسيمها وفق معايير عديدة منها: ارتباط اللغة بالأفعال اللسانية،وقاعدة التواصل اللغويّ مبنية على الفعل اللغويّ... إلى خمسة أصناف هي: الأفعال التوجيهية، الأفعال الإثباتية، الأفعال الإلزامية، الأفعال التعبيرية، الأفعال التصريحية.

كما خالف أستاذه جزئياً في تصوره لبنية الفعل اللغوي، وأعاد تقسيمه إلى أربعة جزئياتو هي: فعل التلفظ، الفعل القضوي، الفعل التأثيري، الفعل الإنجازي.

14/ قام العرب بتقسيم الكلام إلى خبرٍ وإنشاءٍ باعتماد معايير مختلفة منطقية كقبول الصدق والكذب وتداولية كقصد المتكلم، ولكن قبل ذلك كان هناك معيار آخر عُرف في زمن الخليل وسيبويه وهو معيار الواجب وغير الواجب، حيث كان يطلق الواجب على الخبر وهو ما حصل أو وقع قبل الحديث عنه، وغير الواجب صفة للطلب وهو ما كان وقوعه وعدمه غير معلوم.

15/ يعد الخبر والإنشاء أسلوبين كلاميين، يمكن القول عن الأول أنّه صادق أو كاذب لأنّ له نسبة في الواقع، أما الثاني فلا يمكن القول عنه بأنّه صادق أو كاذب لأنّ لا وجود له في الواقع، فهو يتحقق عند التلفظ به.

16/ أكد الكثير من الباحثين العرب المحدثين أنّ نظرية أفعال الكلام الغربية لها ما يقابلها في الدرس العربي وهو ما يتمثل في باب من أبواب علم المعاني وهو الخبر والإنشاء، حيث قاموا بشرح هذه النظرية، وأشاروا إلى التشابه الكبير بين هذه النظرية وبين الجهود العربية في مجال دراسة أساليب الكلام الخبرية والإنشائية.

وأكدوا أنّ ما توصل إليه العلماء العرب بصفة عامة هو خلاصة ما اتفق عليه أوستين وسيرل في أنّ الخبر والإنشاء بفرعيه قد يعبران عن الفعل المباشر أو غير المباشر طبقاً للمقام، وأنّ العلماء العرب وإن لم يعرفوا هذه المصطلحات إلا أنّهم عرفوا ما يندرج تحتها كمقتضى الظاهر وما خرج عن مقتضى الظاهر.

17/ كان العلماء العرب من نحاة وبلاغيين وغيرهم على وعي بأنّ الكلام قد يأتي على أصله وقد يخرج عن هذا الأصل إلى معانٍ فرعية تُفهم من سياق القول، لذلك فإنّهم درسوا أساليب الكلام واستخرجوا معانيه وأغراضه كاستخراج معاني الأمر والاستفهام والنهي وغيرها.

ـ نتائج الفصل الثاني:

18/إنّ الخطاب القرآني رسالة شاملة لكل البشر يحثهم فيها على أفعال وينهاهم عن أخرى فنجد فيه الوعد والوعيد،و التهديد والتبشير وغيرها.

19/ يعتبر القرآن الكريم خطاباً يُقصد به التأثير في السامع، لذلك لا يمكن فصله عن المقام وظروف الإلقاء، ولذلك فإنّه يشتمل على أساليب خبريةٍ وإنشائية تحوي أغراضاً ومقاصدا تُفهم من السياق.

20/ قد يكون الغرض من الأسلوب الخبري والأسلوب الإنشائي هو المعنى الحرفي للصيغة فيُنجز فعلاً كلامياً مباشراً، وقد يتعداهما إلى صيغ أخرى تُفهم من المقام.

21/ ومن أهم الأغراض التي توصلنا إليها من خلال تحليلنا لسورة يونس نجد:

أنّ الأسلوب الخبري قد يتعدى المعنى المباشر إلى أغراض منها: الوعد والوعيد، التبشير والتحذير، التخويف والتهديد، التنبيه والإنذار، التهكم والتحقير، كما يخرج إلى أساليب إنشائية كالمدح والذم والاستفهام.

ونجد الأسلوب الإنشائي يخرج إلى أغراض غير مباشرة منها: التعجب والتعجيب، الإنكار والاستهزاء، التهديد والتشديد، التبكيت والإفحام، الاستعجال والاستبعاد، الإلزام والتهويل والزجر، التوبيخ والتقريع، كما يتعداها إلى التأكيد والإخبار والتقرير.

1 ـ القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

الكتب العربية:

2 ـ آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة، دار المعرفة الجامعية، جامعة الإسكندرية، (د ط)، 2002.

3 ـ الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تح: مركز الدراسات السعودية، المملكة العربية السعودية، (د ط)، (د ت)، ج3.

4 ـ الإحكام في أصول الأحكام، علي بن محمد الآمدي، تعليق: عبد الرزاق عفيفي، دار الصميعي، الرياض، السعودية، ط1، 2003، ج1.

5 ـ الأزهية في علم الحروف، علي بن محمد الهروي ، تح: عبد المعين الملوحي، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ط2، 1993.

6 ـ أساس البلاغة، جار الله أبو القاسم الزمخشري، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998، ج1.

7 ـ الأساليب الإنشائية في النحو العربي، عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط5، 2001.

8 ـ استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004.

9 ـ الاستلزام الحواري في التداول اللساني من الوعي بالخصوصيات النوعية للظاهرة إلى وضع القوانين الضابطة لها، العياشي أدراوي، دار الأمان، الرباط، ط1، 2011.

10 ـ الأسس الإبستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه، إدريس مقبول، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2006.

11 ـ الأصول في النحو، أبو بكر محمد بن سهيل بن السراج، تح: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1996، ج1.

12 ـ إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى الرافعي، دار التقوى، مصر، ط1، 2014.

13 ـ إعراب القرآن الكريم وبيانه، محي الدين الدرويش، دار الإرشاد للشؤون الجامعية، حمص، سوريا، ط3، 1992، ج4.

14 ـ الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، جلال الدين الخطيب القزويني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د ط)، (د ت).

15 ـ البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة، (د ط)، (د ت)، ج1.

16 ـ بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل، عالم المعرفة، الكويت، (د ط)، 1978.

17 ـ البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية، محمد حسن أبو موسى، دار الفكر العربي، القاهرة، (د ط)، (د ت).

18ـ البلاغة و الأصول دراسة في أسس التفكير البلاغي العربي (نموذج بن جني)، محمد مشبال، أفريقيا الشرق، (دون بلد)، (د ط)، (د ت).

19 ـ بيان إعجاز القرآن(نشورا ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القر آن في الدراسات القرآنية والأدب النقدي)، أبو سليمان إبراهيم الخطابي، تح: محمد خلف الله، دار المعارف، مصر، ط3، (د ت).

20ـ البيان و التبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7، 1998، ج1.

21 ـ تاج اللغة وصحاح العربية (الصحاح)، أبو نصر إسماعيل الجوهري، تح: محمد محمد تامر، دار الحديث، القاهرة، (د ط)، 2009.

21 ـ تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، عمر بلخير، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، ط1، 2003.

23 ـ التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، مسعود صحراوي، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 2005.

24 ـ التداولية و الحجاج مداخل ونصوص، صابر الحباشة، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، ط1، 2008.

25 ـ تفسير البحر المحيط، أبو حيّان الأندلسي، تح: عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1993، ج5.

26 ـ تفسير التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، (د ط)، 1984، ج11.

27 ـ تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، دار الفكر، (دون بلد)، ط1،1981، ج17/ ج26.

28 ـ تفسير القرآن الكريم، أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تح: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة، الرياض، السعودية، ط1، 1997، ج4.

29 ـ جماليات الخطاب في النص القرآني دراسة تحليلية في مظاهر الرؤية وآليات التكوين، لطفي محمد الجودي، مؤسسة المختار، القاهرة، ط1، 2014.

30 ـ الجملة العربية تأليفها وأقسامها، فاضل صالح السامرائي، دار الفكر، عمان، الأردن، ط2، 2007.

31 ـ الجنى الداني في حروف المعاني، الحسن بن قاسم المرادي، تح: فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1992.

32 ـ جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، السّيد أحمد الهاشمي، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1999.

33 ـ حروف المعاني، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي، تح: علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1986.

34 ـ الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، تح: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، (دون بلد)، (د ط)، (د ت)، ج1/ ج3.

35 ـ الخطاب القرآني دراسة في العلاقة بين النص والسياق، خلود العموش، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2005.

36 ـ الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية، عبد الرحمن الحاج صالح، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية، الجزائر، (د ط)، 2012.

37 ـ الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أحمد بن يوسف الحلبي، تح: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، (د ط)، (د ت)، ج6.

38 ـ دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تعليق: محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د ط)، (د ت).

39 ـ دليل الناقد الأدبي إضاءة لأكثر من سبعين تيارا ومصطلحا نقديا معاصرا، ميجان الرويلي وسعد البازعي، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 2002.

40 ـ رصف المباني في شرح حروف المعاني، أحمد بن عبد النور المالقي، تح: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، ط3، 2002.

41 ـ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو الفضل شهاب الدين الألوسي، تح: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1994، ج6.

42 ـ السياق والدلالة، مسعود بودوخة، دار الأيام، عمان، الأردن، ط1، 2016.

43 ـ السياق والمعنى دراسة في أساليب النحو العربي، عرفات فيصل المناع، مؤسسة السياب، لندن، ط1، 2013.

44 ـ شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، بهاء الدين بن عقيل، تح: محي الدين عبد الحميد، دار التراث، القاهرة، ط20، 1980، ج1.

45 ـ شرح الكافية في النحو، رضي الدين الاستربادي، تعليق: محمد يوسف حسن عمر، جامعة قاريونس، بنغازي، ط2، 1996، ج1.

46 ـ شرح كتاب سيبويه، أبو سعيد السيرافي، تح: أحمد حسن مهدلي وعلي سيد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2008، ج1.

47 ـ شرح اللمع، أبو إسحاق إبراهيم الشيرازي، تح: عبد المجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1988، ج1.

48 ـ شرح المفصل، موفق الدين بن يعيش، تعليق: مشيخة الأزهر المعمور، الطباعة المنيرية، مصر، (د ط)، (د ت)، ج3.

49 ـ العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير، خالد بن عثمان السبت، دار ابن القيم، السعودية، ط1، 2003، مج1.

50 ـ علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني، بسيوني عبد الفتاح، مكتبة وهيبة، القاهرة، (د ط)، (د ت)، ج1.

51 ـ في البراجماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة دراسة دلالية في معجم سياقي، علي محمود الصراف، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2010.

52 ـ في ظلال القرآن، سيد قطب،دار الشروق، (دون بلد)، ط1، 1972، ج11.

53 ـ في اللسانيات التداولية محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، خليفة بوجادي، بيت الحكمة، العلمة، الجزائر، ط1، 2009.

54 ـ القاموس المحيط، مجد الدين الفيروز آبادي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط3، 1980، ج3/ ج4.

55 ـ قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية بنية المكونات أو التمثيل الصرفي ـ التركيبي، أحمد المتوكل، دار الكتاب الجديد المتحدة، الرباط، ط2، 2010.

56 ـ الكافية في الجدل، الجويني إمام الحرمين، تح: فوقية حسين محمود، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، (د ط)، 1979.

57 ـ الكتاب، أبو بشر عمرو بن عثمان سيبويه، تح: عبد السلام هارون، دار الخانجي، القاهرة، (د ط)، (د ت)، ج1/ ج3.

58 ـ كتاب العين مرتبا على حروف المعجم، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تح: عبد الحميد هنداو ي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ج4.

59 ـكتاب الفروق، أنوار البروق في أنواء الفروق، أبو العباس شهاب الدين القرافي، تح: محمد أحمد السراج، دار السلام، القاهرة، مصر، ط1، 2001، ج1.

60 ـ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل، جار الله أبو القاسم الزمخشري، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1998، ج3/ ج6.

61 ـ لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين بن منظور، تح: عامر أحمد حيدر، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، 2005، ج1/ ج5/ ج6/ ج7.

62 ـ اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1988.

63 ـ لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد الخطابي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2006.

64 ـ محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، (دون دار نشر)، (د ون بلد)، ط1، 1957، ج9.

65 ـ مدخل إلى اللسانيات، محمد محمد يونس علي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004.

66 ـ معاني الحروف، أبو الحسن علي بن عيسى الرماني، تح: عبد الفتاح شبلي، دار الشروق، جدة، ط2، 1981.

67 ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة، (د ط)، 1364 هـ.

68 ـ معجم مقاييس اللغة، أحمد ابن فارس، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، (دون بلد)، (د ط)، (د ت)، ج5.

69 ـ المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، وزارة التربية والتعليم، مصر، (د ط)، 1994.

70 ـ المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4، 2004.

71 ـ مفتاح العلوم، أبو يعقوب السكاكي، تعليق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1983.

72 ـ المقتضب، أبو العباس المبرد، تح: محمد عبد الخالق عضيمة، (دون دار نشر)، القاهرة، (د ط)، 1994، ج3.

73 ـ مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، محمد محمد يونس علي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004.

74 ـ النبأ العظيم، عبد الله دراز، دار طيبة، السعودية، ط1، 1997.

75 ـ نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة المعاصرين والبلاغيين العرب، الطبطبائي طالب هاشم، مطبوعات جامعة الكويت، الكويت، (د ط)، 1994.

76 ـ النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة، أحمد فهد صالح شاهين، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2015.

77 ـ النكت في إعجاز القرآن (منشورا ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن في الدراسات القرآنية والأدب النقدي)، أبو الحسن الرماني، تح: محمد خلف الله، دار المعارف، مصر، ط3، (د ت).

78 ـ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم، (دون دار نشر)، (دون بلد)، (د ط)، 1975، ج9.

الكتب المترجمة:

79 ـ التداولية من أوستين إلى غوفمان، فيليب بلانشيه، تر: الحباشة صابر، دار الحوار، سوريا، ط1، 2007.

80 ـ التداولية اليوم، علم جديد في التواصل، آن روبول وجاك موشلر، تر: محمد الشيباني وسيف الدين دغفوس، المنظمة العربية للترجمة، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 2003.

81 ـ العقل واللغة والمجتمع، الفلسفة في العالم الواقعي، جون سيرل، تر: سعيد الغانمي، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، ط1، 2006.

82 ـ القاموس الموسوعي للتداولية، جاك موشلر وآن روبول، تر: مجموعة من الأساتذة والباحثين من الجامعات التونسية بإشراف عز الدين المجدوب، دار سيناترا، تونس، ط2، 2010.

83 ـ مدخل إلى اللسانيات التداولية لطلبة معاهد اللغة العربية وآدابها، تر: محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية،11 / 92، الساحة المركزية، بن عكنون، الجزائر،(د ط)، (د ت).

84 ـ المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، دومنيك مانغونو، تر: يحياتن محمد، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط1، 2008.

85 ـ معجم تحليل الخطاب، باتريك شارودو ـ دومينيك منغو، تر: عبد القادر المهيري وحمادي صمود، دار سيناترا، تونس، (د ط)، 2008.

86 ـ المقاربة التداولية، فرانسوا أرمينكو، تر: سعيد علوش، مركز الانماء القومي، الرباط، المغرب، (د ط)، 1986.

الرسائل الجامعية:

87 ـ الأمثال في صحيح البخاري، دراسة تداولية لأفعال الكلام، وهيبة غضابي، مذكرة ماجستير تخصص علوم اللسان العربي، جامعة محمد خضير، بسكرة، 2013/2012 .

المقالات:

88 ـ اقتراحات من الفكر اللغوي العربي القديم لوصف ظاهرة الاستلزام التخاطبي، أعمال الندوة الثالثة في البحث اللساني والسيميائي كلية العلوم الإنسانية، الرباط.

كلمة شكر

إهداء

مقدمة أ

مدخل: خصائص الخطاب القرآني 5

الفصل الأول: الكلام و الخطاب و تجلياتهما في الدرسين الغربي والعربي.

المبحث الأول: مفهوم أفعال الكلام و الخطاب والسياق والنص.

1. تعريف الكلام لغة 13

1 . 2 . تعريف الكلام اصطلاحا 14

2 . 1 . تعريف الخطاب لغة 16

2 . 2 . تعريف الخطاب اصطلاحا 17

3 . دور السياق في فهم الخطاب.

أ . السياق لغة 20

ب . السياق اصطلاحا 20

4 . العلاقة بين الكلام و الخطاب 24

5 . الفرق بين الخطاب و النص 24

المبحث الثاني: تجليات أفعال الكلام في الدراسات اللسانية الغربية الحديثة.

1 . الجذور التاريخية للدرس التداولي 27

2 . التداولية مفهومها و أسسها

2. 1 . مفهوم التداولية.

2 ـ 1 ـ 1. المفهوم المعجمي للتداولية 32

2 . 1 . 2 . المفهوم الاصطلاحي للتداولية 32

2 . 2 . أسسها.

2 . 2 . 1 . الفعل الكلامي 35

2 . 2 . 2 . الاستلزام الحواري 36

2 . 2 . 3 . متضمنات القول 40

3 . أفعال الكلام عند أوستين 43

4 . أفعال الكلام عند سيرل 49

المبحث الثالث: أفعال الكلام في الدرس العربي القديم والحديث وعلاقة ذلك بأغراض الخبر والإنشاء.

1 . تعريف الخبر والإنشاء 59

2 . علاقة الخبر و الإنشاء بنظرية أفعال الكلام 59

3 . معايير تمييز العرب بين الخبر و الإنشاء 60

4 . أفعال الكلام عند العرب القدامى

أ . عند النحاة 66

ب . عند البلاغيين 69

5 . أفعال الكلام عند المحدثين 72

الفصل الثاني: أفعال الكلام في سورة يونس.

تمهيد 80

المبحث الأول: أفعال الكلام في الأسلوب الخبري.

1 . تعريف الخبر

1 . 1 لغة 83

1 . 2 اصطلاحا 83

2 . أضرب الخبر 84

3 . أغراض الخبر 84

4 . تحليل الأفعال الكلامية الخبرية 85

المبحث الثاني: أفعال الكلام في الأسلوب الإنشائي.

1 . تعريف الإنشاء

1 . 1 . تعريف الإنشاء لغة 119

1 . 2 . تعريف لإنشاء اصطلاحا 119

2 . أنواع الإنشاء

2 .1. الإنشاء الطلبي 120

2 2 . . الإنشاء غير الطلبي 129

3 . تحليل الأفعال الكلامية الإنشائية 132

خاتمة 177

قائمة المصادر والمراجع 183

فهرس الموضوعات 193